المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

السنة الثانية - العـدد السادس- ربيع 2020

كلمة العدد

القدس في زمن كورونا

أ.د سعيد أبو علي

نَصّ الأرض في "يوم الأرض"
ضفيرة على أكتاف الحصان

د. المتوكل طه

سياسة إسرائيل تجاه الاقصى

د. محمود محارب

القدس: فيها نشأ المسيح ومنها انطلقت المسيحية إلى العالم
أبرز الاماكن الدينية المسيحية في القدس

أ د. حنا عيسى

إيكولوجيَّة مدينة القدس في ضوء المعالجة البيئيَّة
والاجتماعيَّة والنفسيَّة للمكان
منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهاية الانتداب البريطاني

د. فايز ابراهيم أبو ستّة

أنا والقدس وما حولي وحولها
مقاطع من سيرة الكاتب والروائي المقدسي "محمود شقير"

القدس كمدينة مقسمة

مراد البسطامي

كتاب العدد:

د. وليد سالم – عزيز العصا – رفيق خوري – د. دعاء الشريف
د. فيحاء قاسم عبد الهادي - جهاد أحمد صالح.

(من إعداد فريق تنفيذ مبادرة كتاب حواري القدس)

كلمة العدد

القدس في زمن كورونا
أ.د سعيد أبو علي 5

مقالات

نَصّ الأرض في "يوم الأرض"
ضفيرة على أكتاف الحصان
د. المتوكل طه 15

ملف العدد (الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة في القدس)

سياسة إسرائيل تجاه الأقصى
د. محمود محارب 23

المعالم والأماكن المقدسة الإسلامية في القدس "نظرة عامة"
د. وليد سالم 57

القدس: فيها نشأ المسيح ومنها انطلقت المسيحية إلى العالم
أبرز الأماكن الدينية المسيحية في القدس
أ. د. حنا عيسى 65

المعالم المسيحيّة المقدسيّة
بين العهدة العمريّة والاستراتيجيات التهويدية
عزيز العصا 73

أبحاث ودراسات

القدس كمدينة مقسمة
مراد البسطامي 89

فلسطين في القلب
الصهيونية المسيحية وتأثيرها السلبي
رفيق خوري 103

إيكولوجيّة مدينة القدس
في ضوء المعالجة البيئيّة والاجتماعيّة والنفسيّة للمكان
منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهاية الانتداب البريطاني
د. فايز ابراهيم أبو ستّة 113

إسرائيليات

المسح الاستراتيجي لإسرائيل 2019–2020
على شفا التصعيد: تحديات متعددة تطالب باستراتيجية جديدة
ترجمة د. دعاء الشريف 129

أعلام ومعالم

أنا والقدس وما حولي وحولها
مقاطع من سيرة الكاتب والروائي المقدسي "محمود شقير" 165

د. عايدة عارف النجار
في الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني
د. فيحاء قاسم عبد الهادي 177

كلمة حق لذكرى ألبرت أغازريان
ألقاها د. برنارد سابيلا في مراسيم الجنازة في كنيسة
الأرمن الأرثوذكس في القدس بتاريخ 1/ 2/ 2020
183

عيون مقدسية

السكاكيني والنشاشيبي: مدرستان في النقد الأدبي الصحيح
جهاد أحمد صالح 187

مراجعات

الرؤية الاستراتيجية لمواجهة تهويد القدس
في ظل المتغيرات الدولية الجديدة
"للدكتور حسين سليمان فريد"
إعداد طاقم التحرير 217

وقائع مقدسية

جولة إخبارية في رحاب جامعة القدس 223

وثائق

بيان الهيئة الإسلامية العليا حول صفقة القرن 235

اتفاق الوصاية على المقدسات 237

تشريد أطفال:

القدس المحتلة/ شرد 11 فرداً بينهم 7 أطفال:
الاحتلال يُجبر شقيقين على هدم منزليهما في القدس
241

المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

المشرف العام ورئيس التحرير

أ. د. سعيد أبو علي

أستاذ القانون العام والعلوم السياسية بجامعة القدس

الهيئة الاستشارية (أبجدياً)

أ.د. ابراهيم براش
أستاذ العلوم السياسية – جامعة لأزهر بغزة

أحمد قريع
الرئيس الأسبق لمجلس الوزراء الفلسطيني
ورئيس مجلس أمناء جامعة القدس

د. رمزي خوري
مدير الصندوق القومي الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية
ورئيس اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس

الشيخ عبد العظيم سلهب
رئيس مجلس الأوقاف والمقدسات الإسلامية في القدس

أ.د. عماد أبو كشك
رئيس جامعة القدس

فاروق الشامي
رجل أعمال فلسطيني

الشيخ محمد حسين
مفتي القدس والديار الفلسطينية ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى

منيب المصري
رجل أعمال والرئيس السابق لمجلس أمناء جامعة القدس

مولاي الطيب الشرقاوي
رئيس المجلس الأعلى للقضاء ووزير الداخلية المغربي الأسبق

البطريرك ميشيل صباح
بطريرك اللاتين السابق في القدس

د. نبيل العربي
الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية

د. وصفي الكيلاني
المدير التنفيذي للصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى
وقبة الصخرة المشرفة

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. حسن دويك
نائب رئيس جامعة القدس

د. صفاء ناصر الدين
نائب رئيس الجامعة لشؤون القدس

أ. د. وديع ادريس سلطان
عميد الدراسات العليا بجامعة القدس

د. إلهام الخطيب
عميد البحث العلمي

أ. د. صلاح هودلية
أستاذ الآثار والتراث الثقافي بجامعة القدس

د. يوسف النتشة
أستاذ التاريخ والعمارة الإسلامية بجامعة القدس

أ.سركيس أبوزيد
صحافي وكاتب وناشر – بيروت

إدارة وسكرتارية التحرير

د. وليد سالم

د. دعاء السيد

أ. عزيز العصا

مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: مدينة القدس – سوق القطانين – خان تنكز
الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu
هاتف رقم: 00972-02-6287517
فاكس رقم: 00972-02-6284920

جامعة القدس أبو ديس

صندوق البريد: جامعة القدس، الحرم الرئيس – أبو ديس، صندوق بريد 89
الموقع الالكتروني: www.alquds.edu
للاتصال بالحرم الرئيس – أبو ديس
هاتف رقم: 2756200 - 02 - 00972
فاكس رقم: 2793817 - 02 - 00972

مجلة المقدسية

تنفيذ دار أبعاد

لبنان – بيروت – شارع الحمرا الرئيسي – بناية رسامني ط7
هاتف: 751541 -1- 00961
صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: abaaddar@gmail.com

الاشتراك السنوي في المجلة

داخل لبنان:	خارج لبنان:
للأفراد: $50	للأفراد: $100
للمؤسسات: $100	للمؤسسات: $200

يضاف إليها أجور البريد

الرقم الدولي /ردمك/

Issn:27079767

المواد المنشورة تعبر آراء كاتبها

القدس في زمن كورونا

أ.د. سعيد أبو علي
المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

دون مواربة وأي اعتبارات، يعلن رئيس حكومة الاحتلال، بصورة رسمية، ثاني أيام عيد الفطر المبارك، الموافق الخامس والعشرين من أيار الجاري لهذا العام، "إن من المهم في زمن كورونا أن تبقى القدس على رأس سلّم أولوياتنا"... جاء ذلك في سياق إعلانه بأنه أصدر تعليماته، ببلورة خطة، لتعزيز مكانة القدس لدى اليهود، برصد مائتي مليون شيكل لتمويل هذه الخطة. بالمعنى الذي يؤكد أن الانشغال بمواجهة كورونا، لا يعني المساس بأولوية الانشغال والتركيز على مواصلة تنفيذ خطط ومشاريع تهويد القدس، بل إن انشغال العالم بمواجهة كورونا، يشكل فرصة ينبغي توظيفها واستغلالها لاستمرار تهويد المدينة، والأخطر، توظيف ما يمثله تهديد فيروس كورونا نفسه، في سياق المشاريع الاستعمارية والتهويدية للقدس، بتحلّلٍ من أي تبعِات أو مسؤوليات إنسانية أخلاقية أو قانونية.

وهكذا كان، وما إعلان نتنياهو عن خطة جديدة إضافية في زمن كورونا، كما قال "لتعزيز تهويد القدس"، إلا اعتراف رسمي علني بما تتعرض له

القدس من استهداف تهويدي متسارع في ظل الانشغال الدولي بمواجهة الوباء، وتوظيفاً لذلك الوباء الفيروسي، في تعميق الوباء الاستعماري الاستيطاني، في تنكرٍ للقيم الإنسانية، وتحدٍ للإرادة الدولية، وعدوانٍ على الحقوق الفلسطينية.

فمازال العالم بأسِره، وعلى مدار الأشهر الأربعة التي مضت، بدوله، وشعوبه، وهيئاته ومؤسساته على وجه الأرض، يواجه بأقصى طاقاته وقدراته، وكأولوية مطلقة، انتشار فيروس كورونا، بما يمثله من تهديدٍ وجوديٍ وحضاريٍ للإنسانية جمعاء.

حيث سخر لمواجهة هذا التهديد الإمكانات المتاحة، وما توفر للإنسانية من رصيد مادي علمي وثقافي وروحي، كما اتخذت دول البشرية قاطبةً المزيد من التدابير الاحترازية للحفاظ على الحياة، والحد من انتشار الوباء، على نمط جامع وحّد العالم بأسِره، في نظام موحد متماثل المقاييس والمعايير، بحثاً عن الخلاص، وأسباب الانتصار على هذه الجائحة، التي مازلنا نعيش تحت وطأة تهديدها الكارثي، وما تلحقه من خسائر في الأرواح، ومصادر الحياة، أو تؤسس له من حقبة إنسانية جديدة مختلفة.

وذلك ما كان ينسحب على فلسطين التاريخية، إلا في القدس المدينة الفريدة في التاريخ والجغرافيا كما الحضارة والمعنى الإنساني الروحي، فرض عليها أن تستمر بواقع التفرد في زمن كورونا، لتكون الاستثناء الحصري الذي يتم إخراجه بالإجراء القسري عن سياق النص الدولي، في مواجهة كورونا، فاستمر واقع تغول وباء الاحتلال يهيمن على تهديد الوباء الفيروسي، بل أمعن الاحتلال في منع أي محاولة فلسطينية أهلية أو رسمية لشمول القدس بتدابير مواجهة الوباء أو أي إجراءٍ احترازي. ليبقى أبناء القدس في متاريسهم وقلاع صمودهم، يواجهون وباء كورونا، كما يواجهون وباء الاحتلال بذات الصدور العارية، وذات الهمم العالية، والإرادة الباقية.

لقد تنكرت سلطات الاحتلال لمسؤولياتها الأخلاقية والقانونية تجاه مواطني القدس الشرقية وبلداتها، وقراها، ومخيماتها، الواقعة ضمن مسؤولياتها وفق

القانـون الدولي كسلطة احتـلال، وهي نفس المواقع المدنيـة الجغرافية الواقعة خارج نطـاق مسؤولية السلطة الفلسطينية أيضـاً، وتجاهلت سلطات الاحتلال واجباتهـا ومسؤولياتهـا في اتخـاذ أي مستوى مـن التدابـير الاحترازية، منعاً لتفشي الوباء المنتشر بأرجـاء إسرائيل ذاتها، وأهملت بصورة متعمدة القدس ومحيطها وكأنها خارج نطاق تهديد كورونا، أو كأنها خالية من السكان، أو أنها، وهذا هو الأصح، لا تعير حماية أرواحهم وصحتهم أي اهتمام.

واكتفـت بفرض الإغلاق الشامل على هذه المنطقة، ومواصلة تنفيذ المخططات والمشاريـع الاستيطانيـة الاستعماريـة التهويديـة دون هوادة، بـل بتسارع غير مسبوق، استغلالاً لانشغال العالم بوباء كورونا، وتوظيفاً للوباء في خدمة أهداف الاستيطـان، والتهويد، والفصل العنصري، فكان ذلك مسـاراً أول يتزامن مع مسار آخر، حين عمدت سلطات الاحتلال إلى منع اتخاذ أي تدابير أو إجراءات وقائيـة في القدس، بمبادرة فلسطينية أهليـة أو رسمية، فكان هذا مساراً ثانياً موثّقاً واقعياً تنتهجه سلطات الاحتلال، دون هوادة ودون أدنى شعور بالمسؤولية أو الخجل من هذا النهج العنصري الإجرامي.

أما على المسار الأول:

وفي الوقـت الـذي ينشغل فيه العالم بمحاولة كسب الحـرب الدائرة مع فيروس كورونا تنشغل حكومة الاحتلال بمشاريع تستهدف فصل "القدس الشرقية" عن بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 وربط مستوطنة "معاليه أدوميم" بشـكل خاص مـع باقي المستوطنـات الأخرى جنوبي القدس المحتلة. فقد بات واضحـاً بأن حكومة الاحتلال بصدد حسم مصير القدس وعزلها عن محيطها مـن القرى والمـدن الفلسطينية، خاصة جنوب القدس، بعـد أن بدأت في إقامة جـدار إسمنتي بدل الأسـلاك الشائكة لفصل منطقة "الشيـخ سعد" عن قرية "صور باهر" جنوبي القدس المحتلة في إطار مسار جدار الفصل العنصري.

ويأتي بناء هذا الجدار مقدمة لشق شارع يصل المستوطنات من "غيلو"، مروراً بـ"غفعـات هاماتوس" و"هار حومـا"، وصـولاً إلى "معاليه أدوميـم"، ويخترق

مدينــة القدس في منطقة "أبو ديس" من خلال نفق في عملية وصل المستوطنات داخل الجدار، مع المستوطنات الواقعة خلف الجدار، وهو ما يعني ترسيم حدود جديــدة استنــاداً إلى صفقــة القرن الأميركيــة، في إطار عمليــة تهويد القدس وجعلها عاصمة لدولة الاحتلال. وتمهد عملية استبدال الأسلاك الشائكة بجدار إسمنتي لعملية فصل المواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون جنوب القدس عن المدينــة. ومن شأن هذا الشارع أن يتحــول إلى شريان حيوي يربط مستوطنات جنــوب القدس بشرقها وشمالهــا في ظل تخطيط يمهد لإقامــة فنادق ومراكز تجاريــة وسكة قطار ومنطقة صناعية ومرافق عامة وشوارع لخدمة الاستيطان والمستوطنين على أراضٍ فلسطينية خاصة.

واستناداً إلى عمل الفريق الأميركي – الإسرائيلي برسم خرائط الضم، تواصل إسرائيــل تنفيذ مخططاتهــا المتمثلة في البناء في المناطــق الإستراتيجية داخل الضفة الغربية، لاسيما مشروع "E1" الذي يربط بين القدس ومستوطنة "معاليه أدوميــم"، والذي سيؤدي إنجــازه إلى فصل جنوب الضفة الغربية عن شمالها. وكانــت سلطات الاحتلال قــد أحدثت طفرة كبيرة في المشــروع الاستيطاني في الضفــة الغربية خلال العامــين والنصف الماضيين، فقــد تم خلال هذه الفترة الشــروع في بنــاء 15 ألف وحدة سكنية، إلى جانب صــدور قرار ببناء 10 آلاف وحــدة أخرى، تم إضفــاء الشرعية على عدد كبير من البــؤر الاستيطانية التي أقامها المستوطنون.

كمــا يحــاول الاحتــلال والمستوطنــون منذ سنــوات السيطــرة علــى أراضٍ في "وادي الربابــة" بدعوى أنها "أملاك غائبين"، وتبلــغ مساحة الأراضي المهددة بالمصــادرة 60 دونمــاً. ويعتزم الاحتــلال أيضاً إقامة جســر تهويدي بين "حي الثوري" ومنطقة "النبي داود"، مروراً بحي "وادي الربابة".

بالإضافــة إلى مدّ خــط سكة حديد للقطــار الخفيف، حيث تفيــد المصادر أن مــداولات أجرتهــا ما تسمــى باللجنــة اللوائية للتنظيــم والبنــاء تظهر دخول القطار الخفيف لمستوطنة (أرمون هنتسيف) المقامة على جبل المكبر في شرقي القدســ، في خطة تهدف إلى زيــادة وتكثيف البناء الاستيطــاني بنسبة كبيرة،

وجذب مزيد من المستوطنين عن طريق توسيع بناء المنازل الاستيطانية.

بدأ الاحتلال التحضير لمخطط تهويدي ببناء خطي سكة حديد تربط التجمعات اليهودية بتخوم المسجد الأقصى المبارك، الخط الأول تحت الأرض، يصل ما بين الجزء الغربي من مدينة القدس المحتلة ومنطقة باب المغاربة، وصولاً إلى تخوم المسجد الأقصى، والثاني سكة حديد فوق الأرض تجوب أحياء القدس المختلفة. وينضم هذا المخطط إلى سلسلة مشاريع أخرى تنفذ بالخفاء في القدس، مثل "نفق الهيكل" الذي يمتدّ تحت أحياء البلدة القديمة ويهدّد سلامتها واستقرارها، ومشروع "مدينة داود" الذي تهدد منشآته المختلفة حيّ سلوان ومنطقة باب المغاربة".

وكشفت اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء في بلدية الاحتلال في القدس عن مشروع استيطاني على أراضي جبل المكبر جنوب القدس المحتلة بواقع (410) وحدات استيطانية، ومرافق عامة وفندق (100) غرفة، وربط الحي الاستيطاني الجديد بشبكة القطار الخفيف، وتلك الشبكة العامة بسكة الحديد في البلاد حتى 2024. كما قررت تلك اللجنة ضمن مخططاتها الاستيطانية، إيداع مخطط استيطاني في مستوطنة "جيلو" جنوب المدينة.

هذا المخطط الذي يركز على بناء (1300) وحدة سكنية استيطانية و 100 ألف متر مربع للمباني العامة و 25 ألف متر مربع مناطق تجارية و 20 ألف متر مربع لمشاغل و 15 ألف دونم مناطق مفتوحة، ومخطط بمساحة (83 دونماً) شمال شرق المستوطنة قرب مسارين للقطار الخفيف لإقامة مدرسة ونادٍ رياضي وثقافي كما يتضمن المخطط إقامة ثلاث مستديرات تشكل مدخل الحي الجديد، تقام في محيطها محال تجارية ومشاغل ويتضمن المشروع بناء عشرة مبانٍ سكنية بارتفاع 10 - 12 طابقاً وسبعة أبراج من (25 - 35) طابقاً تشكل بديلاً عن مركز الاستيعاب القديم المكون من حوالي 290 وحدة سكنية.

كما قررت اللجنة اللوائية للتخطيط والبناء في بلدية الاحتلال إيداع مخطط تهويدي يستهدف توسيع نفق المصرارة الذي يسمى نفق "تساهل"، الذي سيتم

توسيعـه على حساب شريـط واسع من الأراضي الفلسطينيـة شرقاً من موقف السيـارات والحافـلات باتجاه حي "الشيخ جراح"، ليبلـغ طوله حاليّاً 800 متر بحجـة تخفيف أزمة السـير، في محاولة لتغيير وجه المدينـة وطابعها، وسيبتلع هـذا المشروع مساحة واسعة مـن الأراضي الفلسطينية علـى طول الشارع رقم واحـد الذي يفصل القدس الشرقية عن الغربيـة، ويشمل كل المنطقة الشمالية للبلـدة القديمة من باب العمود وشـارع نابلس حتى شارع النفق أسفل الجامعة العبريـة إلى شعفـاط والعيسويـة شمالاً وشرقـاً حتى وادي الجـوز، ويلتف إلى "الشيخ جراح".

وكمـا سبقت الإشارة، فـإن هذه المشاريـع الاستيطانية التهويديـة في القدس، تتقاطـع تمامـاً مع ما نصت عليـه بنود صفقـة القرن، وما توصلـت إليه لجنة الخرائـط الإسرائيليـة الأميركيـة، المفوضـة بوضع حدود مناطـق الضم، بما فيهـا القدس، كمـا تأتي أيضاً في إطار دعم أميركـي رسمي ومعلن لتنفيذ هذه المخططات والمشاريع الاستيطانية، مع أن الإدارة الأميركية تواصل مناوراتها في سيـاق دعواتها لتطبيق صفقة القرن، فتارة تدّعي أن على إسرائيل أن تتفاوض مع الفلسطينيين على مشاريع الضم في سياق تطبيق صفقة القرن، وتارة أخرى تؤكد أن الضم وفرض السيادة هو شأن تقرره حكومة إسرائيل.

وقـد استبق وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيـو وصوله إلى إسرائيل بداية الشهـر الجاري بتصريـح قال فيه: إن قـرار تطبيق السيـادة الإسرائيلية على المستوطنـات في الضفـة الغربيـة، يعـود لإسرائيـل، وليس لـلإدارة الأميركية وعـاد قبل مغادرته ليؤكـد أن من حق إسرائيل وواجبها أن تقرر فرض سيادتها علـى المستوطنـات بالضفة الغربية، فيمـا احتفى مسؤولون آخـرون في الإدارة الأميركية، بذكرى مرور عامين على نقل سفارة بلادهم إلى القدس.

وقـال السفير الأميركي ديفيد فريدمان، "بعـد 70 عاماً من إعلان بن غوريون عن قيام دولة إسرائيل، وفي الوقت نفسه، نقلت الولايات المتحدة السفارة من تل أبيـب إلى القدس، وكانت تلك واحدة من أكثر الأيام إثارة في حياته، فقد أوفى الرئيـس ترامب بوعده للشعب اليهودي وعشرات الملايين من الأميركيين الذين

يدعمـون إسرائيـل. وذلك ما يؤكد مدى الدعـم الأميركي لمخططات الاحتلال ومشاريعه في المسار الأول.

أما على المسار الثاني:

فقـد واصلـت سلطـات الاحتـلال تنفيـذ جرائمهـا وانتهاكاتها ضـد المدنيين الفلسطينيـين وممتلكاتهم، واقتحام المدن الفلسطينيـة، دون أي اعتبار لحالة الطـوارئ المعلنـة في الأرض الفلسطينيـة المحتلة منـذ 6 آذار/ مارس 2020، لتجنـب نشر العدوى بفيروس كورونـا. ونفذت تلك القـوات اقتحاماتها للمدن الفلسطينيـة وخاصة في مدينـة القدس المحتلة، دون إجـراءات سلامة ووقاية حقيقيـة، لمنع نقل العدوى بفيروس كورونا المتفشـي في إسرائيل، حين زاد عدد المعتقلـين المقدسيـين عـن ستمائة معتقـل، منهم رجـال دين وقـادة محليون، كمحافظ القدس، ووزير شؤونها الذي أرغم على وضع كمامة سبق استخدامها وملطخة بالدماء.

استمـرت سلطـات الاحتـلال في حملـة الاعتقـالات الواسعة ضـد شخصيات وقيادات فلسطينية تعمل في السلطـة الفلسطينية، ضمن السياسة الإسرائيلية المنهجـة لمحاربـة عمل السلطة في القدس الشرقيـة. وجاء جزء كبير من هذه الاعتقالات على خلفية جهود وتوزيع مساعدات متعلقة بمواجهة جائحة فيروس كورونـا المستجد. كما تمنع سياسة الاحتـلال أي إجراءات فلسطينية احترازية لمواجهة فيروس كورونا في مدينة القدس الشرقية، مع ضعف الإجراءات المتخذة مـن إسرائيل، رغم مسؤوليتها كقوة قائمة بالاحتلال في المدينة، بموجب قواعد القانـون الـدولي. وكان الإجـراء الإسرائيلي الأكثر لفتاً للانتبـاه، ذلك المتعلق بالحرم القدسي.

فقـد واصلت سلطات الاحتلال التضييـق على الفلسطينيين في ساحات المسجد الأقصى، حيث تمنع عشرات المقدسيين الدخول إلى المسجد للصلاة. وتأتي هذه الإجـراءات للاحتلال ضـد الفلسطينيين والسعي لتفريـغ المسجد الأقصى من الفلسطينيـين بحجة الحد من انتشار الفيروس، وهو المكان الوحيد الذي قررت

سلطـات الاحتلال اتخاذ تدابير احترازية فيـه، ولكنها تدابير تخص المسلمين وحدهـم، إذ تواصـل مجموعات مـن المستوطنـين تنفيذ الاقتحامـات اليومية لساحـات الحرم، وتواصل شرطة الاحتلال توفير الحماية لعشرات المستوطنين الذيـن يواصلـون اقتحامهـم لساحـات المسجـد الأقصـى، وينفـذون جولات استفزازيـة وتأدية صلوات تلموديـة في ساحاته، دون أن تطبق أي إجراءات من شرطـة الاحتلال لمنع التجمهر، وقد هددت سلطات الاحتلال بفرض الغرامات المالية على الفلسطينيين في ساحات الحرم، بذريعة عدم الالتزام في التعليمات والإجـراءات لمنع انتشار فيروس كورونا المستجـد في ساحات الحرم. وذلك ما لفت انتباه القيادات المقدسية وأثار قلقها ومخاوفها المشروعة.

لذلـك حذّرت قيادات مقدسية من استغلال الاحتلال الإسرائيلي وصول فيروس كورونـا المستجـد "كوفيـد 19" إلى الفلسطينيين في القدس الشرقية؛ لإعلانها مناطـق "موبوءة" وبالتـالي إغلاقها بشكلٍ كامل، الأمر الـذي يمكن أن يمهّد في المستقبـل لتطهير عرقـي وديموغرافي صامـت للفلسطينيين في عـدد من أحياء المدينـة علـى أيـدي سلطات الاحتـلال، حيث إن هنـاك مناطـق مستهدفة على المستـوى السياسي والأمني في القدس الشرقيـة كمنطقة سلوان والبلدة القديمة والطور ومناطـق مكتظة أخرى ومساحاتها ضيقة بمخيـم شعفاط وقلنديا وكفر عقـب، هذه المناطـق بالتحديد، إضافـة إلى كل الأحياء العربيـة الفلسطينية في القدس تسعى إسرائيـل للوصول إلى إفراغها من سكانها بمبررات كثيرة. وأمام هـذا الواقع المريـر في مدينة القدس، وأمام منع سلطات الاحتـلال لأي مبادرة رسميـة فلسطينية، حتى وإن كانت غـير مباشرة، فقد بادرت قيادات ومؤسسات وهيئات مقدسية أهلية، إلى القيام بمجموعة من الأنشطة والفعاليات التضامنية والوقائية بجهد وإمكانيات ذاتية محلية، غير أن هذه المبادرات المقدسية المجتمعية للوقايـة من انتشار فيروس "كورونـا" لم تسلم من سياسات الاحتلال الإسرائيلي القمعية؛ تحت حجج وذرائع واهية، لتصبح هذه المبادرات الإنسانية تهمة جديدة تستوجـب الملاحقة والاعتقال، وانطلقـت الأيام الماضية في مدينة القدس المحتلة مبـادرات شبابية تتمثل في توزيع وتعليق نشرات توعوية بأحياء القدس وشوارعها

للوقايــة من الفيروس إلى جانب تعقيم المسجــد الأقصى وباحاته والمصلين فيه. ووجد العديد من المبادرين المقدسيين أنفسهم رهن الاعتقال في سجون الاحتلال، بتهمة "خرق السيادة الإسرائيلية على القدس".

إن القمــع والاعتقال سياسة متبعة في ممارسات الاحتلال اليومية، إلا أنها ومع ارتباطهــا مع فيروس "كورونــا"، أوحت للمقدسيين بأن الاحتــلال يريد إصابة المواطنين في المدينة المحتلة بهذا الفيروس؛ "للتخلص منهم، حيث من الواضح أن الاحتلال لا يريــد أن تنبثق أي مبادرة لحماية المقدسيين، وتقديم الخدمات لهــم في إطار الحماية من الفيروس. بل إن مــا يريده الاحتلال عبر الممارسات القمعيــة التي ينفذهــا، استكمــال "شعور" السيــادة الكاملة علــى القدس بكل جوانبهــا، لهذا يحارب بشتــى الوسائل الوجود الفلسطينــي في مدينة القدس، ويعمــل علــى بســط سيطرته وتشديــد خناقه على أهــل المدينة، فيمــا يتملص كـ"قــوة محتلة" عــن مسؤولياتــه عن المدينة ويــترك الفلسطينيــين وحدهم في مواجهــة الأمراض أو الكوارث وغيرها. لكن جميع هذه الممارسات والانتهاكات الإسرائيليــة الجسيمــة لأبســط حقوق الإنســان وقواعد القانــون الدولي، هذه السياسات العدوانية، الاستعمارية العنصرية، وإن كان العالم منشغلاً بمواجهة كورونا، فإنها لم تثل من عزيمة وإرادة المقدسيين، الذين اعتصموا بمتاريسهم وواجهــوا بصدورهم العاريــة، كدأبهم، جرائم الاحتــلال، دفاعاً عن وجودهم ومدينتهم واستمروا في المبادرات المجتمعية الخلاقة.

وفي هــذا الصــدد، وفي ظل الأوضــاع الاقتصاديــة الصعبة، وانتشــار فيروس "كورونا" المستجد، أطلقت مجموعــة من المتطوعين مبادرة شبابية بعنوان "كن عونــاً لأخيــك"، بهدف مساعــدة الأسر الفقــيرة والمحتاجة في مدينــة القدس المحتلــة، وتأتي هذه المبادرة فيما يعاني سكان القدس ظروفاً اقتصادية صعبة، بسبب إجراءات وممارســات الاحتلال الإسرائيلي وقوانينه العنصرية الهادفة لإفقــار المقدسيين وتهجيرهم من مدينتهم المقدســة، حيث يعيش ما يزيد على 78 % منهم تحت خط الفقر.

وكان لرئيس أساقفــة سبسطية للروم الأرثوذكس المطران **عطا الله حنا** دعوة

إلى تشكيل لجنة إغاثة مقدسية تضم في صفوفها رجال دين وشخصيات وطنية واعتبارية يتحلون بـ"المصداقية والشفافية والاستقامة". وقال: "نحن لا نعلم متى ستنتهي أزمة كورونا، ومدينة القدس وخاصة البلدة القديمة فإن الغالبية الساحقة من شبابها أصبحوا بين ليلة وضحاها متعطلين عن العمل، فغالبية المؤسسات والفنادق والمصالح التي كانوا يعملون بها قد أُغلقت وهؤلاء معيلون لأسرهم، ودعا إلى تشكيل لجنة من هذا النوع ولجان شعبية في أحياء القدس بأسرع وقت لإغاثة من يحتاجون للمساعدة وخاصة المواد التموينية الضرورية التي يجب أن تصل إلى مستحقيها والأسر التي فيها أطفال ويحتاجون لعناية خاصة. وفي هذا السياق نفسه، والتزاماً من جامعة القدس بالدفاع عن مدينتها، كانت دعوة الجامعة لإطلاق حملة نوعية تتجاوز المسافات والجدران لنصرة القدس، فقد أطلقت جامعة القدس، والشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية، وصندوق وقفية القدس، ومحافظة القدس حملة بعنوان "القدس تناديكم لتنتصر على كورونا" بسبع لغات. وتعتمد هذه الحملة على التبرع من خلال منصة ذكية بعنوان :www.helpalquds.org، وتختص الحملة بدعم القطاع الصحي والتمكين الاقتصادي وتوفير المنح الدراسية للطلبة من أبناء العائلات المتضررة من انتشار وباء كورونا المستجد.

وتهدف الحملة إلى إلقاء الضوء على الدور الحيوي والأساسي الذي تلعبه مساهمات المجتمع المدني والمنظمات والمؤسسات، وكذلك الجمعيات والنقابات من مختلف الدول العربية لدعم القدس ونصرتها للتصدي لما تتعرض له مدينة القدس من عدوان، واستهداف، واستيطان، وتهويد لهوية القدس العربية الإسلامية، والدفاع عن مقدسات العرب والمسلمين في فلسطين. فإذا ما انشغل العالم بوباء كورونا فهل ينشغل العرب والمسلمون فيه عن وباء الاستيطان والتهويد؟ الذي يوظف وباء كورونا كما يعلن نتنياهو رسمياً لخدمة وتنفيذ وباء القدس.

نَصّ الأرض في "يوم الأرض"
ضفيرة على أكتاف الحصان

د. المتوكل طه

بلادي جَنّةٌ تامّة، نموذجٌ يقرّب صورةَ جنّة الآخرة إلى الناس في الدنيا.

لم يجهد إنسان بلادي في ترتيب المشهد الأكبر وتحسينه، لأن الطبيعة قد أكملت زينتها، فاستفزّت خيال قاطنيها لعلهم يجترحون عالمًا أكثر حُسْنًا وإبداعًا وكمالًا ممّا يرون.. لكنّ الواقع أكثر جمالًا وألقًا من المعيش الملموس، حتى اعتقد الكثيرون أن الجنّة التي كان فيها آدم وحوّاء، قبل أن يقترفا إثم الأكل من الشجرة المُحرّمة، هي بلادنا، وأنّ آدم وحواء طُردوا منها لأنهما أطاعا الشيطان، الغريب عن الجنّة، التي أغاظته بأناقتها، وبعثت فيه الغيرة، فدفع أهل الجنّة للخطيئة، ليهبطوا إلى أرض يباب أُخرى، يألمون ويُعانون، ويكونون صيدًا سهلًا لوساوسه البغيضة.

كان الراكبُ أو الغريب المسافر لا يخشى شيئًا في تلك الليالي النهارية، فيذرعون البلادَ طولًا وعرضًا، ودفوفهم توقّع الصدى مع خبب الراحلة والحادي، والسراج البعيد يتهيّأ لأن يقدّم ما لديه للعابرين، دون سؤال.

هذه هي بلادي الواقعة وسط الدنيا بالتمام والكمال، إنّها أرض اللبن والعسل، حتى إنّ آبائي لم يجدوا معوزًا يقدّمون له حاجته، لفرط ما استغنى البشر، حتى إنّهم نثروا القمح على رؤوس الجبال، حتى لا يجوع الطير.

وظـلّ أهـل بـلادي، مثل سـكان الفـردوس، ردحًا طويـلًا، لا يجوعـون ولا يضْحون ولا يعـرون، وقد نُزع الحقد والكره والبغضاء والتحاسـد والشـهوات الممنوعـة من طبيعتهم، فكانوا ملائكة على شاكلة بشر آدميين.

وثبت أن ألواح العدالة وروايات السلام وعلوم الحياة قد صدرت من هنا، فتعلّم حمورابي في كتاتيبها، ونحت الإمبراطور أشوكا الهندي صخور المراسم مما وصل إليه منها، وأن الوحي لم يعـرف طريقًـا أقـرب إلى الأرض من بلادي، التي هي أرض السـماء عـلى هذا الكوكب، ونافذة البسيطة، التي تعرج منها الصلوات والتبتّل إلى الله العظيم.

كانت الشـمس والقمر والنجوم لنا، وكانت أساور الأعياد لنا، والنور الفوّاح من كهرمانها لنا، وكنّا نلهج بالدّعاء للشـعوب التي تختنق بظلمتها في مغاور الثلج والتوحّش والضياع، ليجعلوا، مثلنا، زهور أرضهم أكاليل لتيجان الملوك العادلين.

كنّـا نـرى كلَّ شيء بوضوح، الصبـاحَ الجميل، والضفائرَ الطائرة، ونومَ العشـب، ودغدغةَ الشلال للصخر، ولهاثَ الفرس في الربيع، وقشعريرةَ العروس على الحرير.

*

أيتهـا الأرض! لقد وضع شـيطانك يديه عـلى كنوز الكلام.. أعطِنا قليلًا منه حتى تعشـب الدروب ونباهي الجَمال.

*

وربّـما اخترعت إيزابيل الليندي بلدًا، ليعوّضها الفقدان الفاجـع للوطن، بتحويله إلى متنٍ لغـوي.. إلى محـض كلمات! عـلى رأي الزميلة لطفيـة الدليمي. لكن بلادنـا كبيرة وحاضرة وعميقـة إلى حـدّ أنها تفيض بلادًا أخرى، كأنها تبسـط فوق العدم أرضًا فتصبح يابسـة، لها جغرافيتهـا الكاملـة، أو أنهـا تسـتخرج من البحـار والمحيطـات كل القـارات والجُزر التي غرقـت، فتجعل لها سـندًا وأوتادًا وصفائح تحملها من جديـد، وتُظهرها، ثانيةً، للعيان، فما هي إلاّ شهور قليلة حتى يجفّ طينها، وتعاودها الطيور، وتخضرّ من جديد.

بلادي كأنّها الفضاء غير المحدود، الذي يتّسع كلّما انفجرت مجرّة، أو تناثرت نجوم وكواكب في هذا الهوّ اللامتناهي المخيف.

وهـي أرض تتثنّـى فوق بعضهـا طبقات وراقـات، فثمة أرض هنـا، وأرض فوق، وأرض تحـت، تتلاقـى نهاياتها، لتمتدّ إلى نهاية أخرى، سرعان ما تصل إلى سـاحل من رمل أو ماء. والآفاق تَتّسع دون حواف تشير إلى نهاية ما.

وتراب بلادي عسجد، وشجرها طوبى، تطرح ثمرًا، من كل لون وطعم، ولها ريح المسك. بيوتها من بلّور ورخام وطين مخبوز. ممرّاتها مرصوفة بقطع منمنمة متجاورة كقطع الحلوى، وشـوارعها أحـلام، أو ممـرات أنهار غـيّرت مجراها، لتأخذ مسـارب أعمق بـين المرتفعات والمنخفضات، فتشتعل ضفافها بالخضرة الغامقة.

هي أرضنا منذ جفّفت حواء مشيمتها على صخرة فيها، فجاء جدّي العملاق الأوّل، الذي كان، إذا جـاع، يمدّ ذراعه في البحر فيمسـك الحوت، ثم يرفعه إلى عين الشـمس فيشـويه، ليوزّع لحمه الطريّ الساخن على عشاء العائلة.

كانت الغصون تفيض بلبائها على يدَيْ جدّتي، ويتجعّد العسـل الدافق بين الشـقوق، لتلمّه أمّـي، وتقـدّم الـضروع حليبها السـكّري، دون طلـب من أهـلي، والأرض ترفـع حنطتها وحبوبهـا وبقولهـا إلى الخوابي، والزيـت يتفصّد بين البدّ والبدّ سـائلًا يـضيء الليالي، ويرنّق أرغفة الطابون.

لم يكـن المعبد بعيـدًا، بل هو قصر من حجارة غشـيمة أعلاها أجدادي، وسـقفوها بجرود وجـذوع، وبطّنوهـا بطين الغريّن الطحينـيّ، بلونه البنيّ البِكْر. وفرشـوا الحصيرة والمزاود لسجودهم عند الشروق والغروب.

ولطالما شـهدت سـاحات بـلادي دبكات، جعلت عرائـش الصيف تبعـث قطوفها قناديل شهد، يتراقص نداها مع مناديل السَمَر الجامع.

وكثيرًا ما يمرّ الضبع، فيأنس بنار الساحة، ويمضي إلى شأنه، والحظائر مطمئنّة.

*

كأني أتذكّر؛

كيف لم تنطفئ المواقد أمام البيوت، بل ران عليها الرماد السـاخن، لتشتعل قبل أذان الفجر ثانيـة، كالعادة، ليشرب المزارعون حليبهم المُحَلّى بالعسـل والزبيب، أو الشـاي مع رغيف

ساخن يغمّسونه بزيت الزيتون والزعتر، ويفغموا ما تيسّر من أزرار بندورة الحقل الفوّاحة. وتسير القوافل محمّلة بما جادت به البساتين والمزارع من خضار وفواكه، أو ما جمعوه من سمن وبيض وأجبان وصابون مطبوخ، ويربطون أقفاص الدجاج البلدي والزغاليل والأرانب على ظهور دوابهم، قاصدين البلدات المجاورة والمدن، أو يشدّون أسرجتهم حاملين محاريثهم وفؤوسهم إلى البراري، لمواصلة ما بدؤوه قبل آلاف السنين، من زرع أو قطاف أو حصاد أو تشذيب وسقاية.

ويكتمل مشهد أجراس الجِمال والبغال وهي تدبّ خارج القرى والمزارع، وبخار الأرض المُفْتَرَعة لتوّها يوزّع رائحة فحولة المحراث، وغمامات الطوابين، ولهاث أباريق تغلي على النار يطبخون عليها مشاربهم العطرية، التي تضمّخ الفجر، الذي راح يشقشق وينفرج عن شمس تطلع بكامل جدائلها السابحة. والنهار يأتي عندما لا يكون لدينا ما نخفيه.

وفي المدن مشهد آخر، يبدأ مع حركة هادئة، سرعان ما تزداد تدريجيًا فترى المحلات والدكاكين تشرّع أبوابها، وعربات تنوء بأحمالها، من كل صنف ولون، مكشوفة ومعلّبة، تقف أو تواصل مسيرها، وجَلَبة تفيض بها الساحات والشوارع والأزقة، من أصوات ونداءات وأبواق سيارات وباعة، وروائح وأدخنة ومشاة، فتبدو المدينة كأنها كرنفال يبشّر باحتفالٍ كوني، وكل ما تراه يسعى ليتمّم هذا المهرجان الباذخ الكبير.

وأينما ولّيت وجهك ترى بساطًا أخضر يغطّي أبعد ما يصل إليه نظرك، من بيّارات ومزارع وحقول وأسراب لا تنتهي من الأشجار الممتدة المتراصفة، كأنها بلا نهاية، تفوح بعطورها وسِحرها الخلاّب المريح. إنها زهرة نادرة في بلاد الله!

هي لوحة سماوية وضعها القدر، كاملة بعناصرها الفيّاضة على أرض بلادنا، من شرقها إلى غربها، ومن شمالها لجنوبها، حتى يسأل الزائر نفسه، إذا ما مرّ بها، فيهمس لروحه متعجّبًا: ما هي الجنّة إذا كانت هذه هي الدّنيا؟ وسعادة الجنّة تكمن في مشاركة الناس بعضهم بعضًا.

لبلادي، هذه الجنّة الربّانية غنّى المُغنّي، حينما غرق في وهج عينيها الساطع، قال لها: أنتِ قصّة قلبي، قبل أن تكون عقوبة قلبه عقودًا طويلة وقاسية.

لقد سمعها تقول له: خُذْ النبيذ الذي يتدفّق من صدري، والزهرةَ المخضلّة من فمي، فصارت حروفها تتقطّع مع أنفاسه، وتنغرز على شفتيه وشْمًا عميقًا لا يمّحي.

يـا بلادي! يا بنت الشـمس وأم القمر وشـقيقة النجوم، ماذا كنت تفعلـين في أحلامي؟ لا ليـس حلمًا، بل كنتُ أردّد اسـمك، وأنطـق بالكلمات التي تفكّرين بها، وكان اسـمك عذبًا كالينبوع أو سُكَّر الأعراس، وأخاف أن يعيش العالم وحيدًا.. من دونك يا بلادي!

❋

وعصفـت الريح السـوداء، وجـاء الطامعون من كل فجّ يلهثـون وراء ما تمور به بلادي من خير، وقد حسـدوها عـلى العفّة والاطمئنان ورغد العيش الهانـئ. فظهرت الهوام، وجفّت الينابيع، ونشفت الحقول.. ووضعت الحواجز، وانتظروا الخيبة والخسران، من أعداء قساة أشرار. ونبضـت العـروق خوفًـا في الليـالي المدلهمّة، وفزعـت القلوب مـن صليل الهجوم المباغـت، وانكتمت صرخات، وناحت الصدور وجاحت الأفـواه المذبوحة الثكلى، ونزح الكثيرون وانكفؤوا، وبدت الذلّة والانكسار على الوجوه، بعد أن كان البِشْر لونها البريء.

❋

وفجأة!

لا، ليـس فجـأة! لقد صرخ مجنـونُ البلدة في الهزيع، مُحـذّرًا الناس من أنّ الغرباء سـيأتون على مراكبهـم السـوداء، بوجوههم الغوليّة المشـوّهة وقرونهـم الحادّة وأظفارهـم التي هي مخالب ذئـاب هرمـة، يحملون السـواطير والقضبـان البرونزية التي تشرّ حـدّة، وبملابسـهم المعدنيّة المُطْفأة.. سـيهبطون على الشاطئ، في ليل بهيم، ينهبون ويسلبون، وسيبيدون القصور والقلاع والمعابد، وسـيدخلون البيوت من أوّلها حتى آخرها، سيغرزون سكاكين أيديهم الآثمة القذرة في بطـون الحوامـل، وينزعـون الأجنّة من الأرحام، وسـيقهقهون وهـم يرفعونها وهي تنبض بالدم الفوّار، وسيلتهمونها، فتتبقّع وجوههم بفقاقيع تتخثّر، فيصبحون أكثر رعبًا وتوحّشًا.

قـال: سـيَدْهمون القـرى كلّهـا، وسيشـعلون الحرائـق في البيـوت والدواويـن والدكاكـين والحقـول، وسـيرقصون عـلى إيقـاع اللّهـب المسـعور، وسـيجأرون ويضربـون بأذرعتهم الأبواب فيحطّمونها، ويقطّعون رؤوس الشيوخ والأطفال، ويستحيون النساء الصغيرات، وهم يخلعون ضفائرهن فتنسلخ جلدة الرأس وتنبع بالدم الدفّاق.

وسينجو القليلون، ليبدأ المُغنّي بكائيّته من لغة زائغة مجنونة الحنين، دائخة، تبحث عمَّن بقي من الأشياء والوجوه، بعد هذا الدمار المريع.

سيقف على تلّة في البعيد، لعلّ أرضه تتراءى له، ليقول: كان كلامي العذب مخبأً في عينيك، ولطالما قلتِ لي أن أصيح باسمك عندما أشتاقكِ، وها أنذا أصيحُ.. فلا تأتين!

كنتِ تشعّين بجسمكِ تحت غلالات الضباب، وها أنتِ تنغلقين على سوادٍ تام.

لقد أفقدوك براءتك وعفّتكِ، وأطبق الملحُ على شفتيكِ؟

لقد خرج أهلك مفزوعين، وكانوا ينظرون إلى الوراء، ودمهم يتهاطل من أجسامهم، ودموعهم ملء وجوههم. وكانت الأشجار تنخلع عن عَرْشها الأبدي، وتجري نحوهم لتعانقهم العناق الأخير، وكانت حجارة البيوت المهدومة تتطاير باتجاههم لتقبّل رؤوسهم وأكتافهم.. وتودّعهم، وتبكي وحدتها مع الصبّار اليتيم.

وظلّ السراج يرتعش في البيوت التي انذبحت، وبقي الفتيل يتغذّى من الدم الذي شخبت به الأبدان والجدران، فعبّأ حوض السراج الصغير، وهذا ما تراه يومض من بعيد في الظلام!

وليس لك الآن، أيها المُغنّي، إلاّ أن تحرس السنبلة التي حملها ذلك الفتى اللاجئ، بعد أن استلّها من حقله، قبل أن يحرقوه، ووضعها في جيبه.

خُذ حبّات السنبلة وابْذرْها في كل الحقول المحيطة بالأرض، لتمتلئ الحدود بالموج الأشقر.

*

يا ليتهم صدّقوا مجنون البلد المبروك، الذي كان يكرز في وحشة الليل، يشرخه بصراخه، محذّرًا من الغرباء، الذين سيَدْهمون البلد، ويستبيحونها من كل الجهات، بعد أن انشغلت البلد بنفسها، وتقاتلت فيما بينها، وبطرت، وتقحّمت المحارم، وطاشت ببذخ وإسراف، بدل أن ترعوي، وتشكر الخالق على نِعمه وفضْله. وكان على بلادنا أن تحوّل أخطاءها إلى ذهب.. لكنها لم تفعل.

تشظّى أهل البلد، ونزحوا إلى الظلال وركنوا خلف التلال، وصمتوا وذبلوا، وراحوا يَزْجون أيامهم بالتذكّر والتحسّر على ما مضى من عزٍّ غابرٍ لن يعود، ما دامت سواحلهم كسولة، ترغي برتابة، لم يشقّ عبابَها قاربُ محاربٍ ذو شراع أسود متين. وهناك على السواحل حطّ الغزاة الغرباء، وأقاموا بيوتهم، وراحوا يبحثون عن منابع العطاء والكنوز. وصارت الأرض التي اغتصبوها مكانًا وثنيًّا لإقامة الشعائر الخرافية.

وضاقت البلاد، وانسدلت ستائر مبهمة سميكة من البعيد، جعلت المدائن من خلفها غائمة لا تُرى، وقيل لقد هدمها الغزاة، وتبدّلت، وصارت مدنًا أخرى. وانحسر جزء من أهلي في هذا المكان. وتوقّف الزمان.

لكنّ إرهاصة الجمر قد توهّجت، وبدت كأنها وردة أسطورية ستملأ الدنيا بنارها المقدّسة، لتنجو الأرض ثانيةً من اليباب والظلام.. فكانت الفرس التي اخترقت المسافات فانقدح الشّرر من حولها، وأومضت البلاد بأُوارها، وسالت أعرافُ السابحةِ بعسلها الفضي المرشوق، فشهقتِ البلادُ بالنرجس والشقائق والحبق.. واستيقظت الأقواس! فانظروا راية السماء.

*

لماذا تنظرين إلينا ولم تكوني ثالثنا الملاك؟! أعرف أننا ولدنا جميعنا قبل الحياة، وكنا صغارًا نلهث بين الكواكب، ونتقافز بين النجوم، وننزلق على الغيوم، وتأخذنا العتمة اللّزجة، ونشهق مع سطوع الإبهار الضوئي، هناك كانت بلدتي الغائمة، وهناك رأيت صبية من ياسمين أبيض، وفيما بعد علمت سبب النار التي اندلعت في المجرّات.

*

تلك الصورة التي تحضر كاملة أمامي، وأحبها!

في الحقول المتراصّة المرصوفة تنفرد الأرضُ الحليقة لتوّها، ولم يتبق على وجهها غير العقير النابز أو صليبة قمح أو شَعير أو حابون حِلْبة أو ذُرة، كأنها قلاع انفرطت، وتعلو بحبوبها اللعوبة العابقة! والبيادر المتفتّحة تشرب رذاذ نجومها الماسيّة. وفي الآفاق المفتوحة خيّالةٌ يلعبون بسيوفهم، كأنهم يطيرون فوق سروجهم، وهم يطاردون فرائسهم، أو يتسابقون في الهواء. وهنا، ثمة محراث يفترع الأرض فيفتحها، لتصعد من جراحها الريّانة فحولةٌ تعبِّئُ المدى. وفي الأعالي الواطئة رفّ الشنّار الدارج والسابح في فضاءات حرير الصّبا. وهناك القامات المنحنية كأنها تركع لتلتقط القرون الخضراء والأزرار الحمراء، أو تجزّ قامات العروق المائسة.

وترى عن كثب رجلًا بفأسه يُجلِّف ويحوّط كأنه يرسم لوحة من التراب المنُقّى، ليَبْذُر أو يزرع في أحواض ومساكب تشكّلت كلوحة "الضومنة" المالسة، وحولك مَنْ يملأ

المصحـان والقدح والقوطية أو السـلال بأكوام الخضرة والإضمامـات، ويرتّبها كالجدائل، ويسـوّيها ليظهـر أحلاها. وبعد قليل، سـتحمل البغال الشـطنيات المليئـة بالتبن أو فردات الحبـوب وأكياس القرون اليابسـة. وسـيبقى ذلك الرجل في خُصّه تحت عريشـته الخضراء يتمدّد على الأرض، ويضع رأسه على الغيم وليس على العلو أو المخدّة.

وفي كل الجهـات تتناثـر المواقد، وتنفـرد الهنّابة والبواطـي والمناقل والمجوّر معبّـأةً طازجةً، والأيـادي تتحلّق حولها، تأكل وتشرب بحركات هانئـة رتيبة، وهبوب الزاد في كل مكان. ويتنـادى الجـيران، يتعازمون ويدعون بالعافيـة بعضهم لبعض. وتظـلّ الحواكير وأعراس الحصـاد والـزّرع وسـحابات الجـذور الفـوّاح وما سيسـكن الجـرار والخـوابي والصوامع مشـهدي الأثير. سأذكر شـليات الغنم والطروش والقطعان المتشـابهة المتراصّة الذاهبة إلى المراعي، وخلفها كلاب الحراسـة اللاهثة، والرعاة يلقون على أكتافهم الشـنيف أو الخُرْج، الـذي يحتـوي على رغيف وناي وما تيسّر من طعام، منهم من سـار خلـف أتانه أو حماره أو دونها، كأنه يقصد البعيد، ولا يعنيه سوى قطيعه، أو امرأة تضع الجذل على ظهرها، وتمضي مع حكاياتها المتفجّرة.. إلى هناك. وسأذكر، كيف كانت حِزم أشعة الشمس الفتيّة تقع صلبة على الأرض، فينبسط دثارُ الذهب الغامر، وتتجلّى الزهور البرّية بلونها الجلّناري الذي يكاد دمُه ينقط على التراب، وبركان التيجان تتزاحم لتشـكل بسـاطًا سـحريًا يخفق كأنه سيطير، دون جـدوى! وتطالعك تجاعيد الجبال الملتحيـة الخلاّبة، والحصان المكحّل يصهل في قلبها الزيتـوني، فتعلو نافورة النثار المضيء، وكأن الناي يتـماوج، فيجرح صفحة النابض المتوثّب الظمـآن والمثخـن بزهر النبيـذ المُشرق كدوائر النـور الملّون. وعلى ضفاف السناسـل المرتّبة بعناية أصابع الآلهة القديمة تشهق حبّات العسل الفتيّ، والشجر يتنفّس بعطر الصخور.

*

لا أعرف الحنين! لأنني في البلدة التي أحملها معي في مشاويري، وحملتني إلى عرش الليمون، وما زلنا ضفيرة على أكتاف الحصان.

سياسة إسرائيل تجاه الأقصى[1]

د. محمود محارب

باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

مقدمة

تحرّم الشريعة اليهودية دخول اليهود إلى الحرم الشريف الذي يطلقون عليه «جبل الهيكل»، وتعدّ دخولَهم إليه مخالفة دينية خطيرة عقوبتها الموت. ويعود ذلك إلى وجوب الحفاظ على طهارة المكان الذي كان فيه الهيكل وفق زعمهم وعدم تنجيسه بدخول اليهود إليه دون التطهر من النجاسة. ووفق الشريعة اليهودية، فإنّ أهمّ مصادر النجاسة هي لمس الموتى أو لمس أناس وجدوا في مكان فيه موتى أو المكوث مع أناس وجدوا في مكان فيه موتى. وتنتشر هذه النجاسة وتنتقل بسرعة من شخص إلى آخر بمجرد أن يلمس المصاب بها شخصًا آخر أو يجلس معه. وكانت عملية التطهر من النجاسة تتمّ في الزمن الغابر، وفق الموروث الديني اليهودي، بواسطة لمس رماد بقرة حمراء مخلوط بالماء. وبعد انقراض البقرة الحمراء وخراب الهيكل، الذي يدّعي اليهود أنه كان موجودًا في الحرم الشريف، باتت عملية التطهر من النجاسة متعذّرة، لذلك حرّم حاخامات اليهود طوال العصور الماضية دخول اليهود إلى الحرم الشريف لأنهّم يعدّون نجسين وفق الشريعة اليهودية[2]. وتحرّم

(1) منشورة في مجلة "سياسات عربية" الصادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عدد 19، آذار 2016.

(2) موطي عنبري، الأصولية **اليهودية وجبل الهيكل** (القدس: دار النشر ماغنس للجامعة العبرية، 2008)، ص: 2.

الشريعة اليهودية دخول اليهود إلى مجمل مساحة الحرم الشريف التي تبلغ (144) دونمًا وليس فقط إلى مساحة المكان الذي يُدّعى أنّ الهيكل كان موجودًا فيه، وذلك لعدم معرفة مكان وجود الهيكل بدقّة وعدم معرفة مقاييسه الدقيقة ومكان وجود الجزء الأكثر أهمية فيه الذي يُطلق عليه "قدس الأقداس"، وهو مسكن الربّ يهوه وفق الموروث الديني اليهودي، وكان يحفظ فيه تابوت العهد ولا يدخله أحد إلا الكاهن الأكبر الذي يدخله مرة واحدة في السنة في يوم الغفران[1]. وعلى مرّ العصور، أصدر كثير من الحاخامات الذين احتلّوا مكانةً مرموقةً للغاية في اليهودية، أمثال موسى بن ميمون (رامبام) وموشيه بن نحمان (رامبان) وشلومو يتسحاكي (راشي)، فتاوى حرّمت دخول اليهود إلى الحرم الشريف وحرّمت كذلك صلاتهم فيه. وأكّدت هذه الفتاوى أيضًا أنّ بناء الهيكل لن يتمّ بواسطة البشر وإنّما بواسطة المسيح (المشياح) المُنتظر عند مجيئه عند اقتراب الخلاص النهائي.

ووفق الموروث الديني اليهودي فرض الرب على اليهود، منذ خراب الهيكل الثاني، العيش خارج فلسطين في شتّى أصقاع الأرض إلى أن يظهر المسيح (المشياح) المخلّص عند اقتراب الساعة والخلاص النهائي. وإلى أن يأتي المسيح المخلّص (المشياح)، وهو كائن حيٌّ من لحم ودم ويرافق مجيئه حدوث معجزات وأعجوبات، حرّم الرب على اليهود ثلاثة أمور أساسية وهي: **أوّلا**، الثورة أو التمرّد على الشعوب والدول التي يعيشون بين ظهرانيها. **ثانيًا**، تعجيل الخلاص أو إجراء حسابات عن الزمن المتبقّي لمجيئه. **ثالثًا**، الهجرة إلى فلسطين بشكل جماعيّ[2]. وعلى الرغم من ذلك، يكاد لا يخلو عصر إلا أعلن أحد اليهود عن نفسه، لأسباب مختلفة، أنّه هو المسيح المخلّص. وكان أشهر هؤلاء شبتاي تسفي (1629 – 1676) الذي يكنّى بـ"مشياح الكذب"، المولود في إزمير والذي ادّعى أنّه المسيح المخلّص، وأخذ ينشر دعوته في صفوف اليهود في الإمبراطورية العثمانية وأوروبا في عامي (1665 – 1666)، معلنًا أنّ ساعة الخلاص قد أزفت. واستجاب لشبتاي تسفي عدد لا بأس به من اليهود. وعندما وصل إلى إسطنبول اشتكاه أحد حاخامات اليهود في المدينة إلى السلطات العثمانية فقامت هذه السلطات بإلقاء القبض عليه وتخييره بين اعتناق الإسلام أو الموت، ففضّل الخيار الأوّل وأسلم وأصبح اسمه بعد إسلامه عزيز محمد أفندي؛ وأسلم معه أيضًا عدد من أتباعه. وفي العصر الحديث، أعلن أتباع الراب مناحم شنيئرسون ميلافوفيتش زعيم

(1) نداف شرجاي، جبل **النزاع: الصراع على جبل الهيكل** (القدس: منشورات كيتر، 1995)، ص: 28.

(2) أفيعيزر رافيتسكي، النهاية **المكشوفة ودولة اليهود: مسيانية وصهيونية وراديكالية دينية في إسرائيل** (تل أبيب: عام عوفيد 1993)، ص: 89 – 93.

حركة "حباد" أنهّ هو المسيح المنتظر، وظلّ أتباعه متمسّكين بهذا الموقف حتى بعد موته في عام (1994)، وعدّوا موته ما هو إلا غيبة قصيرة ليعود ثانية ليقود عملية خلاص اليهود[1].

حدّد سيفي رخلفسكي في كتابه «حمار المسيح» ثلاثة توجّهات رئيسة ظهرت كردّة فعل بين صفوف اليهود الدينيين على الصهيونية. **أوّلا**، الرد الحريدي وعدّ الصهيونية خطيئة ومعصية للرب لأنهّا تخرج على المحرمات التي فرضها الرب على اليهود بدفعها تعجيل النهاية والهجرة اليهودية الجماعية إلى فلسطين. **ثانيًا**، التيار الصهيوني الديني الذي تمثّل في حركة مزراحي (مركز روحاني) بقيادة الراب يتسحاك ريينس (1839 – 1915). وأيدّ هذا التيار الحركة الصهيونية وعدّها حلًّا عمليًّا للمشكلة اليهودية في أوروبا لسعيها إلى إيجاد ملجأ آمن لليهود. وأيدّ الراب يتسحاك ريينس من هذا المنطلق مشروع إنشاء دولة يهودية في أوغندا الذي أقرّته المنظمّة الصهيونية العالمية في مؤتمرها السادس في عام (1903). **ثالثًا**، توجّه الراب أبراهام يتسحاك هكوهين كوك (1865 – 1935) الذي سعى إلى إقامة حركة دينية يهودية روحانية موازية للحركة الصهيونية، وأطلق عليها "ديغل يروشلايم" (علم القدس).

ووفق رؤية الراب أبراهام كوك فإنّ الحركة الصهيونية العلمانية تقوم بإنشاء البنية التحتية المادية للدولة اليهودية، في حين تنشئ حركة "ديغل يروشلايم" الدولة من الناحية الدينية الروحانية. وعندما تتمّ العملية المادية في بناء الدولة يأتي دور "ديغل يروشلايم" لتقيم مملكة إسرائيل التي تستند إلى الشريعة اليهودية وقيمها النافية للقيم الغربية، ولتحلّ الروحانية مكان المادية وأحكام الشريعة اليهودية مكان النظام الديمقراطي المستند إلى القيم الغربية.

أعطى الراب أبراهام كوك للحركة الصهيونية ولسعيها إنشاء دولة يهودية بُعدًا مسيائيًّا خلاصيًّا وعدّ أنّ الصهيونية تشكّل «بداية الخلاص»، وذلك على الرغم من إدراكه أنهّا ليست حركة دينية وأنهّا علمانية يهيمن الإلحاد على قطاعات واسعة منها. وارتبطت رؤية الراب أبراهام كوك لاقتراب الخلاص مع اقتناعه بضرورة التحضير لبناء الهيكل وبالاستعداد أيضًا لتجديد ممارسة الفرائض اليهودية المرتبطة بالهيكل عند بنائه. وفي هذا السياق أسّس الراب أبراهام كوك في عام (1921) "يشيفات توراة كوهنيم" في البلدة القديمة في القدس بالقرب من الحرم الشريف بغرض دراسة تجديد ممارسة طقوس الفرائض الدينية اليهودية المرتبطة بالهيكل، لاسيما طقوس فرائض تقديم القرابين في الهيكل، تمهيدًا لقدوم الخلاص

(1) سيفي رخلفسكي، حمار **المسيح** (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 1998)، ص: 132 – 133.

وبناء الهيكل في الزمن الراهن[1]. فقد اعتقد أبراهام كوك أنّ عملية «الإحياء القومي اليهودي» التي تقوم بها الصهيونية ستقود عاجلًا وفي الزمن الراهن إلى العودة للدين وإلى الخلاص الذي سيتُوّج ببناء الهيكل الثالث في الحرم الشريف[2].

لقد بلور الراب أبراهام كوك مواقف أصولية مسيائيّة متطرّفة تركت بصماتها لاحقًا على الصهيونية الدينية، لاسيما فيما يخصّ إقامة الدولة اليهودية في كل أرض فلسطين، وتطبيق الشريعة اليهودية والفرائض الدينية فيها، وبناء الهيكل، وكذلك فيما يخص الموقف من الأغيار الذين اعتبرهم دون البشر، إذ كتب «إنّ الفرق بين الروح اليهودية في جوهرها ورغباتها الداخلية وصفاتها ومواقفها، وروح كل الأغيار بمختلف أنواعهم، هو أكبر وأعمق من الفرق بين روح الإنسان وروح الحيوان»[3].

وفي كتابه «سلاح ذو حدّين بيدهم: الفاعلية العسكرية في فكر الصهيونية الدينية»، تابع إيلي هولتسر وحلّل موقف الصهيونية الدينية من القوة العسكرية ومدى تأثير هذه القوة العسكرية اليهودية منذ أواخر الثلاثينيات ولاسيما منذ إنشاء إسرائيل في عام (1948)، في فكر الحاخام تسفي كوك – ابن الراب أفراهام كوك وخليفته – بشكل خاص، وفي الصهيونية الدينية بشكل عام. ووقف إيلي هولتسر على العلاقة المتينة للغاية بين تعزّز قوة إسرائيل العسكرية وبين اتخّاذ الراب تسفي كوك والصهيونية الدينية مواقف أصولية توسّعية وعدوانية متطرفّة قبل حرب 1967 ووصولها إلى أوجها بعد هذه الحرب، لاسيما في السبعينيات عند تأسيس التيار الصهيوني الديني بزعامة تسفي كوك في عام 1974 حركة "غوش إيمونيم" (كتلة الإيمان) الاستيطانية[4].

وقد رأى حاخامات غوش إيمونيم أنّ الأهداف التي يسعون لتحقيقها هي مثل الهرم الذي رأسه بناء الهيكل الثالث وقاعدته وجوفه بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي

(1) عنبري، ص: 3.

(2) المرجع نفسه، ص: 16.

(3) رخلفسكي، ص: 104.

(4) إيلي هولتسر، **سلاح ذو حدين بيدهم: الفاعلية العسكرية في فكر الصهيونية الدينية** (القدس: منشورات كيتر، 2009). وانطلاقاً من موقفه الديني الأصولي المتطرف واستنادًا إلى القوة العسكرية الإسرائيلية أيّد تسفي كوك سعي التنظيم السري اليهودي "جال" و"المحتيرت اليهودية" في تفجير قبة الصخرة تمهيدًا لبناء الهيكل كما سنرى لاحقًا.

الفلسطينية المحتلّة عام 1967 بغرض تهويدها. ففي الوقت الذي ركّزت فيه حركة غوش إيمونيم على الاستيطان وأعطته الأولوية القصوى في نشاطها، فإنهّا عدّت الاستيطان جزءًا من سعيها لتحقيق الخلاص الكامل الذي يتوّج في بناء الهيكل الثالث في الزمن الراهن. ووضع التيار الصهيوني الديني وفي مقدمته حركة غوش إيمونيم، الاستيطان اليهودي في القدس الشرقية المحتلة، لاسيما في البلدة القديمة والمناطق المحيطة بالحرم الشريف، في قمة أولوياته. وغلفت حركة غوش إيمونيم وإسرائيل سياستها التوسعية الساعية إلى تهويد القدس والمناطق الفلسطينية المحتلة بخطاب ديني مستند إلى الأساطير[1].

وفي عقد الثمانينيات ازداد اهتمام حركة غوش إيمونيم بمسألة الهيكل، وكان مدخلها في هذا التحوّل سعيها لفرض السيادة اليهودية الإسرائيلية على الحرم الشريف أوّلًا ومن ثمّ مطالبتها في عقد التسعينيات بدخول اليهود للحرم الشريف بغرض الصلاة فيه[2].

إلى جانب ذلك، شرع قطاع من اليهود الحرديم في العقود الأخيرة، لاسيما أتباع حركة حباد بقيادة الراب يتسحاك غينزبورغ في تبنّي أيديولوجية دينية أصولية متطرّفة شدّدت على أنّ ساعة الخلاص قد أزفت. وقد دعا غينزبورغ إلى الالتزام بتطبيق ثلاث فرائض دينية يهودية وهي تنصيب ملك، وإبادة ذُريّة عماليق، وبناء الهيكل. وربط غينزبورغ بين تحقيق هذه الفرائض الدينية الثلاث وبين تحقيق الكمال لثلاثية الشعب والأرض والتوراة التي تبقى منقوصة ما لم يتمّ تحقيق هذه الفرائض الثلاث. فإقامة المملكة اليهودية وتنصيب الملك يحققان وحدة "الشعب اليهودي وكماله"، وإبادة ذُريّة عماليق (الفلسطينيين وفق غينزبورغ) يحقّق "أرض إسرائيل" الكاملة، وبناء الهيكل يحقّق "كمال التوراة"؛ لأنّ بناء الهيكل يجعل تأدية جميع الفرائض اليهودية ممكنًا بما في ذلك تقديم القرابين في الهيكل التي لا يمكن تقديمها إلا بعد بنائه.

وربط غينزبورغ بين اقتراب الخلاص وبناء الهيكل وبين إزالة الأقصى وقبّة الصخرة والمساجد الأخرى في الحرم الشريف والتخلصّ كليًّا من الفلسطينيين من خلال اجتثاثهم

(1) للمزيد عن استثمار إسرائيل للأساطير الدينية بشأن القدس والهيكل لتبرير سياساتها الاستيطانية، انظر: عزمي بشارة، «حول القدس بإيجاز شديد»، «الجزيرة نت، 17/ 12/ 2009، في:

http://bit.ly/1LctqG9

(2) للمزيد انظر شرجاي، ص: 79 – 82.

من فلسطين والقضاء عليهم. وادّعى غينزبورغ أنّ وجود العرب في فلسطين يفسد روح اليهود ويشكّل حاجزًا نوعيًا في علاقة اليهود مع إلههم، وأنّ أيّ علاقة بين العرب واليهود في فلسطين تنقض العهد بين اليهود وإلههم، لذلك ينبغي اجتثاثهم والقضاء عليهم[1].

وشرّع قطاع من الحريديم «القوميين» في عقد السبعينيات في تبنّي أيديولوجية دينية عنصرية متطرّفة بقيادة حركة كاخ التي دعت إلى طرد الفلسطينيين وبناء الهيكل الثالث. فاللقاء بين الصهيونية الدينية والحريدية المتطرّفة في إسرائيل التي لا يوجد فيها فصل بين الدولة والدين ولا بين القومية والدين[2]، قاد إلى مزيد من التطرّف العنصري القابل للانفجار. وقد احتلّ بناء الهيكل الثالث مكانًا مُهمًا في حركة كاخ التي طالبت ببنائه في أقرب وقت في الزمن الراهن وعدم «انتظار نزوله من السماء» و«بمحو المساجد من جبل الهيكل»[3]. وخرج من بين صفوف هذه الحركة ومن صفوف التيار الصهيوني الديني العديد من الحاخامات الذين سعوا لتفجير مسجديْ الأقصى وقبّة الصخرة.

محاولات تدمير مسجدي الأقصى وقبّة الصخرة

بعد وقوع فلسطين تحت الاحتلال البريطاني وتعزّز المشروع الصهيوني في فلسطين تحت الانتداب البريطاني، بدأ يظهر خدش في الإجماع اليهودي بشأن الهيكل، بادر إليه في البداية غلاة المتطرّفين الصهيونيين العلمانيين بالذات. فقد دعت "عصبة الأشداء" اليهودية الفاشية التي تأسّست في عام 1931 بقيادة آبا أحيمئير والشاعر أوري تسفي غرينبيرغ، والتي استقطبت العناصر الأكثر تطرّفًا في الحركة الصهيونية التصحيحية، إلى بناء الهيكل الثالث. كذلك دعت منظمّة ليحي (المحاربون من أجل حرية إسرائيل) الإرهابية في عام 1940 في برنامجها السياسي إلى إقامة مملكة يهودية وفق الحدود التوراتية وطرد العرب منها وبناء الهيكل الثالث في الحرم الشريف كتعبير عن الخلاص اليهودي الكامل[4].

---

(1) للمزيد انظر: يتسحاك غينزبورغ، **مملكة إسرائيل**، مجلدان (رحوفوت: جال عيني، 1999)؛ ويتسحاك غينزبورغ، **تصحيح الدولة: برنامج عملي لتصحيح دولة إسرائيل وفق الكبلاه والحسيدوت** (كفار حباد: جال عيني، 2005).

(2) للمزيد عن هذا الموضوع انظر دراسة عزمي بشارة، "التوتر بين الدين والسياسة في سياق الشرق الأوسط"، مجلة نظرية ونقد (صيف 1991)، ص: 105 – 141؛ وعزمي بشارة، من يهودية الدولة إلى شارون) (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية "مواطن"، 2005)..

(3) شرجاي، ص: 89.

(4) يعقوب بناي، **جنود مجهولون** (حياليم ألمونيم)، (تل أبيب: إصدار مجموعة أصدقاء، 1958)، ص: 61 – 62.

ولم تكتف منظمّة ليحي الإرهابية بذلك، وحاولت أثناء حرب 1948 تدمير المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة والمساجد الأخرى في الحرم الشريف. فقد وضعت منظمتا الإتسل وليحي[1] خطّة عسكرية لاحتلال القدس القديمة قبل يوم واحد من دخول اتفاقية وقف إطلاق النار بين إسرائيل والدول العربية حيّز التنفيذ. وفي هذا السياق وضع قائد منظمّة ليحي في منطقة القدس يهوشواع زوطلر خطّة عسكرية لتفجير المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة والمساجد الأخرى في الحرم الشريف عند احتلاله. وجهّزت منظمّة ليحي إحدى مجموعاتها العسكرية بعشرين حقيبة عسكرية مليئة بالمواد شديدة الانفجار لتدمير المسجد الأقصى وقبّة الصخرة والمساجد الأخرى في الحرم الشريف. بيد أنّ فشل الهجوم العسكري الذي شنّته القوات العسكرية الصهيونية في احتلال القدس القديمة في 16 تموز/ يوليو 1948 حال دون تنفيذ ليحي لمخطّطها[2].

وبعد وقوعه تحت الاحتلال الإسرائيلي في عام 1967 تعرّض المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة إلى سلسلة طويلة من الاعتداءات ومحاولات الحرق والنسف. وكان من أبرز هذه الاعتداءات قيام مايكل روهان في 21 آب/ أغسطس 1969 بإضرام النار في المسجد الأقصى ما أدّى إلى اشتعال النيران فيه وحرق أجزاء واسعة ومهمّة منه تعود إلى مئات السنين، كان من بينها منبر صلاح الدين الأيوبي، وإطلاق الجندي الإسرائيلي ألن غودمان، النار من بندقيته الرشاشة على المصلين المسلمين في الحرم الشريف في (نيسان/ أبريل 1982) ما أدّى إلى قتل وجرح العديد من المصلين المسلمين، وإطلاق الشرطة الإسرائيلية النار على المصلين في الحرم الشريف في الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر 1990، عند احتجاجهم على محاولة حركة "أمناء جبل الهيكل" وضع حجر الأساس لبناء الهيكل في الحرم الشريف، ما أسفر عن مقتل 17 مصليًّا مسلمًا وجرح كثيرين.

إلى جانب هذه الاعتداءات الإسرائيلية جرت كثير من المحاولات اليهودية الإسرائيلية لنسف المسجد الأقصى وقبّة الصخرة. فقد نشطت العديد من الحركات اليهودية السرية

(1) وفق الاتفاق الذي جرى بين يسرائيل غليلي ومناحم بيغن رئيس منظمة إتسل حلت منظمة إتسل نفسها كمنظمة عسكرية في بداية حزيران/ يونيو 1948) وانضم أعضاؤها للجيش الإسرائيلي، وكذلك فعلت ليحي. ولكن بقي لمنظمتي إتسل وليحي وجود عسكري مستقل في القطاع اليهودي من القدس الغربية، والذي انتهى في 20 أيلول/ سبتمبر 1948 في أعقاب اغتيال منظمة ليحي الكونت برنادوت.

(2) شرجاي، ص: 16.

التي وضعت لها هدفًا محدّدًا وهو نسف المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة وتدميرهما مقدّمةً لبناء الهيكل. ومن أبرز هذه الحركات السرية، التنظيم الإرهابي الذي عرف باسم "جال"، والتنظيم الإرهابي السري اليهودي الذي عرف باسم "همحتيرت هيهوديت"، والتنظيم الإرهابي الذي عرف باسم "عصابة لفتا".

التنظيم الإرهابي "جال"

تأسّس التنظيم الإرهابي "جال"[1] (الخلاص لإسرائيل) في أواسط السبعينيات. وقد خطّط هذا التنظيم الإرهابي للقيام بثلاث عشرة عملية عسكرية يتمّ تنفيذها خلال مدّة محدّدة لا تتجاوز أربعين يومًا، وكان أخطر هذه العمليات العسكرية التي جرى التخطيط لها بدقّة هي عملية تفجير المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة[2].

أسّس هذا التنظيم يوئيل ليرنر (1941 – 2014)، الذي ولد في الولايات المتحدة وعاش حياة علمانية مع عائلته التي كانت تتنقل بين الولايات المتحدة ودولة جنوب أفريقيا التي تلقّى تعليمه للثانوية العامة فيها. وعندما بلغ التاسعة عشرة هاجر إلى إسرائيل واستوطن فيها وتعلّم في الجامعة العبرية، وشرع في الوقت نفسه في التدين وانضم إلى حزب الديني القومي (المفدال)، ثمّ انخرط في صفوف "عصبة الدفاع اليهودية" بقيادة مئير كهانا ولاحقًا إلى حركة "كاخ" الفاشية وبات من أهمّ وأبرز منظّريها. وعند توقيع إسرائيل ومصر اتفاق فصل القوات بينهما وعقد مؤتمر جنيف للشرق الأوسط، صعّد ليرنر من نشاطه من أجل إفشال إمكانية التوصل إلى سلام بين إسرائيل ومصر، فقام بحرق عدد من المؤسّسات المسيحية في القدس، ما أدّى إلى اعتقاله. ووجدت الشرطة الإسرائيلية عند اعتقاله وتفتيش منزله خطّة مكتوبة وضعها ليرنر لتفجير مسجد قبّة الصخرة من أجل إفشال إمكانية التوصل إلى سلام بين مصر وإسرائيل، وحكمت عليه محكمة إسرائيلية بالسجن لمدة عامين وشهرين[3].

وخلال وجوده في السجن استمر ليرنر في التفكير في كيفية نسف قبّة الصخرة وشرع يخطّط لتأسيس تنظيم يهودي سري إرهابي من أجل القيام بتدمير مسجدي الأقصى وقبّة الصخرة.

(1) «جال» هذا الاسم هو الحرفين الأولين من اسم هذه الحركة وهو «جؤولاه ليسرائيل» أي الخلاص لإسرائيل.

(2) شرجاي، ص: 85.

(3) المرجع نفسه، ص: 87.

واستغل ليرنر سماح سلطات السجن له بالخروج من السجن لزيارة عائلته، بقيامه بزيارة الراب تسفي يهودا كوك رئيس «يشيفات مركز الراب»، الذي يعدّ أهمّ حاخام في التيار الصهيوني الديني. وبعد خروجه من السجن واصل ليرنر اتصاله مع الراب تسفي كوك. وبعد أن فارق الراب تسفي كوك الحياة بسنوات طويلة، كشف يوئيل ليرنر النقاب عن دور الراب تسفي يهودا كوك في تأسيس التنظيم الإرهابي اليهودي «جال». فقد ذكر ليرنر أنّه تشاور مع الراب تسفي كوك بشأن تفجير قبّة الصخرة وإقامة تنظيم سري يهودي من أجل تنفيذ ذلك، وأكد أنّ دور الراب تسفي كوك لم يقتصر على التشاور فحسب، وإنّما قام بربطه «مع الأشخاص المركزيين في هذا الأمر»، وأنّ الراب تسفي كوك كان شريكًا فعليًّا في تأسيس التنظيم، وأنّه عرف عن العملية المخطّطة لنسف مسجد قبّة الصخرة، وأنّه «كانت هناك خطط وعمليات مرتبطة بالسلاح وبالمواد المتفجرة التي عرف عنها الراب كوك، وفي بعض الأحيان غيّر الراب كوك شيئًا هنا وشيئًا هناك ولكن ليس في الأمور المهمة». وشمل تنظيم «جال» السري الإرهابي وفق ما كشف النقاب عنه ليرنر عددًا من أعضاء الكنيست المتدينين، ووزيرًا في الحكومة الإسرائيلية[1].

وتشكّل تنظيم "جال" من ثلاث دوائر من الناشطين، وعملت كل دائرة بمعزل عن الدائرة الأخرى، وشملت الدائرة الأولى القيادة، في حين كان دور الأعضاء في الدائرتين الأخريين القيام بتنفيذ العمليات التي تناط بهم. وكان أعضاء إحدى هاتين الدائرتين يتمتّعون بقدرات عسكرية وتنظيمية عالية، في حين لم يكن أعضاء الدائرة الأخرى ناضجين بما فيه الكفاية. وقد قامت السلطات الإسرائيلية في عام 1977 باعتقال أعضاء الدائرة التي لم تكن ناضجة بعد، وبلغ عدد أفرادها ثمانية عناصر. ففي ذلك العام أبلغ أحد العناصر ليرنر بأنّه حصل على قنبلة يدوية، وأنّه يخطط لإلقائها على الطلاب العرب الذين كانوا يتظاهرون في الجامعة العبرية في تلك الفترة. وقد خشي ليرنر أن يؤدّي القيام بالعملية ضد الطلاب العرب إلى الكشف عن التنظيم السري. ويبدو أنّه على خلفية ذلك، جرى الكشف عن التنظيم السري. فبعد فترة وجيزة أعلنت السلطات الإسرائيلية عن إلقائها القبض على تنظيم "غال" السري قبل شروعه بتنفيذ العملية التي استهدفت نسف مسجد قبّة الصخرة. ولم تتمكّن السلطات الإسرائيلية من معرفة جميع أعضاء "غال" السري وظلّ أعضاء

(1) المرجع نفسه.

الدائرتين غير معروفين حتى الآن[1].

التنظيم اليهودي الإرهابي السّري (همحتيرت هيهوديت)

عمّ السرور صفوف اليمين واليمين المتطرفّ الإسرائيلي، لاسيما المستوطنين وحركة "غوش إيمونيم" (كتلة الإيمان)، عند صعود حزب الليكود إلى دفّة الحكم لأول مرة في إسرائيل في عام 1977، ولكن بعد زيارة الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل في عام 1977 وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر في عام 1979 وقبول إسرائيل الانسحاب من سيناء مقابل سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، ساد السخط صفوف المستوطنين وحركة غوش إيمونيم وغلاة التوسعيين الإسرائيليين. وحاولت حركة غوش إيمونيم و"الحركة لوقف الانسحاب من سيناء" التي تأسّست في تلك الفترة، إفشال الانسحاب الإسرائيلي، وبدأ يدور حديث همسًا في صفوف حركة غوش إيمونيم عن إمكانية حدوث "أعجوبة" لوقف الانسحاب. ولم تكن هذه الأعجوبة أو "المعجزة" سوى القيام بنسف مسجد قبّة الصخرة والمسجد الأقصى وتدميرهما. وفي الوقت نفسه طالبت قيادة حركة غوش إيمونيم في سعيها لوضع العراقيل أمام انسحاب إسرائيل من سيناء بربطه بموافقة مصر والدول العربية بالسماح لليهود بالصلاة في الحرم الشريف بشكل علنيّ ومنظّم. وفي غضون ذلك، كانت مجموعة قيادية صغيرة في حركة غوش إيمونيم ضمّت كلًّا من يهودا عتسيون ومناحم ليفني ويشوعه بن شوشان، تعمل لتشكيل تنظيم يهودي سري وتضع خطّة لنسف قبّة الصخرة. وقد رأت هذه المجموعة التي بات يطلق عليها لاحقًا التنظيم السري اليهودي (همحتيرت هيهوديت) أنّ تفجير مسجد قبّة الصخرة يحمل قيمة عُليا بحدّ ذاته؛ لأنّه سيكون مقدمة لبناء الهيكل، وفي الوقت نفسه يقود إلى إحباط انسحاب إسرائيل من سيناء المقرّر استكماله في ربيع 1982. لذلك قرّرت قيادة هذا التنظيم السري الإرهابي تنفيذ مخطّطها لنسف مسجد قبّة الصخرة عشية استكمال إسرائيل للانسحاب من سيناء بهدف إفشاله[2].

أسّس كل من يهودا عتسيون ومناحم ليفني ويشوعه بن شوشان هذا التنظيم لتحقيق هدف

(1) المرجع نفسه، ص: 89 – 90.

(2) حجاي سيجل، **الأخوة الأعزاء: تاريخ التنظيم السري اليهودي** (القدس: منشورات كيتر،)1987، ص54. مؤلف هذا الكتاب هو العضو القيادي في التنظيم السري اليهودي (همحتيرت هيهوديت)، وقد كتبه عندما كان يقضي محكوميته في السجن بعد انكشاف أمر التنظيم السري.

أساسي محدّد وهو تفجير مسجد قبّة الصخرة. وقد نشط هذا التنظيم منذ أواخر السبعينيات وحتى عام 1984 وضمّ في صفوفه 29 عضوًا خدموا في الجيش الإسرائيلي، وانتمت أغلبيتهم العظمى إلى التيار الصهيوني الديني. أولت قيادة التنظيم السري أولوية قصوى لبناء الهيكل الثالث في الحرم الشريف وعدّته واجبًا دينيًّا ينبغي القيام به في الوقت الراهن كجزءٍ من عملية الخلاص. ومن ناحية أخرى، عدّت قيادة هذا التنظيم أنّ الحرم الشريف، لاسيما المسجد الأقصى وقبّة الصخرة، يشكّل قوة دينية وروحانية للشعب الفلسطيني ويعزّز من تطلّعهم للتحرّر من الاحتلال والنهضة. ورأت أنّ تفجير قبّة الصخرة والمسجد الأقصى وإزالة كل ما يمتّ بصلة للإسلام في الحرم الشريف هو واجب ديني يهودي ينبغي أن يحتلّ تنفيذه الأولوية القصوى باعتباره مقدمة ضرورية لبناء الهيكل، وأنّه كان على إسرائيل إزالة كل ذكر للمقدسات الإسلامية في الحرم الشريف فور وقوعه تحت الاحتلال الإسرائيلي. وخلافًا لحركة غوش إيمونيم التي أعطت أولوية قصوى للاستيطان في المناطق المحتلّة، وعدّت الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها في تلك الفترة مثل الهرم الذي رأسه الهيكل وقاعدته بناء المستوطنات وتهويد الأراضي الفلسطينية المحتلّة، فإنّ قيادة هذا التنظيم الإرهابي رأت في أولوياتها أن يكون الهرم معكوسًا. ففي البداية يتعين بناء الهيكل والتخلّص كليًّا من المقدسات الإسلامية في الحرم الشريف ومن ثمّ يتمّ تعزيز الاستيطان. إذ رأت أنّ تفجير قبّة الصخرة وبناء الهيكل في الحرم الشريف من شأنه أن يحدث هزّة نوعية في المجتمع الإسرائيلي، ويؤثّر تأثيرًا حاسمًا ومهمًا للغاية فيه، ويعجّل من جلب الخلاص لليهود[1].

ومن أجل تنفيذ مخطّطهم ومنحه شرعية دينية يهودية، اتفّق قادة هذا التنظيم الإرهابي، يهودا عتسيون ومناحم ليفني ويشوعه بن شوشان، على السعي للحصول على موافقة ومباركة سلطة دينية عُليا، وكلّفوا يشوعه بن شوشان الحصول على موافقة العديد من الحاخامات المهمين للغاية. وكان أوّل الحاخامات الذين توجّه إليهم يشوعه بن شوشان، الراب تسفي كوك رئيس «يشيفات مركز الراب» الذي يعدّ الزعيم الروحي لحركة غوش إيمونيم وللصهيونة الدينية، والذي كانت تربطه به علاقات متينة. وزار بن شوشان الراب تسفي كوك وفاتحه في الموضوع وعرض عليه صورًا ملوّنة لقبّة الصخرة، وقال للراب تسفي كوك بصوت منخفض: «لدينا إمكانية لمحو هذه، وألا يبقى لها أثر، فما رأيك؟»، فنظر الراب تسفي كوك إلى بن شوشان واستفسر قائلًا: «ماذا يعني هذا؟». فأجابه بن شوشان مع

(1) للوقوف على بداية تأسيس التنظيم الإرهابي السري وأهدافه انظر: سيجل، ص: 55 – 66.

إشارة بيديه إنّه يعني محو قبّة الصخرة. فسأله الراب تسفي كوك عن موقف أرئيل شارون من هذا الأمر، الذي كان بن شوشان يتمتّع بعلاقات قوية معه، فتهرّب بن شوشان من الإجابة عن هذا السؤال. ولخّص بن شوشان اجتماعه مع الراب تسفي يهودا كوك بأنّ الراب لم يعارض العملية[1]. واستشار بن شوشان الكثير من الحاخامات بشأن العملية، وقد أيّده بعضهم مثل الراب شالوم شرعبي والراب مردخاي عطية اللذين كانا يعدّان من أهمّ «المكوباليم» في إسرائيل، وبعضهم تحفّظ وبعضهم الآخر عارض. وكشف مناحم ليفني النقاب بعد اعتقاله في وثيقة أطلق عليها «وثيقة الحاخامات» عن مواقف الحاخامات التي بين التأييد والتحفّظ والمعارضة.

ومن الملاحظ أنه على الرغم من علم كثير من الحاخامات والشخصيات الذين جرت استشارتهم، ووصل عددهم إلى نحو ثمانين حاخامًا وشخصيةً، فإنّ أحدًا منهم لم يحاول إحباط هذا المخطّط ولم يبلغ أحد منهم السلطات الإسرائيلية بما يخطّط التنظيم الإرهابي السري اليهودي القيام به[2].

ويستشفّ من الحوارات التي أجراها قادة التنظيم السري، سواء داخل التنظيم أو خارجه مع الحاخامات ذوي النفوذ الذين جرت استشارتهم، أنّ ردّات الفعل داخل المجتمع الإسرائيلي وردّات فعل الدول العربية والإسلامية والعالم على العملية، كانت تشكل أحد الاعتبارات الأكثر أهمية في الموقف من تأييد العملية أو التحفظ منها أو معارضتها. وكانت دوافع الذين تحفّظوا أو عارضوا القيام بتدمير قبّة الصخرة لا تعود من حيث المبدأ لتنفيذ العملية، وإنما كانت تعود أساسًا إلى أنّ الوقت لم يحن بعد للقيام بتدمير مسجديْ الأقصى وقبّة الصخرة وأنّه يتعين القيام بذلك بعد تحضير المجتمع الإسرائيلي لذلك وبعد أن يصبح الوضع الإقليمي والدولي أكثر ملاءمةً. أمّا قيادة التنظيم الإرهابي اليهودي فقد قلّلت من خطر ردّات الفعل العربية والإسلامية والدولية على إسرائيل وعلى اليهود في العالم. وأكّد يهودا عتسيون منظّر هذا التنظيم وأكثر قادته دعوة وحضًّا على هدم مسجديْ قبّة الصخرة والأقصى، أنّ ردّات الفعل العربية الإسلامية والدولية لن تتعدّى المستوى الخطابي والإعلامي والقيام بالتظاهرات في الدول العربية والإسلامية في أنحاء العالم، وأنّ الدول

(1) المرجع نفسه، ص: 56.

(2) شرجاي، ص: 116.

العربية والإسلامية لن تشنّ حربًا على إسرائيل بسبب هدم مسجد قبّة الصخرة[1].

قاد عملية التخطيط لتفجير مسجد قبّة الصخرة ضابط الاحتياط في الجيش الإسرائيلي مناحم ليفني، الذي يعد القائد العسكري للتنظيم السري الإرهابي، والذي اكتسب خبرة واسعة خلال خدمته في سلاح الهندسة في الجيش الإسرائيلي. وكان أعضاء هذا التنظيم قد خدموا في الجيش الإسرائيلي وأغلبيتهم خدمت في وحداته المتميّزة. وقام هذا التنظيم السري باستعدادات كثيرة في التحضير لعملية تفجير مسجد قبّة الصخرة، شملت مراقبة الحراسة على الحرم الشريف بشكل عام وعلى مسجد قبّة الصخرة بشكل خاص في ساعات اليوم المختلفة. وأعدّ التنظيم المتفجّرات شديدة الانفجار وخبّأها في القدس وفي أماكن أخرى قريبة ليتمّ استعمالها في الوقت المحدّد. إلى جانب ذلك، حصل يهودا عتسيون من مكتبة الآثار في الجامعة العبرية في القدس على كتاب متخصّص كتبه عالم آثار فرنسي عن بنية مسجد قبّة الصخرة وعن نوعية جميع أعمدة ودعائم المسجد وسمكها وطول محيطها الدقيق وعن نوعية ومواصفات جدرانه الدقيقة، من أجل وضع الكميات الكافية من المتفجرات حول أعمدة ودعائم مسجد قبّة الصخرة الكفيلة بتفجيره تفجيرًا كاملًا وحرقه[2]. وقد وضعت قيادة التنظيم السري العديد من الخطط والخطط البديلة لكيفية تنفيذ العملية، كانت إحداها دخول عناصر التنظيم السري إلى الحرم الشريف في الزي العسكري للجيش الإسرائيلي تحت غطاء إجراء تمرين عسكري للجيش الإسرائيلي في كيفية إخلاء جميع الموجودين في الحرم الشريف لوجود قنابل فيه.

واستمرت الاستعدادات التي قام بها التنظيم السري الإرهابي لتفجير مسجد قبّة الصخرة شهورًا طويلة، وازدادت وتيرة هذه الاستعدادات لتنفيذ العملية مع اقتراب استكمال الانسحاب الإسرائيلي من سيناء في ربيع 1982. بيد أنّ جملة من العوامل أدّت إلى تأجيل تنفيذ العملية، كان أهمها موت الراب تسفي كوك قبل شهرين من استكمال إسرائيل انسحابها من سيناء، واقتحام الجندي ألن غودمان، في 11 نيسان/ أبريل 1982 وإطلاقه النار على المصلين المسلمين في الحرم الشريف، كما ذكر آنفًا، وذلك قبل أسبوعين فقط من استكمال الجيش الإسرائيلي انسحابه من سيناء، وقبل فترة وجيزة من الموعد الذي حدّده

(1) سيجل، ص: 108 – 120.

(2) شرجاي، ص: 118 – 120.

التنظيم السري لتفجير مسجد قبّة الصخرة. وقد أدّت هذه الجريمة والتي لم تكن لها علاقة مع التنظيم السري الإرهابي، إلى زيادة الحراسة على الحرم الشريف بشكل كبير.

وعلى أثر استكمال إسرائيل الانسحاب من سيناء في نيسان/ أبريل 1980 دون أن يتمكّن التنظيم الإرهابي اليهودي من تفجير مسجد قبّة الصخرة لإفشال الانسحاب، دبّت نقاشات بين أعضاء التنظيم السري اليهودي بشأن أولوياته. إذ رأى بعضهم أنّ على التنظيم الإرهابي إيلاء استهداف الفلسطينيين في المناطق المحتلّة الأولوية، من أجل ردعهم عن مقاومة الاحتلال، في حين طالب آخرون بالتمسّك بالهدف الأصلي للتنظيم الإرهابي وهو نسف مسجد قبّة الصخرة. وكان هذا التنظيم الإرهابي قد استهلّ نشاطه الإرهابي في الثاني من حزيران/ يونيو 1980 بعملية استهدفت قتل قيادة لجنة التوجيه الوطني في الضفة الفلسطينية المحتلّة بوضع ألغام في سيارات رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة، ورئيس بلدية رام الله كريم خلف، ورئيس بلدية البيرة إبراهيم الطويل. وأدّت هذا العملية الإرهابية إلى إصابة بسام الشكعة بجروح بليغة أدّت إلى بتر ساقيه، وإصابة كريم خلف بجروح بليغة أدّت إلى بتر قدمه[1].

وتمخّض عن هذه النقاشات في صفوف التنظيم اليهودي السري الإرهابي الاتفاق على الاستمرار في التحضير لنسف مسجد قبّة الصخرة وتحيّن الفرصة الملائمة لذلك، وفي الوقت نفسه الاستمرار في العمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين في المناطق المحتلّة. وفي 26 تموز/ يوليو 1983 شنّ عدد من عناصر هذا التنظيم هجومًا بالقنابل اليدوية والأسلحة الرشاشة على الكلية الإسلامية في الخليل، ما أدّى إلى استشهاد ثلاثة طلاب وجرح العشرات[2]. وفي 27 نيسان/ أبريل 1982 وضع عدد من عناصر هذا التنظيم عبوات ناسفة شديدة الانفجار في خمس حافلات فلسطينية في القدس الشرقية المحتلّة بغرض قتل أكبر عدد من الفلسطينيين لإرهابهم[3]. وقد اكتشفت هذه العبوات الناسفة قبل فترة وجيزة من انفجارها وقامت السلطات الإسرائيلية باعتقال أعضاء هذا التنظيم وقادته البالغ عددهم

(1) قدم حجاي سيجل في كتابه **الأخوة الأعزاء** المذكور أعلاه وصفًا دقيقًا للاستعدادات التي قام بها التنظيم السري اليهودي وكيفية تنفيذه محاولة اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة، ص: 73 – 100.

(2) سيجل، ص: 152.

(3) المرجع نفسه، ص: 161 – 165.

29 عضـوًا وتقديمهـم للمحاكمة. وقد حكمت عليهم بالسـجن أحكامًـا مختلفة، بيد أنّهم خرجوا منه بعد قضائهم فترة وجيزة فيه، ولم يسـجن فعليًّا أيّ منهم أكثر من سـت سنوات ونصف السنة.

حركات الهيكل

ظهـرت خلال العقـود الثلاثـة ونيّف الماضيـة عشرات الحـركات والجمعيـات والمنظمات اليهودية التي تأسّست خصّيصًا لمعالجة موضوع الهيكل أو تلك التي وضعته في قمّة أولوياتها. وتسـعى هذه الحركات إلى طرح موضوع الهيكل على الرأي العام الإسرائيلي من أجل حثّ المجتمـع الإسرائيلي ودفعـه لوضع بناء الهيكل الثالث في قمّـة أولوياته. ومع أنّ هدف هذه الحـركات النهائي، سـواء المعلن أو المبطن، هـو بناء الهيكل، فإنّ طروحـات هذه الحركات ورؤاهـا بشـأن الهيكل تتعدّد طبقًا لتخصّصاتها. وتدعـو كل واحدة من حركات الهيكل إلى تحقيـق هدف واحد أو عدّة أهـداف أو معظم أو جميع الأهداف التالية: أوّلًا، دخول اليهود إلى الحرم الشريف. ثانيًا، دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه. ثالثًا، منع المسلمين من دخول الحرم الشريف. رابعًا، بناء كنيس يهودي في الحرم الشريف. خامسًا، هدم مسجد قبّة الصخرة وبناء الهيكل مكانه. سادسًا، هدم المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة وجميع المسـاجد في الحرم الشريف وتدمير كل ما يمتّ للعرب والمسـلمين بصلة في الحرم الشريف وبناء الهيكل الثالث.

ويمكن تصنيف حركات الهيكل وجمعياته وفق الأهداف التي وضعتها كالتالي:

- بنـاء الهيـكل بيـد البـشر: "معهد الهيـكل" و"الحركـة لبناء الهيـكل "و"نسـاء من أجل الهيكل".
- جعـل الحـرم الشريـف (جبل الهيـكل) مركزًا قوميًّـا دينيًّـا ثقافيًا: حركـة "أمناء جبل الهيكل" وحركة "إلى جبل هامور".
- السماح لليهود بالصلاة في الحرم الشريف: "حركة حقوق الإنسان في جبل الهيكل".
- السعي إلى فرض سيطرة اليهود على الحرم الشريف وعدم السماح للمسلمين بدخوله: "حركة جبل الهيكل لنا" و"حركة إنقاذ الشعب والهيكل".
- التركيز على دراسة طقوس العبادة وتقديم القرابين في الهيكل: "المعهد لدراسة الهيكل

في متسبي يريحو" و"يشيفات توراة الهيكل" و"يشيفات جبل الهيكل".

• التركيز على إعادة إنتاج أدوات العبادة المطلوبة في طقوس العبادة في الهيكل: "معهد الهيكل" و"بيت الفنان العبري" و"معهد أعمال الهيكل".

• التثقيف ونشر المعلومات والدراسات عن الهيكل: "المعهد لمعرفة الهيكل".

وتستعمل حركات الهيكل وجمعياته ومنظماته مجموعة من الذرائع والتبريرات والدوافع لتبرير تحقيق أهدافها وبناء الهيكل، وأبرزها:

• المسيانية: ترتبط الدعوة لبناء الهيكل ارتباطًا وثيقًا بالمسيانية. فثمّة ادّعاء سائد في أوساط دينية يهودية أنّ بناء الهيكل يشكل خطوة مهمّة وحاسمة في تقديم الخلاص وتعجيله. وقد ربط التنظيم السري الإرهابي اليهودي محاولته تفجير مسجد قبّة الصخرة في بداية عقد الثمانينيات، ربطًا متينًا بتعجيل "الخلاص" وبالتأثير في موقف المجتمع الإسرائيلي من الخلاص وبناء الهيكل، وعدّ التنظيم السري الإرهابي نفسه الطليعة التي تسير أمام المعسكر وتقوده لبناء الهيكل لتحقيق الخلاص.

• تطبيق الشريعة اليهودية: ثمّة مفهوم ديني أصولي في اليهودية الذي يدعو إلى العودة وممارسة كامل فرائض الشريعة اليهودية، لاسيما تلك المرتبطة ممارستها بتقديم القرابين في الهيكل، والتي تصل نسبتها إلى نحو ربع مجموع الفرائض الدينية اليهودية.

• العلاقة الحميمة مع "الرب": ثمّة ادّعاء ديني يهودي أصولي أنّ بناء الهيكل يمكّن اليهود من إقامة علاقة حميمة مع الرب "يهوه"، فالهيكل هو مسكنه، وعدم وجود الهيكل يشوّش على التدين العميق وعلى إقامة علاقة وطيدة وقوية مع يهوه.

• القومية: سعت الحركة الصهيونية إلى تحويل الديانة اليهودية إلى قومية وديانة في آن واحد، وإلى تحويل أتباعها إلى أمّة بالمفهوم العصري لمصطلح الأمّة. ويستعمل العديد من حركات الهيكل العامل القومي في تبرير بناء الهيكل في الحرم الشريف. ويرى العديد من حركات الهيكل أنّ الهيكل الثالث الذي تدعو لبنائه يمثّل "وحدة الأمة"، فهو يشكّل وسيلة مهمّة لتحقيق الوئام والنظام والوحدة، وإلغاء الخلافات الأيديولوجية والاتجاهات الفردية، وجمع اليهود تحت علم واحد وهيكل واحد، وصهر المجتمع

اليهودي في جسم عضوي واحد[1].

حركة "أمناء جبل الهيكل"

بدأت حركة "أمناء جبل الهيكل" نشاطها في أواخر الستينيات بعد احتلال إسرائيل للحرم الشريف في حرب 1967، وهي أقدم حركات الهيكل. واستقطبت عند تأسيسها ناشطين من أتباع "حركة أرض - إسرائيل الكاملة" وأعضاء سابقين في منظّمتيْ "اتسل" و"ليحي" العسكريتين وكذلك فئات دينية يهودية مسيانية. ودعت هذه الحركة منذ تأسيسها إلى فرض السيادة اليهودية الكاملة على الحرم الشريف ومنع دخول المسلمين إليه وهدم المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة وجميع المساجد الأخرى وكل ما يمتّ للإسلام بصلة فيه، وإلى بناء الهيكل في الحرم الشريف[2]. أولت حركة «أمناء جبل الهيكل» الحرم الشريف أهّمية قصوى في عملية تحقيق الأهداف الصهيونية كاملة، وأكدت أنّ السيادة اليهودية والأهداف الصهيونية تبقى منقوصة ما لم يتمّ تهويد الحرم الشريف بالكامل. وبناء على ذلك دعا رئيس حركة «أمناء جبل الهيكل» إلى جعل الحرم الشريف في أسرع وقت مركزًا ورمزًا قوميًّا ودينيًّا يهوديًا إسرائيليًّا وإلى بناء الهيكل بعد تدمير كل ما يمتّ للإسلام بصلة في الحرم الشريف، وكذلك إلى بناء المحكمة العُليا الإسرائيلية فيه. ورأى أن تتمّ فيه مراسم تنصيب رئيس الدولة، وأن تفتتح فيه الكنيست أولى جلساتها بعد الانتخابات العامة، وأن يقيم فيه الجيش الإسرائيلي عروضه العسكرية[3].

أدى غرشون سلمون دورًا مهمًا في تحديد أهداف حركة "أمناء جبل الهيكل" وسياساتها والتكتيكات التي تتبعها لتحقيق أهدافها. ولد غرشون سلمون في عام 1935، وانخرط منذ صغره في صفوف شبيبة المنظمّة العسكرية القومية (إتسل)، وخدم في الجيش الإسرائيلي حتى عام 1960، ثمّ انضمّ بعد تسريحه من الجيش إلى حركة حيروت، وانتخب في عام 1970 في مجلس بلدية القدس الغربية. وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل،

(1) يزهار بئر، "علاقة خطيرة: ديناميكية تعاظم حركات الهيكل في إسرائيل ودلالاتها"، موقع عير عميم، أيار/ مايو 2013، ص: 7، في:

http://bit.ly/1nvF0Rc

(2) عنبري، ص: 113.

(3) شرجاي، ص: 288.

استقال سلومون مع آخرين من حزب الليكود وساهم في تأسيس حزب هتحياه (البعث). ادّعى سلومون أنّ الرب تجلّى له أول مرة في سنة 1958 على أثر إصابته بجروح بليغة كادت أن تودي بحياته في اشتباك مع الجيش السوري، وأنّ الرب يظهر له بشكل منتظم منذ احتلال الحرم الشريف ويحضّه على دخول اليهود إليه وبناء الهيكل[1].

وفي سياق دعوته لتحقيق أهداف حركة «أمناء جبل الهيكل» وسعيه لطرح مسألة بناء الهيكل على رأس أجندة المجتمع الإسرائيلي، درج غرشون سلومون على تقديم طلبات إلى الشرطة الإسرائيلية لدخول أعضاء حركته وأنصارها إلى الحرم الشريف للصلاة فيه. وعند رفض الشرطة الإسرائيلية لهذا الطلب نظّمت حركة «أمناء جبل الهيكل «تظاهرات مترافقة بطقوس دينية بغرض الدخول للحرم الشريف، لاسيما في الأعياد اليهودية مثل: رأس السنة العبرية، ويوم الغفران، والعرش، وحنوكاه، والأسابيع، والفصح، والتاسع من آب، ويوم الاستقلال، ويوم القدس.

وقد تمكّنت حركة «أمناء جبل الهيكل» جرّاء نشاطاتها المختلفة التي شملت – علاوة على التظاهرات – إصدارها نشرات مختلفة مثل جريدة «صوت أمناء جبل الهيكل» التي أصدرتها في السبعينيات وجريدة «إلى رأس الجبل» التي أصدرتها في الثمانينيات، في طرح مسألة الهيكل على الرأي العام الإسرائيلي. وساهم نشاط حركة «أمناء جبل الهيكل «وتظاهراتها ومحاولاتها دخول الحرم الشريف للصلاة فيه ودعوتها المستمرة لهدم الأقصى وقبّة الصخرة وتصدّي الفلسطينيين الدائم لها ولمحاولاتها اقتحام الحرم الشريف، إلى تحويل مسألة دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه ومسألة بناء الهيكل من قضية يهودية دينية مبتوت بها وفق الشريعة اليهودية، إلى قضية صراع مع الفلسطينيين. ووفق استطلاع أجراه معهد بوري في سنة 1981 أيّد 18 % من اليهود في إسرائيل بناء الهيكل فورًا، في حين عارض ذلك 48 بالمئة. وكانت نسبة المؤيدّين لبناء الهيكل في هذا الاستطلاع أعلى بكثير عما كانت عليه نسبتهم الضئيلة والهامشية في أواخر الستينيات. وتبيّن أيضًا من هذا الاستطلاع أنّ نسبة المؤيّدين لبناء الهيكل فورًا بين صفوف مؤيّدي حزبي الليكود والمفدال بلغت 25 %[2].

شكّلت حركة «أمناء جبل الهيكل» منذ تأسيسها وحتى أواسط الثمانينيات إطارًا مركزيًا

(1) المرجع نفسه، ص: 292.

(2) المرجع نفسه، ص: 291.

لمختلف ناشطي الهيكل ذوي الخلفيات والتوجّهات المختلفة، سواء كانت صهيونية أو دينية أو علمانية. وفي عام 1987 تفاقمت الخلافات والصراعات في صفوف حركة "أمناء جبل الهيكل" بسبب مجموعة من العوامل التي تعود إلى أولويات هذه الحركة وإلى شخصية غرشون سلومون "العلمانية" ونمط قيادته الشديدة المركزية. وأدّت هذه الخلافات إلى انشقاق الفئات الدينية من هذه الحركة بقيادة يوسف البويم. فقد رأت هذه الفئات المنشقّة بقيادة يوسف البويم أنّ بناء الهيكل هو أمر ديني صرف وأنّه ينبغي تبعًا لذلك وضع إستراتيجية تتماشى مع هذه الرؤية. وقد أسّس يوسف البويم مع ناشطين آخرين، كان العديد منهم من أتباع حركة كاخ، "الحركة لبناء الهيكل"[1].

أدّى هذا الانقسام في حركة «أمناء جبل الهيكل» وظهور كثير من حركات الهيكل الأخرى في الثمانينيات وأوائل التسعينيات، إلى إضعاف حركة «أمناء جبل الهيكل» وإلى التقليل من نفوذها في أوساط المجتمع الإسرائيلي، لاسيما أنّها بدأت منذ التسعينيات بالتوجّه بشكل أساسي إلى الجمهور الأصولي البروتستانتي في الولايات المتحدة. وقد أدّى هذا التحوّل في توجّه الحركة إلى الجمهور البروتستانتي الأصولي الأميركي ومنحه الأولوية في نشاطها، إلى إحداث تغيير في أولويات حركة «أمناء جبل الهيكل» وسياساتها لتلائم نفسها مع جمهورها الجديد. فعزّزت من علاقاتها مع التيار البروتستانتي الأصولي الأميركي، وباتت تتحدّث وفق توجّهها الجديد عن أربع مراحل لخلاص ليس اليهود فقط، وإنما خلاص العالم بأسره، وهي: تأسيس دولة يهودية، وهجرة جميع اليهود من العالم إليها، وتدمير الأقصى وقبّة الصخرة، وكل ما له صلة بالإسلام في الحرم الشريف، وبناء الهيكل، وعودة المشياح المخلّص. وتمشّيًا مع توجّهها الجديد شرعت هذه الحركة بنشر أدبياتها باللغة الإنكليزية، فبدأت منذ سنة 1999 بإصدار نشرة دورية باللغة الإنكليزية، وأسّست لها في العام نفسه موقعًا باللغة الإنكليزية[2].

(1) عنبري، ص: 127.

(2) للمزيد عن علاقة حركة "أمناء جبل الهيكل" مع التيار البروتستانتي الأصولي الأميركي انظر إلى:
Gershom Gorenberg, The End of Days: Fundamentalism and the Struggle for the Temple Mount (New York: The Press Free, 2000).

انظر كذلك إلى موقع حركة "أمناء جبل الهيكل"، في:

http://bit.ly/1TKiKBK

معهد الهيكل

تأسّس معهد الهيكل في عام 1984، وهو يعدّ من أكثر حركات الهيكل نشاطًا وأهمية. ويهدف هذا المعهد إلى طرح مسألة بناء الهيكل على الرأي العام الإسرائيلي من أجل بنائه في أسرع وقت من خلال مجموعة واسعة من النشاطات، يأتي في مقدمتها دراسة الهيكل، وطقوسه، وأدواته، والقرابين التي كانت تقدم فيه. وهو يتكون من ثلاثة أجسام، وهي: "المعهد لدراسة وبحث وبناء الهيكل" و"المعهد لمعرفة الهيكل" و"بيت الفنان العبري"[1].

أسّس هذا المعهد الراب يسرائيل أرئيل الذي نشأ في التيار الصهيوني الديني وترعرع فيه. وتشكل سيرة يسرائيل أرئيل مثالًا للتحوّل الذي أخذ يتبلور شيئًا فشيئًا في الصهيونية الدينية باتجاه طرح بناء الهيكل قضيةً مركزيةً ينبغي على التيار الصهيوني الديني حمل لوائها. ولد يسرائيل أرئيل في سنة 1939 لعائلة تنتمي للتيار الصهيوني الديني ودرس في يشيفات "مركز الراب"، التي تعد اليشيفاه الأساسية للصهيونية الدينية، ثم خدم في الجيش الإسرائيلي وشارك في احتلال الحرم الشريف في حرب 1967. شغل يسرائيل أرئيل عدّة مناصب عسكرية دينية في الجيش الإسرائيلي كان من بينها منصب الحاخام العسكري للمنطقة الشمالية في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973.

أولى يسرائيل أرئيل أهمية كبيرة لاحتلال إسرائيل للحرم الشريف، وعدّه مرحلة جديدة توجب إجراء مراجعة لأحكام الشريعة اليهودية بشأن الهيكل، وإحداث تعديلات وتأويلات جديدة فيها لكي تتلاءم مع الوضع الجديد، وتسمح لليهود ليس فقط بدخول الحرم الشريف والصلاة فيه وإنّما أساسًا بناء الهيكل وتهويد الحرم الشريف كلية. ففي اللحظة التي وطأت أقدام الجيش الإسرائيلي الحرم الشريف، كان يتعين وفق يسرائيل أرئيل بناء الهيكل وتدمير الأقصى وقبّة الصخرة وإزالة كل ما يمتّ للإسلام بصلة من الحرم الشريف، وعدم انتظار "المشياح" المخلّص ليقوم عند مجيئه ببناء الهيكل. وألّف يسرائيل أرئيل الكثير من الكتب التي عالجت الهيكل وأهميته وضرورة بنائه، كان من بينها موسوعة "الهيكل في القدس". وطوّر في كتاباته مصطلح "يد إسرائيل الصارمة"، وادّعى أنّ النصر الذي حقّقه الجيش الإسرائيلي في حرب 1967 يمثّل الإرادة الإلهية وجاء بفضل عنايته، وأنه يعبر عن نداء من الرب لبناء الهيكل[2]. وتلاءمت دعوة يسرائيل أرئيل لبناء الهيكل وتهويد

(1) عنبري، ص: 38.

(2) المرجع نفسه، ص: 46.

الحـرم الشريف ومحو مسـجد الأقصى وقبّـة الصخرة وكل ما يمتّ للإسـلام فيه بصلة، مع نظرته الشاملة التي دعت إلى طرد العرب من أرض فلسطين وتأسيس الدولة اليهودية وفق الحدود التوراتية. ونشط يسرائيل أرئيل في السبعينيات والثمانينيات في حركة كاخ وكان من أبرز منظّريها وكان مرشّـحها الثاني في قائمتها الانتخابية للكنيسـت في سنة 1981. وحصل يسرائيـل أرئيل في سـنة 2008 على جائزة الدولة للثقافـة اليهودية التي تقدمها وزارة التربية والتعليم سنويًا تقديرًا لنشاطاته وإنتاجه الفكري فيما يخصّ الهيكل وبنائه[1].

نشاطات معهد الهيكل

قام معهد الهيكل منذ تأسيسـه بنشـاطات جمّة في جوانب مختلفة متعلقة بالهيكل والتمهيد لبنائه في أسرع وقت. وشـملت هذه النشاطات نشر الكتب والأبحاث بشأن الهيكل وإعادة إنتاج أدوات المعهد وعقد مؤتمر ديني أكاديمي – سياسي سنوي واسع تشارك فيه فئات مختلفة مهتمة بالهيكل. وشـملت أيضًـا تطوير منهاج تعليمـي عن الهيكل للمـدارس الإسرائيلية الرسـمية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، وإدخال هذا الموضوع في امتحانات الثانوية العامة، إلى جانب الاتصالات المتواصلة مع القوى والأحزاب السياسية لاسيما الدينية واليمينية لتقديم بناء الهيكل.

واحتلّ مشروع إعادة إنتاج أدوات الهيكل التي كانت تستخدم في الهيكل والبالغ عددها 93 أداة أولوية في نشـاطات المعهد. فدأب المعهد منذ تأسيسـه على تنفيذ هذا المشروع، ووظّف العديـد مـن الفنانين اليهـود كان بعضهم من المهاجرين الروس الجدد مـن أجل القيام بهذه المهمـة، وذلك بغرض الشروع في العبادات والطقوس الدينية فور السـماح لليهود بالصلاة في الحرم الشريف وفور بناء الهيكل. وكانت عملية إعادة إنتاج بعض أدوات الهيكل سـهلة وغير مكلفة ماديًا وبعضها الآخر صعبًا ومكلفًا.

وكان مـن أبـرز الأدوات التي أنتجها معهد الهيكل الشـمعدان الذهبي الـذي صمّمه وبناه الفنان اليهودي المهاجر من روسيا حاييم أودم الذي استوطن في مستوطنة عوفراه في الضفة الفلسطينية المحتلة. وبُني الشمعدان من البرونز المطلي باثنين وأربعين ونصف كيلوغرامًا من الذهب. وعلى خلاف جميع الأدوات الأخرى التي وضعت داخل المعهد في مكان مخصّص لها لعرضها على الزوار الذين يزورون المعهد، وُضع الشمعدان الذهبي في الساحة العامة في مستوطنة "الحي اليهودي" في البلدة القديمة من القدس المحتلّة بالقرب من الحرم الشريف.

(1) بئر، علاقة خطيرة، ص 28.

وكل من يصل إلى الحرم الشريف عن طريق "الحي اليهودي" يرى هذا الشمعدان[1].

وفي عام 2013، أتمّ معهد الهيكل بناء "المذبح" الذي يجري فيه تقديم القرابين. وبُني المذبح من الحجارة فقط ودون إدخال مواد أخرى تقليدًا لمذبح الهيكل، وهو مذبح متحرّك وبالإمكان تحريكه بسهولة ونقله إلى داخل الحرم الشريف فور السماح لليهود بالصلاة فيه من أجل تقديم القرابين وفق التقاليد اليهودية القديمة[2].

ودأب معهد الهيكل بعد تأسيسه بعدّة سنوات على عقد مؤتمر سنوي لدراسة الهيكل من جوانب مختلفة لتعميق المعرفة بالهيكل وكل ما يتعلق به ونشر ذلك بين صفوف اليهود في إسرائيل والعالم. وتشارك في تمويل عقد هذا المؤتمر السنوي مؤسّسات رسمية إسرائيلية مثل الحاخامية الرئيسة وبلدية القدس الغربية ووزارة الأديان الإسرائيلية. ويشارك في أعماله إلى جانب الباحثين المتخصصين، مسؤولون إسرائيليون رفيعو المستوى ويشمل ذلك وزراء وأعضاء كنيست وقادة دينيون من مشارب مختلفة مثل الحاخام الأشكنازي الأكبر يسرائيل لاو والحاخام الشرقي الأكبر الياهو باكشي دورون.

وينظّم «المعهد لمعرفة الهيكل» التابع لمعهد الهيكل مشاريع تدريسية وتربوية دينية بشأن الهيكل للمدارس اليهودية الابتدائية والثانوية الرسمية والرسمية الدينية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية التي تقدم له دعمًا ماديًا سخيًّا. وفي عام 1994 ونتيجة لإدخال موضوع الهيكل وطقوسه في متطلّبات امتحان الثانوية العامة (البغروت)، قام معهد الهيكل بوضع خطّة دراسية شاملة للمدارس الثانوية اليهودية في موضوع الهيكل، وشرع بتقديم دروس في المدارس اليهودية الثانوية لمساعدة الطلاب الذين يقدمون امتحانات الثانوية العامة في هذا الموضوع. وفي الوقت نفسه شرع المعهد بتنظيم دورات تعليمية للمدرسين والمفتشين ومديري المدارس اليهودية بشأن الهيكل[3].

(1) المرجع نفسه، ص 26. موّل بناء الشمعدان الذهبي بتكلفة بلغت 5 ملايين شيكل رجل الأعمال اليهودي رئيس مؤتمر يهود أوكرانيا فاديم رابينوفيتش.

(2) المرجع نفسه، ص: 27.

(3) للمزيد عن هذا الموضوع انظر: أور كشتي، «خطة تعليمية إلزامية في المنهاج الرسمي الديني: إيقاظ التطلع لبناء الهيكل، «هآرتس، 22/ 10/ 2015، في:

http://bit.ly/1QL0fXD

واهتمّ معهد الهيكل بتلاميذ المدارس اليهودية وأصدر سلسلة كتب وكراسات وألبومات عن الهيكل مخصّصة لطلاب المدارس الابتدائية. وإلى جانب ذلك، أسّس معهد الهيكل فرقة موسيقية للعزف على الكمان بهدف عزف مقطوعات موسيقية يُدّعى أنّها كانت تُعزَف في الهيكل في الزمن الغابر[1]. وفي عام (1994) أعلن معهد الهيكل عن سعيه لإيجاد بقرة حمراء ذات الصفات الخاصة التي انقرضت منذ فترة بعيدة، وأجرى اتصالات مع وزارة الزراعة الإسرائيلية ومؤسّسات بحثية إسرائيلية في إسرائيل والعالم من أجل هذا الغرض. بيد أنّ محاولات العثور على بقرة حمراء ذات المواصفات الخاصة الصعبة المنال سواء بشكل طبيعي أو بواسطة التخصيب فشلت جميعها[2].

الحركة لبناء الهيكل

تأسّست «الحركة لبناء الهيكل» في سنة 1987 عندما انشقّت عن حركة "أمناء جبل الهيكل" مجموعة بقيادة يوسف البويم ويوئيل ليرنر الذي كان قد سجن ثلاث مرات على خلفية مخطّطاته ومحاولاته هدم مسجد قبّة الصخرة[3]. وقد استقطبت الحركة لبناء الهيكل عند تأسيسها مجموعة من اليهود الحرديم من القدس. وقد عدّت الحركة لبناء الهيكل أنّ بناء الهيكل في الحرم الشريف موضوع ديني يهودي صرف وليس موضوعًا صهيونيًّا أو قوميًّا. وادّعت أنّ ثمّة خطأ أساسيًّا في موقف حاخامات كل من اليهود الحرديم والصهيونية الدينية من بناء الهيكل الذين يحرّمون دخول اليهود للحرم الشريف. وأكدت الحركة لبناء الهيكل وفق مفهومها الخاص للشريعة اليهودية أنّ الشريعة اليهودية ليس فقط تسمح لليهود بدخول الحرم الشريف وإنما أيضًا تحضّهم على دخوله وعلى بناء الهيكل فيه. وينسجم مطلب هذه الحركة لبناء الهيكل وتدمير مسجدي الأقصى وقبّة الصخرة وإزالة كل ما له صلة بالإسلام من الحرم الشريف، مع نظرتها الدينية الأصولية الشاملة التي تدعو فيها إلى تأسيس دولة دينية يهودية تسير وفق التوراة حسب الحدود التوراتية، والتي ترفض القيم الغربية مثل الديمقراطية والحرية والمساواة.

تنطلق الحركة لبناء الهيكل من منطلق أنّ عملية الخلاص وبناء الهيكل تتمّ بيد البشر فقط

(1) بئر، علاقة خطيرة، ص: 41.

(2) شرجاي، ص: 137 – 139.

(3) عنبري، ص: 127.

دون تدخل الرب إطلاقًا ودون ضرورة حدوث معجزات أو أعجوبات. ونادت هذه الحركة بالعمل فعليًا لبناء الهيكل وتجديد تقديم القرابين فيه. وفي هذا السياق، دعت إلى دخول اليهود إلى الحرم الشريف بشكل منظّم وبمجموعات صغيرة الواحدة تلو الأخرى وبالتنسيق مع الشرطة الإسرائيلية دون إحداث ضجّة. وأكد مؤسس الحركة يوسف البويم أنّ دخول اليهود إلى الحرم الشريف ووجودهم الجسدي المتواصل فيه أهمّ بكثير من الاجتماعات والتظاهرات التي تصطدم مع الشرطة الإسرائيلية بشأن الهيكل. فاحتلال الحرم وفق مفهوم يوسف البويم هو الوجود اليهودي الدائم فيه حتى ولو كان في البداية من خلال مجموعات صغيرة ولكن دائمة تدخله يوميًّا. لذلك ما انفكّت هذه الحركة منذ تأسيسها في تنظيم المجموعات اليهودية الصغيرة التي تدخل الحرم الشريف بشكل دائم للصلاة فيه حتى لو كانت هذه الصلاة غير علنية[1].

تكمن أهمية هذه الحركة ليس فقط في أنّ مؤسسها ينتمي للتيار اليهودي الحريدي وإنما أيضًا لأنّها وضعت نصب عينيها هدف اختراق قطاع اليهود الحريديم والعمل لتغيير موقفه من دخول اليهود للحرم الشريف ومن بناء الهيكل. تدرك هذه الحركة أنّ تحقيق هذا الهدف صعب للغاية لأنّ التيار اليهودي الحريدي هو التيار الأكثر تمسّكًا بمعارضة دخول اليهود للحرم الشريف ولبناء الهيكل. بيد أنها تدرك أيضًا بأنّ اختراقها للقطاع اليهودي الحريدي حتى لو جاء ذلك ببطء وبنسبة صغيرة سيؤدّي شيئًا فشيئًا إلى إضعاف المعارضة الدينية اليهودية لدخول اليهود للحرم ولبناء الهيكل فيه. ومنذ تأسيسها نشرت الحركة لبناء الهيكل مجلة شهرية حملت اسم "ليُبنى الهيكل" لنشر أفكارها، لاسيما في صفوف اليهود الحريديم. وتشمل هذه المجلة بابًا ثابتًا يعرض تفاصيل دخول اليهود إلى الحرم الشريف في كل شهر ويظهر فيه المئات من اليهود الذين يدخلون الحرم الشريف شهريًا[2].

حركة "إلى جبل هامور"

أسّس حركة "إلى جبل هامور" في عام 1988 تلميذا الراب يتسحاك غينزبورغ، الراب يتسحاك شبيرا والراب يوسي فلاي الحاخامان في يشيفات "لا يزال يوسف حيًّا"، المقامة في مستوطنة يتسهار. وتهدف هذه الحركة إلى "تشجيع النشاطات التي تعزّز العلاقة اليهودية

(1) المرجع نفسه، ص: 128.

(2) بئر، علاقة خطيرة، ص: 31.

العميقة مع جبل الهيكل وفق الشريعة اليهودية، وتشجيع وزيادة ونشر الوعي اليهودي في هذا الشأن والقيام بالأبحاث والنشر في هذا الموضوع وإقامة معهد لتعميق الصلة بجبل الهيكل"[1]. ودعا مؤسّسا هذه الحركة في كتابهما «إلى جبل الهيكل» إلى دخول اليهود إلى الحرم الشريف، وإلى التسريع في بناء الهيكل في الحرم الشريف، وتدمير كل ما يمتّ بصلة للإسلام في الحرم الشريف، وإلى منع المسلمين من الدخول إليه. وأنشأت حركة «إلى جبل الهيكل» في عام 2000 منظّمة "حراس الهيكل". وينخرط في صفوف حرّاس الهيكل طلاب من يشيفات "لا يزال يوسف حيًّا" ومن مدارس دينية يهودية أخرى. وتطوّع لمنظّمة "حرّاس الهيكل" في السنوات الثلاث الأولى لتأسيسها نحو 2000 شخص، والتزم كل متطوّع منهم أن يخدم يومًا واحدًا على الأقل خلال السنة في هذه المنظّمة. وتهدف منظّمة "حرّاس الهيكل" إلى: أوّلًا، الحرص على أن يدخل اليهود إلى الحرم الشريف وفق تعاليم الشريعة اليهودية. ثانيًا، إعادة الرهبة والإجلال إلى "جبل الهيكل" والتذكير بحرّاس الهيكل في فترة "الهيكل الثاني" في الزمن الماضي. ثالثًا، شرح وتوضيح أنّ المكان الأكثر قداسة لليهود هو الحرم الشريف (جبل الهيكل) وليس حائط المبكى، وأنّه دون الهيكل لا قدسية لحائط المبكى وأنّ زيارة اليهود لحائط المبكى تتمّ فقط للتقرّب إلى الهيكل. رابعًا، يؤكّد حرّاس الهيكل بوجودهم ونشاطهم ضرورة وحتمية سيطرة اليهود على الحرم الشريف وتهويده في أقرب وقت[2].

وتنظّم حركة «إلى جبل هامور» سويّةً مع حرّاس الهيكل وحركة معهد الهيكل وجماعات يهودية من حركات الهيكل الأخرى ومنظّمة «بني عكيفا» التابعة للتيار الصهيوني الديني، وبدعم واسع من مجلس المستوطنات اليهودية في الضفة الفلسطينية المحتلّة، نشاطًا كبيرًا في مساء اليوم الأوّل من الأشهر العبرية، يطلق عليه «دورة البوابات» (سيفوف شعاريم). وينطلق المشاركون في مسيرة «دورة البوابات»، الذين تتراوح أعدادهم بين عدّة مئات إلى عدّة آلاف، من ساحة المبكى ويطوفون حول الحرم الشريف ويخترقون الحي الإسلامي في البلدة القديمة وهم ينشدون ويرقصون. ويتوقّفون قليلًا عند كل باب من بوابات الحرم الشريف ويلقون الخطابات والشعارات التي تدعو إلى بناء الهيكل في الحال وإلى الانتقام من العرب. ويجري تنسيق مسيرة دورة البوابات بالتنسيق مع الشرطة الإسرائيلية التي تقوم

(1) المرجع نفسه، ص: 29.

(2) المرجع نفسه، ص: 30.

بإغلاق المحال التجارية العربية في الشوارع التي تمرّ منها هذه المسيرة[1].

حركة «حيّ وقيوم» (حاي فكيّام)

تأسّست حركة "حيّ وقيوم" في العام 1991 في مستوطنة بات عاين القائمة في الضفة الفلسطينية المحتلّة. وقام بتأسيسها يهودا عتسيون بعد فترة وجيزة من خروجه من السجن لدوره القيادي في التنظيم السري اليهودي الذي خطط لتفجير قبّة الصخرة في بداية عقد الثمانينيات. وشارك أيضًا في تأسيسها موطي كاربل أحد أبرز قادة حركة "هذه بلادنا" (زو أرتسينو) وحاييم نتيف ونوعام لفنات وحاييم أودم الذي صمّم شمعدان الهيكل وبناه. ودعم تأسيس هذه الحركة الراب يتسحاك غينزبورغ رئيس يشيفات "لا يزال يوسف حيًّا". وتتشكّل البؤرة الأساسية لهذه الحركة من عشرات الناشطين الذين تجمّع حولهم المئات من الأنصار.

تدعو الحركة إلى ضرورة بناء الهيكل في الحرم الشريف في الوقت الراهن وتدمير مسجديْ الأقصى وقبّة الصخرة وكل ما يمتّ بصلة للإسلام في الحرم الشريف، وتعمل على طرح ذلك قضيةً مركزيةً ذات أولوية عليا على الرأي العام الإسرائيلي. وإلى أن يتمّ بناء الهيكل ومقدمةً لذلك، تدعو هذه الحركة إلى دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه من دون التنسيق مع الشرطة الإسرائيلية[2]. وكثيرًا ما اصطدم أعضاء هذه الحركة مع حرّاس الحرم الشريف الفلسطينيين ومع الشرطة الإسرائيلية أيضًا لمحاولاتهم المتكرّرة الصلاة في الحرم الشريف. وقد تمكّنت الحركة من خلال اقتحاماتها المتكرّرة للحرم الشريف ونشاطاتها المختلفة بهذا الشأن من طرح مسألة الهيكل على الرأي العام الإسرائيلي، لاسيما على التيار الصهيوني الديني، إذ أخذت فئات من هذا التيار تؤيد نشاط «حركة حيّ وقيوم» لبناء الهيكل[3].

معهد تسومت

تأسّس معهد تسومت في سنة 1977 في مستوطنة ألون شفوت بالضفة الفلسطينية المحتلّة.

(1) عنبري، ص: 185. وكذلك، بئر، علاقة خطيرة، ص: 30.

(2) عنبري، ص: 78 – 83.

(3) أمنون رمون، **موقف دولة إسرائيل والمجتمع اليهودي بمختلف ألوانه تجاه جبل الهيكل 1967 – 1996** (القدس: معهد القدس لبحث إسرائيل، د.ت.)، ص: 19..

ويهدف هذا المعهد إلى إيجاد حلول توراتية لحياة اليهود المعاصرة. ولمعهد تسومت دار نشر تصدر النشرات والكتب التي تعالج متطلبات حياة اليهود في العصر الحديث وفق التوراة. وأولى معهد تسومت لاسيما في العقدين ونيف الماضيين موضوع الهيكل اهتمامًا كبيرًا ونشر مئات المقالات والعديد من الكتب التي عالجت موقف التوراة والشريعة اليهودية من الهيكل. واستقطب المعهد الأقلام الدينية اليهودية لاسيما من التيار الصهيوني الديني، التي دعت إلى دخول اليهود للحرم الشريف وبناء الهيكل وإزالة كل ما يمتّ للإسلام بصلة في الحرم الشريف.

ويصدر معهد تسومت نشرة أسبوعية تحمل اسم «شبات بشباتو» الموجهة للمصلين اليهود في الكنس التابعة للصهيونية الدينية. ومنذ سنة 2004 خصّصت هذه النشرة بابًا ثابتًا يعالج مواضيع الهيكل المختلفة ويدعو إلى دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه. وفي عام 2002 نشر معهد تسومت كتابًا حمل اسم "انهضوا لنصعد" (كومو فنعليه) خصّصه كليًّا لموضوع الهيكل، احتوى عشرات الدراسات والمقالات بأقلام حاخامات من مشارب مختلفة، والذين عالجوا فيه مسألة الهيكل من جوانب مختلفة ودعوا إلى دخول الحرم الشريف والصلاة فيه وبناء كنيس يهودي داخل الحرم الشريف. وساهم معهد تسومت بالتعاون مع معهد الهيكل وحركة "إلى جبل هامور" في تنظيم مؤتمر في "يشيفات حائط المبكى" تحت عنوان "نقترب من تقديم القرابين" لدراسة موضوع طقوس تقديم القرابين التي كانت متبعة في الهيكل[1].

معهد (كوليل) بيت هبحيراه

تأسّس المعهد الديني اليهودي "كوليل بيت هبحيراه" في سنة 1996 في مستوطنة "كرمي تسور" في الضفة الفلسطينية المحتلّة. ويتخصّص هذا المعهد في دراسة الهيكل ومقدساته وطقوس تقديم القرابين فيه، وذلك بغرض الاستعداد للخلاص والتعجيل في استحضاره. وبدأ هذا المعهد سنة 1999 بإصدار مجلة توراتية تحمل اسم "معلين بقودش" التي تنشر أساسًا دراسات ومقالات تعالج تقديم القرابين في الهيكل، ويشمل كل عدد من هذه المجلة بابًا ثابتًا يعالج مواضيع تتصل بمسألة دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه وبناء الهيكل[2].

(1) عنبري، ص: 33.

(2) المرجع نفسه، ص: 34.

منظّمة أنصار الهيكل

على أثر اندلاع انتفاضة الأقصى في تشرين الثاني/ أكتوبر 2000، منعت السلطات الإسرائيلية اليهود من الدخول إلى الحرم الشريف، واستمرّ هذا المنع إلى عام 2003. خلال هذه المدة، نشطت حركات وجمعيات الهيكل اليهودية من أجل إلغائه والسماح لليهود بدخول الحرم الشريف والصلاة فيه. وفي هذا السياق، بادرت حركات الهيكل وفي مقدمتها معهد الهيكل والحركة لبناء الهيكل وحركة "حيّ وقيوم" وحركة "إلى جبل هامور" وحركة "هذه بلادنا" التي أصبحت لاحقًا تحمل اسم "قيادة يهودية" وحركة "نساء من أجل الهيكل"، بتأسيس "منظّمة أنصار الهيكل". وشملت منظمة أنصار الهيكل جميع حركات وجمعيات الهيكل باستثناء حركة "أمناء جبل الهيكل" من أجل تعزيز نشاطاتها وزيادتها للتأثير في مواقف المجتمع الإسرائيلي وجذبه لمواقفها بشأن بناء الهيكل. ورأس منظّمة أنصار الهيكل هليل فايس أحد قادة حركة "قيادة يهودية". وقد نظّمت حركة أنصار الهيكل العديد من النشاطات والفعاليات المختلفة وحاولت تأسيس محكمة دينية لشؤون الهيكل من أجل إصدار فتاوى دينية بشأن كل ما يتعلق بالهيكل. ودعت هذه الحركة إلى بناء كنيس يهودي في الحرم الشريف، وكلّفت مهندسًا معماريًا بتصميم بناء كنيس في الحرم الشريف. وفعلًا صمّم المهندس المعماري غدعون حرلاف كنيسًا يهوديًا يتسّع لألف مصلٍّ يهودي على شكل مدرّج من أجل إقامته في الحرم الشريف مقدمةً لبناء الهيكل. وأكّد المهندس المعماري غدعون حرلاف أنّ أهمية تصميم الكنيس بهذا الشكل تكمن في أنّه يشكّل المرحلة الأولى في بناء الهيكل. وقدّمت منظمّة أنصار الهيكل خطة بناء هذا الكنيس في حينه إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون وإلى لجنة التخطيط في بلدية القدس الغربية وإلى اللجنة اللوائية في منطقة القدس[1].

التآكل في "الوضع القائم" وتغييره التدريجي

بعد ثلاثة أيام من احتلال الحرم الشريف في حرب 1967 أصدر مجلس الحاخامية الرئيسة في إسرائيل فتوى دينية، أكّد فيها تحريم دخول اليهود إلى الحرم الشريف لأسباب دينية يهودية. وفي غضون الأسابيع الأولى للاحتلال الإسرائيلي فرض وزير الأمن الإسرائيلي موشيه ديان "وضعًا قائما" جديدًا بشأن الحرم الشريف تقرّر بموجبه أن يكون حائط البراق – الذي يطلق عليه حائط المبكى – مكانًا لصلاة اليهود، وأن يبقى الحرم الشريف مكانًا

(1) المرجع نفسه، ص: 30 – 31.

لصلاة المسلمين وحدهم وتحت إشراف الوقف الإسلامي. ولكنّه في الوقت نفسه منح اليهود الإسرائيليين حقّ الدخول للحرم الشريف في الساعات المخصّصة لدخول السيّاح الأجانب ولكن دون دفع رسوم الدخول كما كان متّبعًا بالنسبة للسيّاح. وفي حين أبقى وزير الأمن الإسرائيلي الإشراف الداخلي في الحرم الشريف وعلى أبوابه بيد الوقف الإسلامي، فإنّه أبعد رجال الوقف الإسلامي عن باب المغاربة المقابل لحائط البراق ووضعه تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي[1].

بيد أنّ جماعات يهودية كثيرة حاولت طوال العقود الماضية اختراق «الوضع القائم» وتغييره، والذي فرضه موشيه ديان دون أن يكون هناك اتفاق أو أمر مكتوب. وفي العقدين الأخيرين أخذ هذا «الوضع القائم» يتآكل ويتمّ تغييره شيئًا فشيئًا على أرض الواقع لمصلحة حركات الهيكل. فقد شهدت إسرائيل منذ منتصف عقد الثمانينيات نشاطًا سياسيًّا ودينيًا وجماهيريًا وإعلاميًّا متشعّبًا بشأن دخول اليهود إلى الحرم الشريف بغرض الصلاة فيه كمقدمة لبناء الهيكل في الحرم الشريف. وساهمت مجموعة من العوامل في ذلك، كان أبرزها تأسيس كثير من الحركات والجمعيات منذ النصف الثاني من عقد الثمانينيات، والتي حصلت على دعم مالي من الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ومن مؤسسات الدولة المختلفة، التي وضعت نصب عينيها هدف تغيير الوضع القائم وبناء الهيكل. وقد مارست هذه الحركات والجمعيات – لاسيما بعد إطلاق سراح يهودا عتسيون في عام 1989 الذي كان آخر سجناء التنظيم السري اليهودي الذي حاول نسف مسجد قبّة الصخرة في بداية الثمانينيات – ضغوطًا جمّة على قيادة التيار الصهيوني الديني من أجل وضع تغيير "الوضع القائم" وبناء الهيكل في قمّة أولوياتها. وفي عام 1990 جرى تأسيس "لجنة حاخامات مجلس المستوطنات" في المناطق الفلسطينية المحتلّة، التي أدت دورًا مهمًا بعد فترة قصيرة من تأسيسها بشأن تغيير "الوضع القائم" في الحرم الشريف.

وفي أعقاب انعقاد مؤتمر مدريد وتوقيع اتفاق أوسلو في عام 1993 ازدادت الخشية لدى اليمين واليمين المتطرّف الإسرائيلي من أن تؤدّي العملية السلمية إلى انسحاب إسرائيل من أجزاء واسعة من المناطق الفلسطينية المحتلّة وإعادة الحرم الشريف إلى الفلسطينيين. وفي هذه الفترة بالذات قامت حركات الهيكل بنشاط محموم ودعت إلى دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه وبناء الهيكل. وفي هذه الأجواء، أصدرت في عام 1996 "لجنة حاخامات مجلس

(1) للمزيد عن سياسة موشيه ديان وفرض "الوضع القائم" انظر: شرجاي، ص: 18 – 27.

المستوطنات "في المناطق الفلسطينية المحتلّة فتوى دينية أكّدت فيها ليس فقط أنّه من المسموح لليهود دخول الحرم الشريف، وإنما دعت أيضًا كل حاخام إلى دخول الحرم الشريف بنفسه وأن يوجّه كل حاخام أتباعه وتلاميذه ويحثّهم على دخول الحرم الشريف[1].

وقد شكّلت هذه الدعوة منعطفًا مهمًا في موقف التيار الصهيوني الديني من دخول اليهود للحرم الشريف. ومنذ صدور هذه الفتوى ازداد عدد الحاخامات المنتمين للتيار الصهيوني الديني الذين دعوا إلى دخول اليهود للحرم الشريف بغرض الصلاة فيه سنة بعد أخرى. وشمل هذا الازدياد كثيرًا من الحاخامات التابعين إلى «يشيفات مركز الراب كوك» مثل حاييم دروكمان ودوف ليؤور وناحوم اليعيزر وكثيرين جدًّا غيرهم. وفي هذا السياق، قال الراب يعقوب مدان رئيس «يشيفات جبل عتسيون» الذي يعدّ «معتدلًا»، «إنّ الكل يريد بشدّة أن ينزل الهيكل من السماء، لأنّ ذلك يحرّرنا من الصدام مع العلمانيين»، وأضاف، «علينا نحن الحاخامات التقدم في موضوع بناء الهيكل بطريقتين: الأولى، التأكيد أنّ بناء الهيكل حيويّ. والثانية، التأكيد أنّ بناء الهيكل ممكن وينبغي من أجل تحقيق ذلك الدخول الآن إلى جبل الهيكل للصلاة فيه»[2].

وفي السنوات الأخيرة، لاسيما في العامين الأخيرين، ازدادت أعداد اليهود بشكل كبير الذين يدخلون الحرم الشريف بغرض الصلاة فيه وتثبيت السيادة اليهودية عليه، وتثبيت أمر واقع جديد في الحرم الشريف الذي يوجد اليهود فيه بأعداد كبيرة يوميًّا. وخلافًا لما كان الوضع عليه في الماضي، إذ كان متّبعًا ألّا يدخل إلى الحرم الشريف سويّة أكثر من اثنين من اليهود المرافقين بحرس الوقف الإسلامي والشرطة الإسرائيلية لئلّا يقومون بالصلاة في الحرم، أصبح يدخل إلى الحرم الشريف منذ عامين مجموعات من اليهود يبلغ عدد أفرادها العشرات ترافقهم الشرطة الإسرائيلية. وفي الوقت نفسه، أخرج وزير الأمن الإسرائيلي في أيلول/ سبتمبر 2015 جمعيتي "المرابطين" و"المرابطات" الفلسطينيتين خارج القانون، اللتين كانتا تقومان بمتابعة المجموعات اليهودية التي تدخل إلى الحرم الشريف ومراقبتها لمنعها من الصلاة فيه[3].

(1) عنبري، ص: 1.

(2) بئر، علاقة خطيرة، ص: 13.

(3) غيلي كوهين، «وزير الأمن أخرج منظمتين فلسطينيتين خارج القانون،»هآرتس، 9/ 9/ 2015، في:
http://bit.ly/1TrTkbr

إلى جانب تغيير إسرائيل التدريجي المستمر في "الوضع القائم" في الحرم الشريف، حدثت في إسرائيل تغييرات مهمّة للغاية بشأن الموقف بكل ما يتعلّق بالحرم الشريف ودخول اليهود إليه والصلاة فيه وبناء كنيس فيه أو بناء الهيكل.

وقد أظهرت العديد من استطلاعات الرأي العام في إسرائيل ازدياد تشدّد المجتمع الإسرائيلي تجاه كل ما يتعلّق بالحرم الشريف. فمثلًا، أظهر استطلاع للرأي العام الإسرائيلي في عام 2013 وجود أغلبيّة كبيرة في صفوف المجتمع الإسرائيلي التي تؤيّد تغيير الوضع القائم في الحرم الشريف. فقد بيّن الاستطلاع أنّ نسبة 59 % من المجتمع الإسرائيلي تؤيد أن تقوم إسرائيل بفرض تقسيم زمانيّ ومكانيّ في الحرم الشريف بين اليهود والمسلمين، كما كانت قد فرضته في الحرم الإبراهيمي في الخليل. في حين يعارض ذلك 23 % فقط، ولم يعبّر 18 % عن موقفهم بهذا الشأن[1]. وبينّ الاستطلاع أيضًا أنّ ثُلث الإسرائيليين يؤيّد بناء الهيكل الثالث في الحرم الشريف في الوقت الراهن، في حين يعارض ذلك 45 في المئة. وأظهر الاستطلاع أيضًا أنّ 86 % من الصهيونيين الدينيين يريدون دخول الحرم الشريف مقابل 60 % من العلمانيين و20 % من الحريديم[2].

وشهد القضاء الإسرائيلي بدوره تغييرًا في موقفه من الحرم الشريف وجماعات الهيكل. فقد درجت محكمة العدل العُليا الإسرائيلية حتى منتصف عقد الثمانينيات على عدم الاستجابة لطلب جماعات الهيكل بدخول الحرم الشريف بغرض الصلاة فيه ورفضت إصدار الأوامر التي تُلزم الشرطة الإسرائيلية بتطبيق "قانون الأماكن المقدسة" الذي سنّه الكنيست بُعَيد حرب 1967، مستندةً في ذلك إلى عدم وجود أوامر أو أعراف تنظّم صلاة اليهود في الحرم الشريف. بيد أنّ محكمة العدل العُليا الإسرائيلية غيّرت من توجّهها في عقد الثمانينيات بشأن دخول اليهود إلى الحرم الشريف بغرض الصلاة فيه وأكّدت أنّ من حقّ اليهود دخول الحرم الشريف والصلاة فيه استنادًا إلى "قانون الأماكن المقدسة" وكذلك استنادًا إلى ما دعته الحقوق الدينية والتاريخية لليهود في الحرم الشريف. ولكن محكمة العدل العُليا خوّلت في الوقت نفسه الشرطة الإسرائيلية منع اليهود من الدخول للحرم الشريف بغرض الصلاة فيه لأسباب تتعلّق بالحفاظ على سلامة الجمهور والأمن العام. وشدّدت المحكمة العُليا

(1) نير حسون، «استطلاع: ثلث الجمهور اليهودي يؤيد بناء الهيكل،»هآرتس، 12/ 7/ 2013، في:
http://bit.ly/1QG263s

(2) المرجع نفسه.

عـلى أنّ هـذا المنع يتعين أن يسـتند إلى قـدرة الشرطة الإسرائيلية على إثبـات في كل حالة أنّ دخول اليهود إلى الحرم الشريف بغرض الصلاة فيه يعرّض سـلامة الجمهور والأمن العام للخطـر[1]. وهذا يعني أنّه إذا لم تسـتطع الشرطة الإسرائيلية إقنـاع المحكمة الإسرائيلية بأنّ دخـول اليهود للحرم بغـرض الصلاة فيه يعرض سـلامة الجمهور والأمـن العام للخطر، فإنّها قد تُصدر أمرًا بالسماح لليهود بالدخول للحرم بغرض الصلاة فيه.

وشـهدت الكنيسـت بدورهـا في الأعـوام الأخيرة نشـاطًا مكثّفًـا محمومًا يهـدف إلى تغيير «الوضـع القائـم» في الحـرم الشريـف والسـماح لليهـود بالصلاة فيـه، بما في ذلك تقسـيمه مكانيًّا وزمانيًّا. ففي عامي 2013 و2014 مثلًا، ناقشـت لجنة الداخلية في الكنيست 14 مرة موضـوع "جبل الهيكل" مقارنة مع أربع مرات فقط ناقشـت فيها هـذه اللجنة طوال العقد الـذي سـبق هذين العامين. وقد دعت رئيسـة هذه اللجنة ميري ريغـف العضو القيادي في حزب الليكود والتي أصبحت وزيرة في حكومة نتنياهو الحالية، إلى تقاسـم الحرم الشريف زمانيًّا ومكانيًّا بين اليهود والمسـلمين كما فعلت إسرائيـل في الحرم الإبراهيمي في الخليل[2]. وقدّم عضو الكنيست أرييه الداد في تشرين الأول / أكتوبر 2012، اقتراح قانون للكنيست لتغيير الوضع القائم في الحرم الشريف والسماح لليهود الصلاة في الحرم الشريف وتخصيص سـاعات محدّدة لهم لهذا الغرض[3]. وترافق هذا النشـاط مع دعوات العديد من الوزراء عن حـزب البيت اليهـودي وحزب الليكود للسـماح لليهـود بالصلاة في الحـرم الشريف. وفي تشريـن الأول/ أكتوبـر 2015 دعـت نائبة وزيـر الخارجية تسـيبي حوطوفيلي إلى السـماح لليهـود بدخـول الحرم الشريف بغرض الصـلاة فيه وإلى رفع العلـم الإسرائيلي فوق الحرم الشريف[4].

(1) يتسحاك رايتر، **جبل الهيكل/ الحرم الشريف: نقاط اتفاق وخلاف** (القدس: معهد القدس لبحث إسرائيل، 1997) ص: 11.

(2) «التآكل المستمر في الوضع القائم في الحرم»، تشرين الأول/ أكتوبر 2014، في:
http://bit.ly/1nvF0Rc

(3) نير حسون، "الحركات المسيائية التي تطالب بالعودة إلى جبل الهيكل تخترق التيار المركزي الصهيوني الديني، "**هآرتس**، 2012/10/3، في:
http://bit.ly/1QG2ajt

(4) نير حسون، "حوطوفيلي: حلمي أن أرى علم إسرائيل يرفرف على جبل الهيكل ،"هآرتس، 26/ 10/ 2015، في:
http://bit.ly/1W826cI

الخاتمة

في الوقت الذي تتّجه فيه أنظار العالم إلى الحركات الإسلامية الأصولية المتطرّفة الناشطة في الشرق الأوسط ومناطق أخرى في العالم، ظهرت وتعزّزت في إسرائيل في العقود الماضية حركات يهودية دينية أصولية متطرّفة وخطيرة للغاية. وتدعو هذه الحركات إلى تدمير مسجديْ الأقصى وقبّة الصخرة وإزالة كل ما يمتّ للإسلام بصلة من الحرم القدسي الشريف، وبناء الهيكل الثالث. وقد أحدثت هذه الحركات تغييرات مهمّة في موقف المجتمع والحكومة الإسرائيلية فيما يتعلّق بالموقف والسياسة تجاه الحرم الشريف، ومسائل دخول اليهود إليه بغرض الصلاة فيه، وتقسيمه زمانيًّا ومكانيًّا تمهيدًا لبناء الهيكل الثالث.

وتستند الحركات الدينية اليهودية الأصولية المتطرّفة في دعوتها إلى بناء الهيكل الثالث إلى ميزان القوى وإلى قوة إسرائيل العسكرية في الأسلحة التقليدية والنووية. وتحاجج هذه الحركات، بنسبة عالية من النجاح، أنّ إسرائيل باتت من القوة التي تمكّنها من بناء الهيكل الثالث وإزالة كل ما يمتّ للإسلام بصلة في الحرم القدسي الشريف، وأنّ الثمن الذي ستدفعه في حال قامت بذلك لن يكون مرتفعًا وبإمكان إسرائيل تحمّله.

ومن الواضح أنّ مقاومة الفلسطينيين، لاسيما المقدسيين وتصدّيهم المستمر للاعتداءات الإسرائيلية على الحرم الشريف ودفاعهم الدائم عنه مهمٌّ جدًّا، ولكنّه لا يكفي وحده لحماية الحرم القدسي الشريف. فما لم تضع الدول العربية والإسلامية إستراتيجية واضحة تستند إلى جميع عوامل القوة كتلك التي تمتلكها إسرائيل، والكفيلة بجعلها تدفع ثمنًا لا يمكنها تحمّله بأيّ حال من الأحوال من أجل ردعها فعلًا، فسوف تستمر الحركات الدينية اليهودية الأصولية المتطرّفة والمجتمع الإسرائيلي وحكومته في السير نحو تغيير الوضع القائم وتهويد الحرم القدسي الشريف.

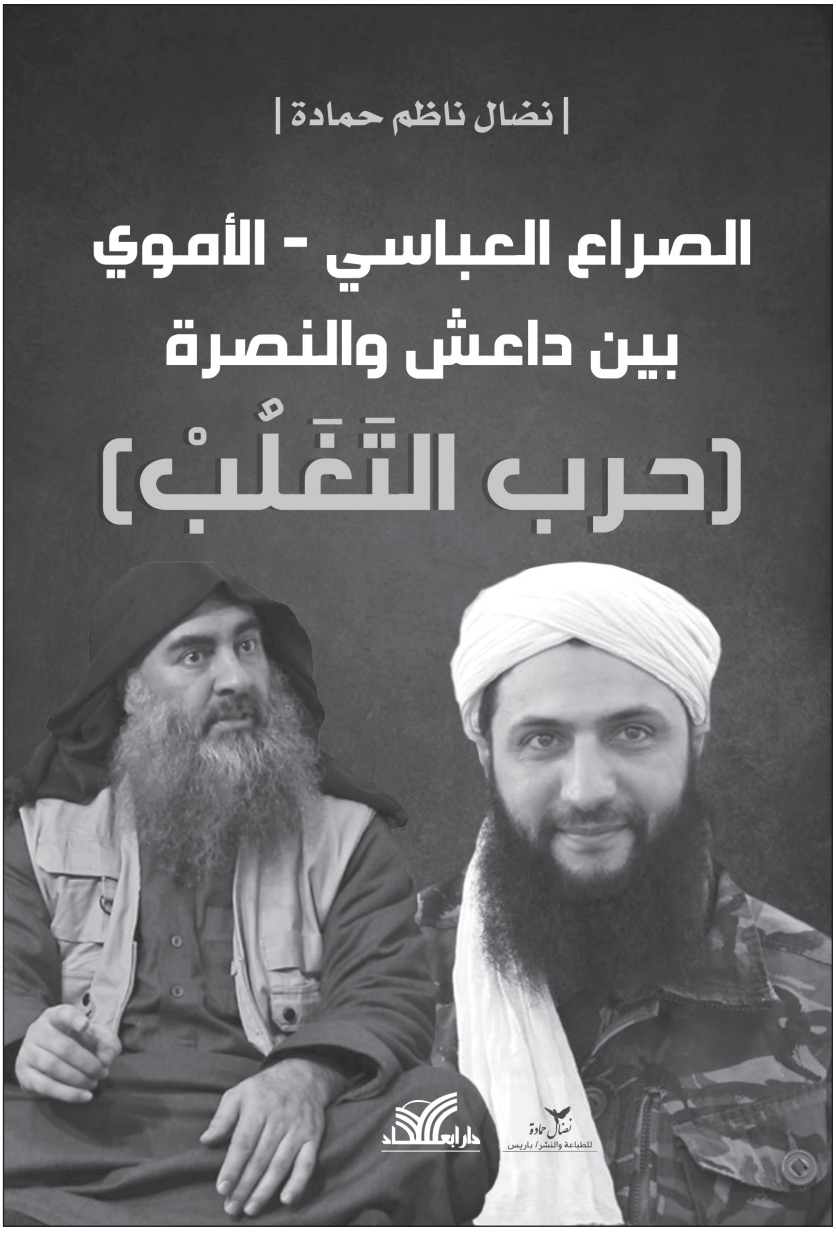

دار أبعاد للطباعة والنشر
لبنان - بيروت- الجناح
00961-71-841086
abaaddar@gmail.com

المعالم والأماكن المقدسة الإسلامية في القدس "نظرة عامة"

د. وليد سالم

دكتوراه فلسفة في العلاقات الدولية

مقدمة

أُعلن في 28 كانون ثاني 2020، عما أطلقوا عليه «خطة السلام من أجل الازدهار» (صفقة القرن) من قبل الرئيس الأميركي دونالد ترامب في البيت الأبيض، وبحضور بنيامين نتنياهو رئيس وزراء دولة الاحتلال الإسرائيلي.

ورد في الصفقة المذكورة أن هنالك (31) مكانًا مقدسًا للمسيحيين واليهود والمسلمين في القدس، حيث قسمت إلى (17) مكانًا مقدسًا للمسيحيين، و(13) لليهود، أما الأماكن الإسلامية المقدسة فقد تمت الإشارة إليها بهذا الاسم دون تحديد، وعندما حدد المسجد الأقصى المبارك سمّوه "الحرم الشريف"، وتمت الإشارة إليه بوصفه مكانًا إسلاميا يهوديًا مشتركًا؛ يحق للطرفين الصلاة فيه، وسمي باسم جبل الهيكل/ الحرم الشريف!

يتضمن هذا العدد من "المقدسية" دراسة لمؤسسة "عيمق شفيه" الإسرائيلية تفند فيه اعتبار (13) موقعًا في القدس على أنها أماكن مقدسة لليهود، وتبين الدراسة بالاسم أن غالبية هذه المواقع قد تم اختراعها كأماكن مقدسة من أجل تبرير تأبيد السيطرة الإسرائيلية على القدس الشرقية. لذا نترك للقارئ أن يعود لتلك الدراسة.

سـنتطرق في هذه المقالة إلى أبرز المعالم والأماكن الإسـلامية المقدسة في القدس، فيما هنالك مقالة أخرى عن الأماكن المسيحية المقدسة في هذا العدد من مجلة "المقدسية" والتي يتجاوز عددها أضعاف العدد المذكور في صفقة القرن.

الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس

لا يحتـاج المسـلمون إلى الدفاع عن أماكنهم المقدسـة القائمة والثابتة تاريخيًـا في المدينة، منذ خمسـة عشر قرنًا، والتي ليسـت بحاجة إلى إعادة اختراع، وعلى مـرّ التاريخ كتب مؤرخون وعلـماء عـمارة وآثار عـن هذه الأماكـن، ومنهـم العالمان الجليلان كامل العسـلي وإسـحق موسـى الحسـيني، وفي وقتنا المعاصر يتخصص في دراسـة هذه المواقع العديد من الباحثين كالدكتور يوسـف النتشة، والمؤسسة الأكاديمية الفلسطينية للشؤون الدولية (باسيا) بإدارة الدكتور مهدي عبد الهادي، وهنالك الباحثون الدكتور محمد غوشة، والدكتور حنا عيسى، والباحثون المتخصصون عزيز العصا ومازن أهرام وغيرهم (انظر/ ي الهوامش في نهاية هذا العرض).

في العـودة إلى بعـض دراسـات هـذه النخبـة، يمكـن للمرء أن يحـصي المئات مـن الأماكن الإسـلامية المقدسـة في القدس، لاسـيما في البلدة القديمة منها والتي لا تزيد مسـاحتها على 870 دونـمًا، أي أقـل من كيلومتر مربع واحد، ولكنها تزخر بكل هذه الكنوز المقدسـة التي تعود إلى عهود إسلامية شتى من فترة الخلفاء الراشدين فالأمويين، فالعباسيين، فالأيوبيين، فالمماليك، وأخيرًا العثمانيين. وتشـمل هذه الكنوز الأماكن المقدسة داخل المسجد الأقصى، والمسـاجد الأخـرى في البلدة القديمـة، والمدارس الدينيـة، والزوايا الصوفيـة، والأربطة، ومصادر المياه والأسبلة، والخانات، والمقابر والأضرحة.

المسجد الأقصى المبارك

وإذ يبدأ المرء بالمسجد الأقصى المبارك، فإن دليلًا لمؤسسة باسيا عن المسجد صدر عام 2013، يشير إلى (74) معلمًا إسلاميًّا داخل سور المسجد الذي يحصر مساحة مقدارها (144) دونمًا، ويشمل ذلك:

المسـاجد: الجامـع القبلي الذي أعاد المسـلمون بناءه بعـد الفتح العمـري للمدينة عام 638 ميلادية، وهو يشـمل مسجد عمر بن الخطاب، ومسجد الشـهداء الأربعين ومحراب زكريا كأجـزاء منه. وهنالـك أيضًا المصلى المرواني، والمسـجد الأقصى القديـم وكلاهما من العهد

المرواني، ومسجد البراق من العهدين المرواني والمملوكي، ومسجد المغاربة، ومسجد النساء وكلاهما من العهد الأيوبي، ومسجد مهد المسيح من العهد العثماني.

القباب: وأولها قبة الصخرة التي أقيمت من الأمويين فوق الصخرة التي يُعتقد أنه أُسري إليها بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام من مكة وعرج منها إلى السماء. وتشمل القبب الأخرى قبة السلسلة (العهد الأموي) وقبة المعراج (العهد الأيوبي) وقبة النبي (العهد العثماني)، وقبة سليمان (العهدين الأموي والأيوبي)، وقبة موسى (العهد الأيوبي)، وقبة الخضر (العهد العثماني)، وقبة يوسف آغا (العهد العثماني)، وقبة يوسف (العهدين الأيوبي والعثماني)، وقبة الأرواح (العهد العثماني)، قبة الزاوية المحمدية/ الخليلي (العهد العثماني)، وقبة السلطان محمود الثاني/ قبة عشاق النبي (العهد العثماني)، والقبة النحوية (العهد الأيوبي). ويضيف دليل للأماكن المقدسة، أصدرت باسيا طبعته الثانية عام 2014، قبة أخرى هي قبة الميزان (العهد المملوكي).

أما **مآذن المسجد الأقصى**، فتشمل وفق دليل باسيا للمسجد عام 2013، كلًّا من مئذنة الغوانمة (العهد الأيوبي) ومئذنة الأسباط، ومئذنة باب المغاربة، ومئذنة باب السلسلة، وتعود المآذن الثلاث الأخيرة للعهد المملوكيّ.

ويوجد داخل ساحات المسجد الأقصى **أبواب حجرية**، بنيت على شكل أقواس، ويطلق عليها اسم البوائك، وهي البائكة الجنوبية التي بناها الفاطميون، والشرقية التي لا يعرف من بناها على وجه التحديد، والبائكة الغربية التي أنشئت عام (951) ميلادية ولم يعرف من أنشأها، والبائكة الشمالية الغربية التي أنشأها المماليك، والبائكة الشمالية الشرقية التي أنشأها السلطان محمد بن قلاوون عام (1325) ميلادية، والبائكة الجنوبية الغربية التي أنشأها والي القدس في عهد السلطان قايتباي عام (1472) ميلادية، وأخيرًا البائكة الجنوبية الشرقية والتي تم إنشاؤها خلال العهد الفاطمي.

وللمسجد الأقصى خمس عشرة بوابة، وحسب دليل باسيا للأماكن المقدسة لعام 2014، فإن عشرًا منها مفتوحة وخمسًا مغلقة. أما الأبواب المفتوحة فهي باب الأسباط (من العهد المملوكي)، وباب حطة (العهدين الأيوبي والعثماني) وباب العتم/ باب الملك فيصل (العهد الأيوبي) وباب الغوانمة (العهد المملوكي)، وباب الناظر (العهد المملوكي)، وباب الحديد (العهد المملوكي)، وباب القطانين (العهد المملوكي)، وباب المطهرة (العهد الأيوبي)، وباب السلسلة ومعه باب السكينة (العهد الأيوبي)، وباب المغاربة (العهد المملوكي). أما الخمسة

المغلقة فهي: البوابة الذهبية وهي تشمل باب الرحمة وباب التوبة (العهد الأموي)، وباب الجنائز، والباب المزدوج (العهد الأموي)، والباب الثلاثي، والباب المنفرد، والأخيرين من العهد الفاطمي.

ويوجد داخل الأقصى **رواقان** يعودان للعهد المملوكي وهما: الرواق الشمالي والرواق الغربي. كما فيه عدد من البرك والأسبلة منها، الكاس وصهريج الملك المعظم عيسى من العهد الأيوبي، وبركة النارنج وسبيل قايتباي من العهد المملوكي، وسبيل قاسم باشا، وسبيل سليمان وكلاهما من العهد العثماني. كما يوجد (12) **بئرًا**.

وفي الأقصى **مكتبة ضخمة** تشغل الزاوية الختنية وجانبًا من مسجد النساء؛ تضم ما يزيد على (130) ألف كتاب، ومتحف إسلامي، وفيه من المنابر منبر نور الدين زنكي (العهد الأيوبي) ومنبر برهان الدين (العهد المملوكي). كما يوجد (26) من **المصاطب** للدرس والتعليم وفق مذاهب الفقه الإسلامي. وفي الجانب الجنوبي يقع **حائط البراق** والذي هو حائط إسلامي ربط فيه الرسول صلى الله عليه وسلم البراق قبل معراجه إلى السماء. ويسميه اليهود حائط المبكى، مع أنهم كانوا يصلون حتى القرن التاسع على الأقل في جبل الزيتون. كما أن الحائط كان ملكًا للمسلمين وذلك باعتراف لجنة ملكية بريطانية سميت بلجنة البراق والتي قررت أن حائط البراق هو ملك إسلامي خالص ولا ملكية لليهود فيه، حيث إن ما لهم لا يتعدى سوى الصلاة في جزء منه، وذلك مع إحضار متطلبات الصلاة لدى إقامتها وإزالتها بعد ذلك فورًا، وبالتالي عدم إنشاء أي مرافق ثابتة أو دائمة.

داخل سور المسجد الأقصى المبارك، وما حواليه، **هنالك عدد من المدارس**، منها: المدرسة الختنية، والمدرسة البدرية، والمدرسة الصلاحية (العهد الأيوبي) والمدرسة الفخرية، والمدرسة الداوادارية، والمدرسة التنكزية، والمدرسة الفارسية، والمدرسة الأشرفية، والمدرسة الخاتونية، والمدرسة الأمينية، والمدرسة الباسطية، والمدرسة المنجكية، والمدرسة الأرغونية، والمدرسة الأسعردية، والمدرسة الحنبلية والمدرسة الكريمية، والمدرسة اللؤلؤية، والمدرسة المزهرية والمدرسة السلامية، والمدرسة الطشتمرية وكلها مدارس بنيت في عهد المماليك. ثم هنالك المدارس التي بنيت في العهد العثماني وهي المدرسة العثمانية، والمدرسة الجوهرية، والمدرسة الأكملية، وروضة المعارف. وهنالك مدرسة تعود إلى فترة ما قبل الإسلام وهي المدرسة الجاولية التي أصبحت تسمى لاحقًا بالمدرسة العمرية.

الأماكن الإسلامية المقدسة الأخرى داخل البلدة القديمة من القدس

من **هذه الأماكن المساجد** والبالغ عددها (44) مسجدًا منها (29) مذكورة في دليل باسيا لعام 2014، والباقي من دراسة غير منشورة للدكتور حنا عيسى، وتعود هذه المساجد إلى فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي. وتشمل هذه المساجد: مسجد أبو بكر الصديق، ومسجد درغث، والمسجد الديسي، ومسجد المولوية، ومسجد مصعب بن عمير، ومسجد القيمري، والمسجد الرصاصي، ومسجد المئذنة الحمراء، ومسجد الشيخ غباين، ومسجد الشيخ مكي، ومسجد الشيخ ريحان، ومسجد سويقة علون، والمسجد العمري، ومسجد عثمان بن عفان، والمسجد اليعقوبي، ومسجد الشوربجي (العهد العثماني)، ومسجد بلال بن رباح (عهد الانتداب البريطاني)، ومسجد القلعة، ومسجد الحيات، ومسجد قلاوون، ومسجد القرمي، ومسجد السلطان برقوق، ومسجد السيوفي، ومسجد عمر بن الخطاب ومسجد الشيخ لؤلؤ (العهد المملوكي)، والمسجد العمري الكبير (العهد الأموي)، ومسجد الحريري، ومسجد والي الله محارب، ومسجد الخانقاه الصلاحية (العهد الأيوبي). ويضيف الدكتور حنا عيسى لهذه القائمة مساجد أخرى هي: مسجد النبي داود، ومسجد علاء الدين البصري، ومسجد الشيخ محمد الخليلي، ومسجد أحمد المثبت، ومسجد ومقام أبو قصيبة، ومسجد الزاوية الأفغانية، ومسجد الزاوية النقشبندية، ومسجد بني حسن، ومسجد حارة الأرمن، ومسجد البراق، ومسجد حارة النصارى، ومسجد قمبر، ومسجد الشرفاء، ومسجد الملاط.

ويبدو أن التداخل بين قائمتي باسيا والدكتور حنا عيسى للمساجد في البلدة القديمة يعود جزئيًا إلى أن قائمة باسيا تشتمل في لائحة أخرى على زوايا تستخدم أيضًا كمساجد منها ما ذكر أعلاه، وهو ما ورد في دليل باسيا 2014 تحت اسم "الزوايا الصوفية"، والتي تشمل: الزاوية الأفغانية، والزاوية الهندية (العهد العثماني لكليهما) والزاوية اللؤلؤية، والزاوية المهمازية (بيت عائلة الدويك)، وزاوية أحمد مثابت، والزاوية الكريمية والزاوية الهندية (وكلها زوايا مملوكية) والزاوية النقشبندية (عثمانية) والزاوية السعدية (أيوبية/ عثمانية) والزاوية الوفائية (المكتبة البديرية) (العهد الأموي)، وزاوية والي الله أبو مدين (العهد الأيوبي) والزاوية الزاهرية (دار البيرق: العهد العثماني). وكما يلاحظ أن هنالك أسماء أوردها الدكتور حنا عيسى كمساجد ترد هنا أيضًا كزوايا.

ويورد دليل باسيا للأماكن المقدسة، أماكن أخرى مثل **الأربطة** كرباط الكرد (العهد

المملوكي)، ورباط بيرم جاويش (العهد العثماني) ورباط المنصوري (مملوكي)، ورباط ومسجد علاء الدين البصير (مملوكي)، ورباط الزمني (عثماني). وتتضمن صفحة باسيا على الإنترنت تفاصيل عن هذه الأربطة، وكذلك عن **الأسبلة** كسبيل حمام العين (مملوكي) وسبيل باب الناظر (عثماني)، وحمام الشفا (مملوكي)، وحمام السلطان وبركة السلطان (عثمانيان) وسبيل باب الأسباط، وسبيل الواد/ باب القطانين وسبيل باب السلسلة، وكلها أسبلة عثمانية.

وهنالك أيضًا **الخانات** وهي خانات مملوكية، كخان بنو سعد وخان الظاهر، وخان الغادرية، وخان القاضي فخر الدين ابن نسيبة وخان القطانين، وخان السلطان، وخان تنكز، وخان الزيت.

وأخيرًا هنالك **المقابر والأضرحة**: مقبرة باب الرحمة/ باب الأسباط/ اليوسفية والتي دفن فيها 300 من صحابة الرسول مباشرة بعد الفتح الإسلامي للقدس، ومقبرة بركة خان/ المكتبة الخالدية (العهد الأيوبي) ومقبرة باب الساهرة/ مقبرة المجاهدين (العهد الأيوبي ودفن فيها مجاهدون مع صلاح الدين الأيوبي)، والتربة الكيلانية (العهد المملوكي) ومقبرة ماميلا، وضريح السعدية، وضريح ست طنشق المظفرية، وضريح تونبغا، وضريح تركان خاتون، وكل هذه المقابر والأضرحة مملوكية.

خلاصة

جاء العرض السابق ليلخص الجذور العميقة للإسلام في القدس، وذلك دون أن يشمل كل الأماكن المقدسة للمسلمين خارج البلدة القديمة، كما لم يشمل المقامات الإسلامية في المدينة، حيث ستغطي هذه الجوانب أبحاثًا وعروضًا لاحقة في هذه المجلة.

ويتبين من خلال هذا العرض أن السعي لسيطرة إسرائيلية منفردة على المدينة بذريعة أهميتها التاريخية والدينية لليهود دون غيرهم هو ادّعاء كاذب تاريخيًا أولًا، كما أنه ادّعاء غير قابل للتطبيق عمليًا، إذ إنه يدّعي اقتصار الحقوق الدينية والسياسية في المدينة على طرف واحد دون غيره، فإنه يؤدي إلى تغذية فتيل التوتر ويفتح صراعًا طويل الأمد لاستعادة الحقوق الفلسطينية والعربية والإسلامية، عوضًا عن حقوق المسيحيين في كل أرجاء العالم في القدس، وهي حقوق من المستحيل التنازل عنها أو التفريط بها.

الهوامش:

1. من دراسات الدكتور اسحق موسى الحسيني، نذكر كتبه وأبحاثه عن القدس ومدارسها ومعاهدها، والآثار الإسلامية في القدس بعد الفتح العمري (جزءان)، ومكانة بيت المقدس في الإسلام، وفضائل بيت المقدس، وعروبة بيت المقدس.

2. من دراسات الدكتور كامل جميل العسلي، نذكر: معاهد العلم في بيت المقدس، أجدادنا في بيت المقدس، وثائق مقدسية تاريخية (3 أجزاء)، وموسم النبي موسى في فلسطين، وبيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، ومن آثارنا في بيت المقدس، ومكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين.

3. الدراسة المشار إليها للدكتور يوسف النتشة، هي دراسة تراثية للقدس، يقوم بإعدادها لمعهد القدس للدراسات والأبحاث- جامعة القدس. وللدكتور يوسف دراسات أخرى متعددة نشرها سابقًا عن المسجد الأقصى والأماكن المقدسة في مدينة القدس.

4. أما الدراسة المشار لها للباحث عزيز العصا فهي تتعلق بإعداد موسوعة وقفية عن أوقاف القدس لمعهد القدس للدراسات والأبحاث- جامعة القدس.

5. الدراسة المشار إليها للدكتور حنا عيسى أعلاه هي دراسة عن الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة في القدس، يقوم بإعدادها لمعهد القدس للدراسات والأبحاث- جامعة القدس.

6. يعد الباحث مازن أهرام دراسة عن المقامات الإسلامية في القدس، وكان قد ألقى عدة محاضرات حول هذا الموضوع، كما أنه قد نشر بعض المقالات حوله، لاسيما في موقع أخبار البلد الإلكتروني في القدس.

7. من الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية تم اعتماد مصدرين في العرض الوارد أعلاه، وهما:

-A Guide to Muslim and Christian Holy Places in Jerusalem, 2nd edition, 2014.

- A Guide to Al- Aqsa Mosque/ Al - Haram Asharif , 1st edition, 2013.

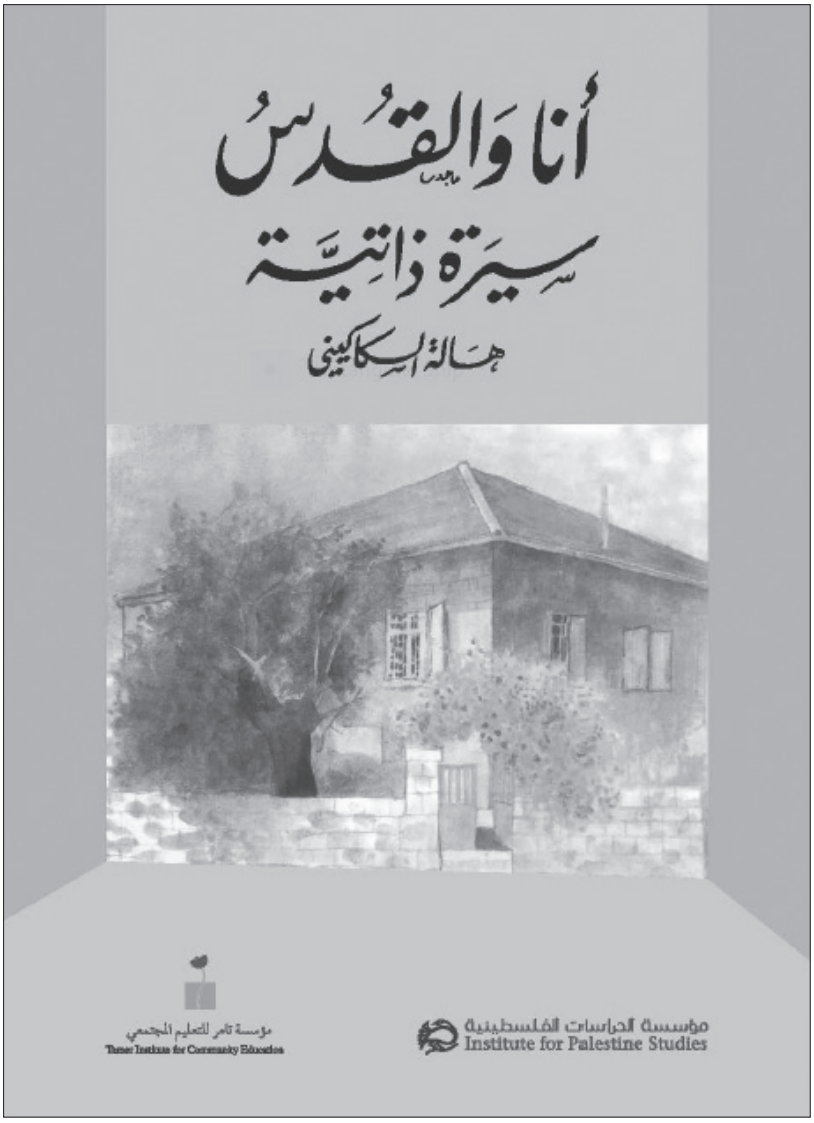

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي - فردان
ص. ب.: 7164 ـ 11
الرمز البريدي: 2230 - 1107
بيروت - لبنان
هاتف: 804959 - 814175 - 868387 1 (961+)
فاكس: 814193 1 (961+)
ipsbeirut@palestine-studies.org

القدس: فيها نشأ المسيح ومنها انطلقت المسيحية إلى العالم

أبرز الأماكن الدينية المسيحية في القدس

أ.د. حنا عيسى

أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية – منظمة التحرير الفلسطينية.

تقسم حياة السيد المسيح إلى مرحلتين، الحياة الخفية، التي امتدت من مولده إلى سن الثلاثين تقريبًا، والحياة العلنية وهي السنوات الثلاث الأخيرة من حياته حتى موته وقيامته. وفي المرحلتين زار السيد المسيح القدس أو أقام فيها. فأول مجيء للسيد المسيح إلى القدس كان في اليوم الأربعين لمولده لختانه هناك. «وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيُخْتَنَ الطِّفْلُ، سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا كَانَ قَدْ سُمِّيَ بِلِسَانِ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ يُحْبَلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. ثُمَّ لَمَّا تَمَّتِ الأَيَّامُ لِتَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدَا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمَاهُ إِلَى الرَّبِّ». وهرب القديس يوسف والسيدة مريم العذراء بالطفل يسوع إلى مصر من بطش هيرودس وظلمه، إذ قتل أطفال بيت لحم من عمر السنتين وما دون علّ يسوع يكون بينهم. ولما توفي هيرودس عادت العائلة إلى الناصرة، خشية من بطش ابنه أرخلاوس. «فَوَصَلَ بَلْدَةً تُسَمَّى «النَّاصِرَةَ» وَسَكَنَ فِيهَا، لِيَتِمَّ مَا قِيلَ بِلِسَانِ الأَنْبِيَاءِ إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا». ويذكر الإنجيل المقدس أن السيد المسيح صعد إلى القدس من الناصرة؛ «وَكَانَ أَبَوَاهُ أي والدته البتول ومربّيه القدّيس يوسف) يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. فَلَمَّا بَلَغَ سِنَّ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ، صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَالْعَادَةِ فِي الْعِيدِ. وَبَعْدَ انْتِهَاءِ أَيَّامِ الْعِيدِ، رَجَعَا، وَبَقِيَ الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَهُمَا لاَ يَعْلَمَانِ». وهذا النص الإنجيلي يبين بوضوح مركزية القدس والصعود إليها في الأعياد والحج.

الروايـة الإنجيليـة هذه تذكر زيارة السـيد المسـيح إلى القدس في عمـر الثانية عشرة، ولكن الروايـة تـترك المجال مفتوحًا للتأويل والاسـتنباط؛ فقد يكون السـيد المسـيح قد كرّر هذه الزيـارة سـنويًا مع أهله إلى القدس في عيد الفصح، لأن النص يقـول إن أبويه كانا «يَذْهَبَانِ كُلَّ سَـنَةٍ إِلى أُورُشَـلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ». أما سبب صعود السـيد المسيح إلى القدس في عمر الثانية عشرة، فلأن هذا العمر كان سـن البلوغ ونشـوء المسؤولية الدينية في تتميم العبادات المدعوّ بالعبريّة «بار متسفاه» أي «ابن الوصيّة»، والصعود إلى القدس في عيد الفصح[1].

غدت القدس في الحقبة الثانية من حياة السيد المسيح، أي الحياة العلنية، وهي تقريبًا السنوات الثلاث الأخيرة مركز حياة السيد المسيح ومحور بشارته وعمله الخلاصي. تجـوّل السـيد المسـيح في الجليل وأتى إلى نهـر الأردن، وأقام عـبر الأردن، أي شرق الأردن، لـدى يوحنـا المعمـدان، وزار المـدن العـشر، وبعضهـا في الأردن، ووصل جنـوب لبنان. ولكن القدس ظلّت الموئل الأخير، والمنزل الرئيس في حياته، إذ فيها سـتتم أهم النبوءات الواردة في العهد القديم عن آلامه وموته وقيامته (خصوصًا في أشعيا 53، والمزمور 22 (21).

وكثيرًا ما أشـار العهد الجديد إلى صعود السـيد المسيح إلى القدس وربط بين المدينة المقدسة وكتب الأنبياء في العهد القديم: «ثُمَّ انْتَحَى بِالاثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلى أُورُشَـلِيمَ، وَسَـوْفَ تَتِمُّ جَمِيعُ الأُمُورِ الَّتِي كَتَبَهَا الأَنْبِيَاءُ عَنِ ابْنِ الإِنْسَـانِ. أما آيات السـيد المسـيح وعجائبه في القـدس فعديدة، ويختصر الإنجيـلي يوحنا ذلك بقولـه: «وَبَيْنَمَا كَانَ فِي أُورُشَـلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ، آمَنَ بِاسْـمِهِ كَثِيرُونَ إِذْ شَـهِدُوا الآيَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا». وأهم هذه الأعاجيب؛ شـفاء المخلع، وشـفاء الأعمى، وإقامة أليعازر الميـت. إن معظم الأماكن التي جـرت فيها هذه الآيات والتعاليم في القدس وأكنافها وفي أنحاء فلسـطين وجوارها كانت معروفة في عصر السـيد المسـيح وبعده، ونالت أكرام المسيحيين، وتوجهوا إليها في عبادتهم وحجهم، وشيّدوا على مواقعها الكنائس والأديار. والأسبوع الأخير من حياة السيد المسيح يُعرف بالأسبوع المقدس، ويبدأ بأحد النخيل، وينتهي بفجر الأحد التالي بالقيامة. وفي أحد النخيل دخل السـيد المسـيح إلى القدس قادمًا من جبل الزيتون واستقبلته الجموع بالهتاف،

(1) كلـداني، حنـا (2017). مكانة القدس في الديانة المسـيحية. موقـع الالكتروني لـ«بطريركيـة اللاتين في القدس» (شوهد في 24/ 12/ 2018)، وفق الرابط الآتي:

http://www.kefapetrosdiakonia.com /?p=157

معلنة كبيرها وصغيرها أنّه «ابن داود» أي المسيح الملك المنتظر، ممّا سرّع مراحل التآمر عليه بين اليهود، وكان فصح اليهود قد اقترب. أما الحدث الأهم في حياة السيد المسيح، فهو آلامه وموته وقيامته، التي امتدت زمنيًّا بين مساء الخميس المقدس إلى فجر يوم الأحد، يوم القيامة، (حوالي 60 – 65 ساعة). فقد تمت هذه الأحداث في القدس على رقعة جغرافية لا تتجاوز الكيلومترين المربعين. وأفرد لها الإنجيليون الأربعة 19 فصلًا من مجموع فصول الأناجيل البالغة 89 فصلًا، أي أن بنسبة 3 , 21 %، أو خمس الإنجيل تقريبًا، فقد خصصت لهذه الأيام المقدسة، بينما بقية الفصول تروي حياة السيد المسيح البالغة 33 عامًا. وأهم مراحل الآلام التي تمت في القدس هي: تآمر أحبار اليهود على السيد المسيح، خيانة يهوذا، السيد المسيح في بستان الزيتون (الجتسمانية)، السيد المسيح لدى قيافا عظيم أحبار اليهود، إنكار بطرس للسيد المسيح، السيد المسيح يُوثق ويُساق إلى بيلاطس الحاكم الروماني، يأس يهوذا الإسخريوطي وانتحاره، السيد المسيح في حضرة هيرودس، إكليل الشوك والجلد، الصلب والموت والدفن، القيامة، ترائي السيد المسيح بعد القيامة.

يدرك المرء من أقوال السيّد المسيح وأفعاله في القدس أنّه عدّها عاصمته، حيث تربّع لا على عرش العظمة الدنيوية – بما أنّ «ملكوته ليس من هذا العالم» (يوحنا 18: 32) بل على عرش الصليب وهكذا أصبحت القدس مرّة أخرى وأفضل من أي وقت مضى «مدينة الملك العليّ» و«بهجة الأرض كلّها»[1]. ويوجد في القدس العديد من الكنائس والأديرة ودور العبادة والتي تعكس أهمية وقدسية المدينة لدى المسيحيين، منها[2]:

1) كنيسة الجثمانية: وهي كنيسة جميلة واقعة في وادي قدرون عند ملتقى الطرق بين القدس والطور وسلوان، بنيت سنة 389 للميلاد فوق صخرة الآلام التي يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح عليه السلام صلى وبكى عليها قبل أن يعتقله الجنود الرومان، دمّرها الفرس سنة 614 للميلاد، ولكن الصليبيين أعادوا بناءها في القرن (12م)، وقد أعيد بناء هذه الكنيسة سنة 1924م على يد المعماري الإيطالي أنطونيو بارلوزي، وقد أسهمت 16 دولة بتمويل بنائها، ولذلك صارت تعرف أيضًا باسم «كنيسة كل الأمم».

2) دير مار مرقس: وهو من ممتلكات السريان الأرثوذوكس، وقد شيّد في المكان الذي

(1) المرجع السابق.

(2) إعداد الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات.

يعتقد السريان أن السيد المسيح أقام في المكان عشاءه الأخير، وهو على بعد 20 مترًا شمال شرقي كنيسة القديس توما.

3) راهبات مار يوسف: قدمن إلى القدس عام 1848م، ولهن فيها «مشفى القديس لويس» ويقع شمال سور القدس بالقرب من الباب الجديد وبني عام 1880م.

4) كنيسة سانت ان: تقع شمالي الحرم القدسي بين باب حطة وباب الأسباط، حيث أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته، وهي للروم الكاثوليك، وقد بناها البيزنطيون في القرن الخامس الميلادي، وفي هذا المكان بنيت كنيسة عرفت باسم كنيسة مريم البتول سنة 530م، ويظهر أن هذه الكنيسة احترقت مع ما احترق من ممتلكات النصارى على يد الفرس سنة 614م، فأعادوا الصليبيون بناءها عندما فتحوا القدس سنة 1099م، وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة، وجعل صلاح الدين هذه الكنيسة رباطًا للصالحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة 1188م، وكانت هذه تعرف فيما مضى بـ«صند جنة»، وسميت بعد الفتح الصلاحي بالصلاحية، وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين 1821م و1842م، هدمت على أثره جدران الدير، فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت الثكنة العسكرية المجاورة له.

5) كنيسة مريم المجدلية: بنيت سنة 1888 للميلاد من قبل القيصر الروسي ألكسندر الثالث تخليدًا لذكرى والدته «ماريا ألسكدوفنا»، وتقع على جبل الزيتون وتتميز بقبابها الذهبية السبع البصلية الشكل، وتعتبر واحدة من أجمل كنائس القدس وفلسطين بشكل عام، وتحتفل هذه الكنيسة بعيد القديسة مريم المجدلية في 22 تموز من كل عام.

6) كنيسة القيامة: واحدة من أعرق وأقدم وأهم الكنائس في العالم، تقع في حارة النصارى في قلب القدس المحتلة، استغرق العمل في بنائها أحد عشر عامًا، إذ بدأ عام ثلاثمائة وخمسة وعشرين وانتهى عام ثلاثمائة وستة وثلاثين للميلاد، إذ كان طولها 54 مترًا وعرضها 62 مترًا، وكان موضعها يقع خارج محيط السور الذي أحاط بالقدس في ذلك الوقت. أشرفت على بنائها الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين عندما حضرت إلى القدس في الثلث الأول من القرن الرابع للميلاد، وتتكون الكنيسة من قبتين كبيرتين، والكبرى هي القائمة فوق القبر المقدس، والأخرى هي قبة كنيسة نصف الدنيا. وتقدر مساحة الأرض القائمة عليها كنيسة القيامة بنحو ثمانين مترًا في ستة وستين مترًا. وتحتضن كنيسة القيامة عددًا كبيرًا من الكنائس والأديرة التابعة لطوائف مسيحية عدة كالروم الأرثوذكس والفرنسيسكان والأرمن والسريان والأقباط والأحباش. وواجهة الكنيسة/ القيامة: توجد أمام مدخل

الكنيسة بلاطة من الرخام رسم عليها ترس «نورماندي» حيث يقع قبر فيليب أبيوني معلم الملك هنري الثاني ملك إنكلترا.

7) الساحة/ القيامة: وتقع تجاه الباب الرئيس الذي يتوصل منه إلى داخل الكنيسة، وتمتد على طول 25 مترًا وعرض 17 مترًا، وتشمل على عدد من الأعمدة والتيجان، وفي الجانب الآخر من الساحة يوجد جامع عمر بن الخطاب الشهير، إضافة لعدد من الأديرة التاريخية مثل معبد «سيدة الأوجاع»، ودير السلطان، وكنيسة مار إبراهيم للروم الأرثوذكس، ومصلى الأرمن، وكنيسة يعقوب ومريم المجدلية والأربعين شهيدًا.

8) برج الأجراس/ القيامة: ويقع في الناحية الغربية من الكنيسة على يسار الداخل من بابها الجنوبي الوحيد المفتوح، ويرجع تاريخ إنشائه إلى الفترة ما بين 1160م إلى 1180م.

9) درج الجلجلة/ القيامة: يقع على يمين الداخل إلى كنيسة القيامة تجاه دكة الحراس وتؤدي الدرجات نصف الدائرية إلى كنيسة الجلجلة للاتين ثم للروم.

10) دكة الحراس/ القيامة: تقع على يسار الداخل مباشرة إلى كنيسة القيامة وهي مخصصة لوقوف حراس الكنيسة من عائلة نسيبة المقدسية.

11) حجر المغسل/ القيامة: يقع تجاه الباب الخارجي للكنيسة، وترقى جذوره التاريخية إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

12) قبة كنيسة القيامة: تم تجديد قبة الكنيسة عام 1994م، وقد أعد التصاميم اللازمة لأعمال الزخرفة والبناء الفنان الأميركي آرا نورمات، وقد تم تدشين تجديد القبة في احتفال سنة 1997م مجسدة لشمس تسطع في منتصف القبة.

13) القبر المقدس/ القيامة: ويقع في الناحية الغربية من الكنيسة، أسفل قبة الكنيسة الكبيرة الرئيسة، وهو عبارة عن بناء مرتفع مستدير، ويدخل إلى القبر من باب شرقي تزينه الرسوم المصورة والشمعدانات والنقوش الرخامية والقناديل والمصابيح الذهبية والفضية والرايات المقدسة. ويوجد بداخل القبر المقدس غرفة مثمنة الشكل مكسوة بالرخام، تنتهي إلى حجرة أخرى تسمى «مصلى الملائكة» أو «معبد الملاك»، وعلى جانبيها طاقتان تخرج منهما النار في عيد سبت النور، وتعلو الغرفة من الداخل قناديل ذهبية.

14) كنيسة الجلجلة/ القيامة: تقع إلى اليسار من كنيسة الجلجلة للاتين وهي تتصل بها، كما أنها تساويها تقريبًا بالمساحة، ويتصدرها إلى الشرق أيقونات وصور، وفي أسفلها مذبح

صخري تقع إلى يمينه صخرة مشققة تنفذ إلى مغارة تحت الجلجلة تسمى «معبد آدم».

15) كنيسة قبة نصف الدنيا/ القيامة: تقع تجاه القبر المقدس من ناحية الشرق، وتعد مقر الكرسي البطريركي وبداخلها تجري المراسيم الدينية لطائفة الروم الأرثوذكس.

16) كنيسة آدم/ القيامة: تقع أسفل كنيسة الججلة وتشتمل على مغارة طبيعية فيها صخرة الجلجلة.

17) كنيسة القديس يعقوب/ القيامة: تحد كنيسة القيامة من ناحية الغرب وتسمى أيضًا بكنيسة «مار يعقوب» وهي للروم الأرثوذكس العرب.

18) معبد حبس المسيح/ القيامة: يقع حبس المسيح للروم الأرثوذكس في الركن الشمالي الشرقي من كنيسة القيامة، ويرجع تاريخه إلى الفترة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين، ويقول التقليد المسيحي الشرقي إن هذا المكان شكّل حبسًا للسيد المسيح عليه السلام أثناء مرحلة درب الآلام.

19) قبة الثلاث مريميات/ القيامة: هو حجر دائري يقع تجاه معبد الأرمن الأرثوذكس على يسار الداخل إلى كنيسة القيامة، ويرمز هذا الحجر إلى الثلاث مريميات اللواتي ساعدن المسيح عليه السلام وهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسف، وأم ابني زبدى.

20) كنيسة القديسة هيلانة/ القيامة: يصل طولها 30 مترًا وعرضها 13 مترًا، وتشتمل على قبة حجرية مرفوعة على ستة أعمدة كبيرة مزينة بتيجان مختلفة الأشكال.

21) مغارة الصلب/ القيامة: يتوصل إليها بعد النزول من كنيسة القديسة هيلانة من الناحية الجنوبية الشرقية، وهي عبارة عن مغارة محفورة بالصخر مساحتها سبعة أمتار وارتفاعها خمسة أمتار تقريبًا، وفي هذه المغارة عثرت هيلانة على خشبة الصلب وفقًا للكنيسة الفرنسيسكانية.

22) درب الآلام: هي طريق لا يتعدى طولها كيلومتر واحد، وحسب المعتقد المسيحي هي الطريق التي سلكها السيد المسيح – عليه السلام – من المحكمة إلى جبل الجلجثة حيث تم صلبه، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً للآلام التي عاناها السيد المسيح في الطريق. وتبدأ من باب الأسباط وتنتهي في كنيسة القيامة، وتحوي الطريق 14 مرحلة، تسع منها في الطريق نفسه، وآخر خمس مراحل داخل كنيسة القيامة، وهي طريق مليئة بالكنائس والمزارات. وتبدأ مراحل درب الآلام المعروفة أيضًا بدرب الصليب أو طريق الجلجلة، من حارة باب حطة حيث تقع المدرسة العمرية المعروفة تاريخيًّا باسم المدرسة الجاولية، وتنتهي داخل القبر المقدس بكنيسة القيامة.

23) كنيسة المخلص «الفادي»: وهي من ممتلكات البروتستانت، تأسست سنة 1898م، بمناسبة زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني.

24) بطريركية الأرمن الكاثوليك: وهي للأرمن الكاثوليك، وهي طائفة جديدة نسبيًا بالقدس، وقد جرى تشييد دير وكنيسة على قطعة الأرض المعروفة بـ«حمام السلطان» في حارة الواد بالقرب من الزاوية الأفغانية سنة 1872م.

25) دير السلطان: هو من الأديرة القديمة بالقدس، وقد احتله الرهبان اللاتين بعد استيلاء الصليبيين على المدينة، ولكن صلاح الدين الأيوبي أرجعه للأقباط الأرثوذكس بعد تحرير بيت المقدس، فعرف من وقتها باسم دير السلطان. يلاصق هذا الدير سطح كنيسة القيامة من الجهة الشرقية، ولدير السلطان أهمية خاصة عند الأقباط لأنه طريقهم المباشر للوصول إلى كنيسة القيامة.

26) دير العذراء: وهو دير للروم الأرثوذكس، يقع إلى الجنوب من كنيسة القيامة ويسمى أيضًا «دير ستّنا مريم»، ولا يفصله عن الكنيسة سوى مسجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهو دير بيزنطي قديم بني في عهد البطريرك الياس الأول سنة 494 للميلاد.

27) دير مار أنطونيوس: يقع فوق كنيسة القيامة، وترجع أهميته إلى أنه صار مقرًّا للبطريركية القبطية الأرثوذكسية منذ سنة 1912م، وفيه تقع مساكن الرهبان الأقباط ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونية.

28) دير القديسة مريم: وهو للراهبات القبطيات ويقع قرب باب الحديد.

29) دير القديسة كاترين: وهو دير صغير للأرثوذكس ويقع قرب دير مار ميخائيل.

30) دير الأرمن الكاثوليك: يوجد في موضع المرحلة الثالثة من درب الآلام، حيث وقع السيد المسيح مغشيًا عليه، وهو في الزاوية القائمة على مفترق الطريقين: «طريق الآلام والطريق التي تصل بين الواد وباب العمود».

31) دير مار أفتيموس: وهو دير صغير للروم الأرثوذكس، ملاصق لدير السيدة من الشمال.

32) دير السيدة: وهو للروم الأرثوذكس، ويقع على بعد عدة أمتار من الخانقاه الصلاحية.

33) دير البنات: بناه البطريرك الياس الأول سنة 594م للروم الأرثوذكس، وهو مجاور لخان الأقباط من جهة الشمال، وفيه كنيستان إحداهما أرضية تعرف باسم «القديسة ميلانيا»،

والأخرى فوقها تعرف باسم «مريم الكبيرة» أو «العذراء البكر».

34) خان الأقباط: ويقع في حارة النصارى، وهو في الماضي كان مكانًا للحجاج والرهبان الأقباط، وهو على بعد أمتار من كنيسة القيامة.

35) كنيسة سانت ان: تقع في يمين باب الأسباط وفي حقبة صلاح الدين الأيوبي حولها المدرسة سميت باسم المدرسة الشافعية، وفيها أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته، وهي للروم الكاثوليك، وقد بناها البيزنطيون في القرن الخامس الميلادي، عرفت بأسماء عدة، منها «كنيسة مريم البتول» سنة 530م، و«كنيسة القديسة حنة»، وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين 1821م و1842م، هدمت على أثره جدران الدير، فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت الثكنة العسكرية المجاورة له.

36) دير مار حرجس: يقع على مقربة من باب الخليل، وقد شُيّد في العصر العثماني بالقرن (11هـ/ 17م) وقد ألحقت به مدرسة تعرف باسم «القديسة دميانة»، وفي الدير كنيسة فيها هيكل واحد يُصلّى فيه قداس يوم الاحتفال بعيد الشهيد مار جرجس (7 من تشرين الأول/ أكتوبر).

37) كنيسة القديسة حنة (الصلاحية): وتقع الكنيسة شمالي الحرم القدسي قرب باب الأسباط، حيث أتى السيد المسيح في هذا الموقع بإحدى معجزاته، وقد احترقت الكنيسة إبان الغزو الفارسي عام 614م فأعاد الصليبيون بناءها.

38) كنيسة العلية (دير صهيون): يقع هذا الدير على قمة جبل صهيون بالقرب من باب الخليل ويعتقد بعض المسيحيين أن «السيد المسيح» تناول وأتباعه في الدير عشاءهم الأخير.

39) كنيسة الصعود: بنيت على جبل الزيتون في المكان الذي يعتقد أن «السيد المسيح» صعد منه إلى السماء.

40) قبر البستان: يقع قبر البستان شمالي باب العامود، وقد حفر القبر في الصخرة على هيئة جمجمة أصبحت مزارًا مسيحيًا وسياحيًا، حيث تعتقد طائفة من البروتستانت أن السيد المسيح صلب في حديقة تقع على مقربة من تلة كان اليهود يرجمون فيها المحكومين ويصلبونهم ويلقون بجثثهم منها إلى واد قريب، ويعتقدون أنه هو هذا المكان[1].

(1) موقع طريق الإسلام (2014). أهمّيّة بيت المقدس. (شوهد في 30/ 12/ 2018):
أهمية – بيت – المقدس/ 38803/ article/ https://ar.islamway.net

المعالم المسيحيّة المقدسيّة
بين العهدة العمريّة والاستراتيجيات التهويدية

عزيز العصا

مقدمة

يعود الوجود المسيحيّ في القُدْس إلى البدايات الأولى لظهور المسيحيّة التي نادى بها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، إذ عاش في المدينة، وفيها تمّ تعذيبه على أيدي أعدائه وحوكم محاكمة باطلة ثمّ حكم عليه بالموت. استمرّت الدّعوة إلى المسيحيّة سرّيّة، وكان المسيحيِّون ملاحقون لا نصير لهم حتى بدايات القرن الرابع الميلادي، عندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين الدّيانة المسيحيّة أوائل القرن الرابع للميلاد، فزارت أمّه الملكة هيلانة القُدْس وشيّدت فيها عدة معالم دينيّة، أهمّها كنيسة القيامة.

منذ ذلك الحين والمسيحيِّون متواجدون في المدينة، خائفون أحيانًا وآمنون مطمئنّون أحيانًا أخرى، وبَنوا كنائسهم ومعابدهم التي كانت تتعرّض بين الحين والآخر لاعتداءات من قبل الأعداء القادمين إلى المدينة بهدف السيطرة عليها.

وعندما انتشر الإسلام في الجزيرة العربيّة، كانت المنطقة في حالة صراع وحروب دامية، وكانت القُدْس ميدانًا للصراع بين الرّوم والفرس. وفي عام (15هـ/ 638م)، جاء العرب المسلمون إلى مدينة القُدْس وهي عامرة بالمسيحيّة؛ سكانًا ومقدسات وأسواقًا وعمرانًا،

فاستلموا مفاتيحها سلمًا، وبقيت تحت الحكم الإسلاميّ حتى عام 1917م؛ إذ دخلها الإنكليز وعملوا على مدى ثلاثين عامًا من أجل إنشاء الدّولة العبريّة عام 1948م، التي اقتطعت نحو 86 % من المدينة المقدّسة، ثم استكملت السيطرة عليها عام 1967م.

سنتناول في هذه الدّراسة، باختصار، أوضاع المعالم والأماكن الدّينيّة المسيحيّة المقدسيّة منذ الفتح العمري، وما جاء في العهدة العمريّة، وصولا إلى الوضع الحاليّ تحت الاحتلال الإسرائيليّ، وما تتعرّض له من محاولات تهويديّة، ومخططات كامنة في عقل صانع القرار الإسرائيليّ يضمرها لتلك المعالم والأماكن الدّينيّة، تحرّكه معتقدات مفاهيم عقديّة وأيديولوجية، باتجاه تهويدها يومًا ما.

كنّا قد تعرّضنا في العدد السّابق من هذه المجلة «المقدسيّة» للعلاقة الإسلاميّة المسيحيّة عبر خمسة عشر قرنًا[1]، أما هذه الدّراسة فستركّز على الهجمة المبرمجة والمنظّمة التي تشنّها الدّولة العبريّة، بأدواتها – من منظّمات إرهابيّة وغيرها – وأجهزتها المختلفة على الوجود المسيحيّ في القُدْس، والصراع الّذي يعيشه المسيحيّون المقدسيّون مع دولة الاحتلال حفاظًا على معالمهم وأماكنهم الدّينيّة ومنجزاتهم الحضاريّة المتراكمة في هذه المدينة المقدّسة لنحو ألفيّ سنة ونيّف.

أحوال المعالم والمقدّسات المسيحيّة في القُدْس تحت الحكم الإسلاميّ - نظرة عامّة -

منذ انطلاقة الدّعوة الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة، في أوائل القرن السابع الميلادي، كانت العلاقة بين المسيحيين العرب وأبناء عمومتهم العرب أصحاب رسالة التّوحيد الجدد، علاقة ودّ وتقارب، وهناك العديد من المشاهد والشّواهد والأحداث التي تشير إلى هذه الحقيقة وتؤكد عليها. ولذلك، نجد أن مسيحيي القُدْس بقيادة البطريرك صفرونيوس اشترطوا تسليم المدينة للرجل الأول في الدّولة الإسلاميّة؛ الخليفة عمر بن الخطّاب، الذي أكرمهم وكرّمهم بوثيقة مهمّة سمّيت «العهدة العمريّة»، حملت تواقيع الصف الأوّل من المسلمين العسكريين والسّياسيين: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف.

بالاطّلاع على «العهدة العمريّة» وقراءتها قراءة تحليليّة، نجد أنّها رسمت ملامح العلاقة الإسلاميّة المسيحيّة، في القُدْس وخارجها، القائمة على الأمن والأمان الذي أعطاه الفاتحون

المسلمون للمسيحيّين من سكان البلاد الأصليين. وبقيت هذه الوثيقة –السّياسيّة – هي الحكم الفيصل في هذه العلاقة على مرّ الزمن.

وأما بالنّسبة للوجود اليهودي في القُدْس، فإن الله تعالى يأمر المسلمين ألا يهدموا كنيسة ولا كنيسًا، ويأمرهم في المحافظة على حرّيّة الدّيانة والعبادة لأصحاب الدّيانات الأخرى. وعليه، فإنّ العهدة العمريّة تؤكّد أنّه لم يكن هناك كنس لليهود حين فتح بيت المقدس سنة (15هـ/ 636م)؛ إذ لو كان كنس لليهود وقتئذ لحافظ عليها عمر بن الخطاب[2].

بدأ المسلمون بحكم القُدْس، وهم يحافظون على الأماكن المقدّسة المسيحيّة من كنائس وأديرة ومزارات. فعندما فتح عمر بن الخطّاب رضي الله عنه المدينة كان فيها نحو (20) كنيسة وديْرًا من زمن الرّوم، نذكر منها: كنيسة القيامة، وكنيسة الجيسمانيّة (الجثمانيّة)، وكنيسة صهيون، وكنيسة مار يعقوب، وكنيسة المصلّبيّة، وكنيسة القدّيسة مريم، وكنيسة الصعود، ودير مار يوحنا المعمدان، ودير العذراء، وبطريركيّة ودير الرّوم الأرثوذكس ودير مار الياس... الخ[3] [4].

خلال الحقبة الأمويّة (41هـ/ 661م – 132هـ/ 750م) أبدى الخلفاء الأمويون احترامهم للمسيحيين المقدسيين ولأماكن عبادتهم، من كنائس وأديرة وغيرها، كما كان المسيحيّون يتمتعون بحرّيّة العبادة وإعمار أماكنهم الدّينيّة[5]. واستمر هذا الحال من الأمن والأمان بشأن المسيحيين وممتلكاتهم إبّان الحقبة العباسيّة. إلا أن الحاكم الفاطميّ «العزيز» (365هـ/ 975م – 386هـ/ 996م) تزوّج من روميّة نصرانيّة، فمنح أصهاره النصارى ميزات وامتيازات كبيرة، حتى إنه أقام على فلسطين وزيرًا قبطيًا. وعندما توفّي العزيز خلفه ابنه الذي حمل لقب الحاكم بأمر الله؛ متناقض الصفات، وفاقد الاتزان، وكل يوم في حال، فنجم عن هذه الخصائص مجموعة ممارسات بحق المسيحيين في القُدْس تتراوح بين أقصى العقوبات ومطلق الحرّيّة في العبادة[6].

وإبّان الحكم الصّليبيّ لم يَسْلَم المسيحيّون الأرثوذكس من قسوة الصليبيّين الكاثوليك وهدفهم الاستراتيجي في جعل المدينة كاثوليكيّة العقيدة؛ فألغوا الرئاسة الرّوحيّة الأرثوذكسيّة في القُدْس، وتمّ تعيين بطريركيّ لاتينيّ، وأُبعِد النصارى الشرقيون عن كنيسة القبر المقدّس وأعمل الفرنجة في رقابهم السّيف[7]. وبالإضافة إلى تحويل قبة الصخرة المشرفة والمسجد القبلي إلى كنيستين وإلغاء الطّابع الإسلاميّ للمدينة، قام الصليبيون بإنشاء

العديد من المنشآت الدّينيّة في القُدْس.

وعندما تمكّن صلاح الدين الأيّوبيّ عام (583هـ/ 1187م) من تحرير بيت المقدس قام هو ومن بعده من حكام الدّولة الأيّوبيّة بعدد من الإجراءات، منها[8]: سُمح لمسيحيّي بيت المقدس البقاء في بلدهم كأهل ذمّة، وردّ صلاح الدين للأقباط معظم أملاكهم والأديرة والكنائس التي كانت لهم قبل مجيء الفرنجة؛ إذ إنهم كانوا قد توقفوا عن الحجيج إلى القُدْس إبّان الاحتلال الصليبيّ، وسُمح لرجال الصحة من الصليبيين العناية بالحجاج المسيحيين. وعندما أصبح الكثير من المواقع والكنائس والمباني المسيحيّة التي أنشئت خلال فترة احتلال الصليبيين للمدينة خالية تمامًا، أمر صلاح الدين سنة (583هـ/ 1187م) بتحويل مبنى قريب من كنيسة القيامة يسمّى «دار البطرك» إلى خانقاه حملت اسم الخانقاه الصلاحيّة. كما أنه جعل كنيسة القديسة حنة مدرسة للشافعيّة.

أما فترة حكم المماليك فقد امتازت بالهدوء والاستقرار وعدم حدوث حوادث كبرى تؤثر على الأوقاف والملكيات والعمران المسيحي[9]. فكان من سلاطين المماليك من تَعاطفَ مع المسيحيّين وسمح بتوسِعة المعابد والكنائس والأديرة، كما فعل السلطان بن برقوق (عام 812هـ/ 1409م) عندما سمح بترميم كنيسة المهد ببيت لحم. وكان هناك سلاطين سلبيّين في هذا الاتجاه، كالظاهر بيبرس (حكم 658هـ/ 1260م – 676هـ/ 1277م) الذي أغلق كنيسة المصلّبة، إلا أنها فُتحت بعد وفاته بثلاثين عامًا بطلب من الإمبراطور البيزنطي، وكما فعل السلطان الأشرف برسباي عند إغلاقه كنيسة القيامة عام (825هـ/ 1422م)، وفتحها بعد سنتين[10].

بدت علاقة المسيحيّين بالدّولة العثمانيّة على ما يرام، منذ اللحظة الأولى لدخول فلسطين تحت الحكم العثمانيّ، فيما يتعلق بالأوقاف والوقفيّات وأماكن العبادة والمعالم المختلفة. فقد تمّ توثيق الأوقاف والوقفيّات المسيحيّة بأشكالٍ مختلفةٍ، ووجد الباحثون في سجلاّت المحكمة الشّرعيّة بالقُدْس كثيرًا من الوقفيّات المسيحيّة؛ الخيريّة والذُّرّيّة. وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان يتم توثيق الوقفيّات المسيحيّة في سجلاّت محكمة القُدْس الشّرعيّة، ثم أصبح يسجّل في دير الطّائفة نفسها إن كانت رغبة الواقف كذلك[11].

كما أبدت الدّولة العثمانيّة تساهلًا إزاء تعمير الكنائس والأديرة وترميمها؛ إذ سُمح بإعادة ترميم كنيسة القيامة، وطلبت الدّولة من المسلمين التّبرّع لإعادة بناء الكنيسة، وفي عام

1809م صـدر فرمان بنـاء على فتوى شرعيّة سـمحت لطوائف النصارى بإنشـاء الكنائس وتجديدهـا من واردات أوقافهم[12]. وفي أواخر القرن التاسـع عشر أصبح عدد الممتلكات المسيحيّة (144) كنيسة ودَيْرًا[13].

يتضح من ذلك أن دور العبادة المسـيحيّة من كنائس وأديرة في القُدْس تضاعفت لأكثر من (6) أضعاف خلال الحكم الإسلاميّ الكامل للمدينة.

بريطانيا والدّولة العبريّة تشتّتان المُلكيّات المسيحيّة

منـذ مغادرة العثمانيين اسـتلم البريطانيون زمام الأمور في فلسـطين منـذ عام 1917م، حتى عـام (1948م)، فيـما أطلـق عليه «الانتـدابُ البِريطـانيّ»، علمًا بـأن بريطانيـا كانت أعلنت عـن فلسـطين وطنًا لليهود! وعـلى هذه القاعدة شرعـت بحكم فلسـطين وتمهيدها لتكون وطنًـا آمنًا مريحًا لليهود كما ورد في إعلان بلفور. وسـنتناول فيـما يأتي موجزًا لأحوال المعالم والأوقـاف المسـيحيّة في القُـدْس خلال القـرن العشرين وحتـى الخمس الأول مـن القرن الحادي والعشرين.

شرعـت سـلطات الاحتـلال البريطـاني منذ سـنوات الاحتـلال الأولى، بسـنّ التّشريعات والقوانين بهدف السّير نحو تحقيق المخطّطات الموضوعة لصالح اليهود في فلسطين؛ فكانوا يتشـاورون مـع د.وايزمن رئيس المنظمة الصهيونيّة، الذي اعترض بشـدّة عـلى فتح الطّابو سـنة 1919م بحجّة أن قِسْـمًا كبيرًا من أراضي البلاد سـوف يتحوّل إلى أوقافٍ تُنتزعُ من يد الحكومـة. إلا أنّـه في عام 1920م صـدر قانون انتقال الأراضي، الذي ربـط انتقالها بموافقةِ المندوب السّاميّ؛ ممّا أدّى إلى تقييد إنشاء الأوْقاف في فلسطين ومن ثم توقّفها تمامًا[14].

وخلال الفترة 1917م – 1948م، حاولت بريطانيا إيهام المسـيحيّين الفلسـطينيّين بأنّها دولة مسيحيّة صادقة، واجبها الأوّل الاهتمام بمصالحهم وكيانهم وصيانة حقوقهم ومقدّساتهم! إلا أن المسـيحيين العـرب في القُـدْس استشـعروا خطـورة الـصّراع بـين العـرب من جهة، واليهود وحلفائهم من جهة البريطانيين من جهة أخرى، فكانوا ضمن الشـعب الفلسطينيّ الـذي جنّـد قـواه في مقاومة الخطر الداهم، فشـارك المسـيحيّون، لاسـيما رجـال الدّين، في هذه المقاومة بشـتّى السبل، وتمّ تشـكيل الجمعيّات الإسلاميّة المسـيحيّة لمعارضة السّياسة البريطانيّة اليهوديّة[15].

وإبّان النكبة التي مُني بها الشعب الفلسطيني سنة (1948م) طالت المعالم المسيحيّة كما الإسلاميّة إلى حدٍّ كبير. كما أن استباحة الأملاك والملكيّات المسيحيّة؛ من مساكن ومؤسسات ومحال تجاريّة... الخ، شملت كلّ ما وقعت عليه أيدي المحتلّين اليهود. ففي تلك الحرب هدّمت السلطات الإسرائيليّة عشرات الكنائس، في العديد من القرى والمدن الفلسطينيّة التي دُمِّرت، فور خروج أهلها منها[16]. ومن الأمثلة على اعتداءات الدّولة العبريّة الوليدة على الممتلكات المسيحيّة:

أولًا: احتلال وقصف وتدمير: في 31/ 5/ 1948، أصدرت لجنة من الاتحاد المسيحي في فلسطين بيانًا مهمًّا في القُدْس يستنكر التّدمير، وتدنيس حرمة الأماكن المقدّسة المسيحيّة في فلسطين. وناشد البيان جميع المسؤولين والعالم المتحضّر إجبار اليهود على احترام الأماكن المقدّسة والمؤسسات الدّينيّة، والكفّ عن جعلها قواعد عسكريّة وأهدافًا لعمليّاتهم. وأشار البيان إلى تعرّض نحو ثلاثين **من الأديرة والمؤسسات – منها مشافٍ ومدارس وسكن بطاركة ورهبان – إلى احتلال الصهاينة، منها ما تمّ تدميره – جزئيًا أو كليًا – و/ أو تحصينها واستخدامها كقواعد للهجوم على المدينة المقدّسة، مثل**[17]:

– دير القديس جورج (الأرثوذكسيّة اليونانيّة)، ودار العجزة «نوتردام دي فرنسا»[18]، والمشفى الفرنسي (مع تجاهل وجود راهبات القديس يوسف، والمرضى، وفي تحدٍ لعلم الصليب الأحمر، والعلم الفرنسي)، والمشفى الإيطالي الذي وُضع تحت حماية الصليب الأحمر[19]، والبعثة الرسوليّة، على الرغم من وجود علم الكرسي الرسولي، ودير الآباء البندكتيين الألماني، والمدرسة الإنكليزيّة على جبل صهيون، ودير القديس يوحنا، والأرثوذكسيّة اليونانيّة، ودير للراهبات (تدميره بالكامل تقريبًا).

– المدرسة الدينيّة (Ste. Anne) تعرّضت لقصف بقنابل الهاون، مما أدّى إلى تدمير الجدران وإصابة اللّاجئين الذين احتموا فيها، وتدمّرت أجزاء من كنيسة القديس قسطنطين وهيلانة المتاخمة لكنيسة القيامة، وقصف البطريركيّة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة بنحو 100 قنبلة هاون من قبل المهاجمين المتحصنين في دير الآباء البندكتيين على جبل صهيون[20].

– أدّى هجوم على كنيسة سانت مارك التابعة للسريان الأرثوذكس إلى قتل الراهب بيتر سافمي (سكرتير المطران) وجرح شخصين آخرين.

– كما دمّرت قذيفة هاون سطح دير رئيس الملائكة التابع للبطريركيّة القبطيّة، وسقطت قذائف هاون على الدير الفرنسيسكاني الكبير (القديس المنقذ) الذي يقع بالقرب من كنيسة القيامة، فألحقت أضرارًا في دار الأيتام، وأدّت إلى مقتل وإصابة أطفال احتموا فيه.

– سقطت قذائف هاون على البطريركيّة اللاتينيّة وألحقت أضرارًا في القصر البطريركي، وخصوصًا في الكاتدرائيّة، كما تعرضت البطريركيّة الكاثوليكيّة اليونانيّة لقذائف هاون وأدّت إلى أضرار بالمبنى وإصابة بعض الأشخاص.

ثانيًا: إقامة المنشآت الرّسميّة للدولة الوليدة على ممتلكات الكنيسة الأرثوذكسيّة في غربيّ القُدْس[21]، التي تقدّر بنحو (520) دونمًا، مثل: مبنى البرلمان (الكنيست) المبني على أنقاض قرية الشيخ بدر، مقر رئيس الدّولة، ومقرّ الحكومة الإسرائيليّة، ومبنى وزارة التربية والتعليم، والمتحف... الخ[22].

ثالثًا: تدمير وتدنيس بعد النكبة: فقد واصلت السلطات الإسرائيليّة تدمير وتدنيس الأماكن المقدّسة المسيحيّة، منها[23]:

1. سيطرت القوات الإسرائيليّة على أديرة وكنائس مسيحيّة عدة على جبل صهيون في القُدْس.

2. تحطيم ونبش 14 قبرًا للبطاركة وتدنيس محتوياتها. وتحطيم جميع قبور المقبرة الأرثوذكسيّة اليونانيّة، كما تعرضت المقبرة الكاثوليكيّة على جبل صهيون لنفس الاعتداءات، فأخرجوا الجثث من المقابر، وبعثروا الأكفان ورفات الموتى في جميع أنحاء المقبرة».

3. عام 1961 قام متعصبون يهود بمهاجمة "شعائر دينيّة مسيحيّة"، وفي عام 1963م هاجم سبعون يهوديًا، معظمهم من طلاب مدرسة دينيّة، "مدرسة البعثة المسيحيّة الفنلنديّة في القُدْس"، وحطموا (30) نافذة من نوافذه وضربوا راعي المدرسة.

ويُجمل أبو جابر الموقف بقوله: إن أوقاف البطريركيّة الأرثوذكسيّة – وهي أكبر الكنائس رعيّة وأوقافًا – استهدفت من قبل الهيئات والسلطات (الحاكمة) منذ أواخر الحرب العظمى الأولى، وبشكل خاصّ منذ النكبة سنة 1948م، وأصبحت تستخدم كمواقع للاستيطان (اليهودي) في البلدة القديمة التي هي أم الكنائس بالنسبة إلى جميع المسيحيين

في العالم[24]؛ إذ رأى المسيحيّون فيها مركز العالم برمته، لذلك رسموا في الخرائط القديمة القُدْس في الوسط دلالة على مركزيتها[25].

وفي حرب حزيران 1967م بعد أن استكملت إسرائيل احتلال القُدْس وفلسطين، تعاملت الكنيسة الكاثوليكيّة مع الأمر على أن القُدْس الشرقيّة محتلة بطريقة غير شرعيّة، احتلالًا عسكريًّا، وتقع في هذا الجزء المحتلّ معظم الأماكن المقدّسة للديانات الموحدة الثلاث[26].

لقد تم في تلك الحرب الاعتداء على ممتلكات الأديرة المسيحيّة، حتى إن بطريرك اللاتين اضطر لإغلاق ثلاث كنائس في القُدْس بسبب وقوع انتهاكات فيها، ووقوع سرقة طالت تاج السيدة عذراء في القُدْس. وفي العام نفسه (1967م) أعلن مندوب اليونسكو أن «السلطات الإسرائيليّة اعترفت بضرب ممتلكات الأديرة وكنيسة القدّيس جورج وأسوار القُدْس بالقذائف»[27]. وهناك شهادات عديدة على التدمير الذي طال الممتلكات المسيحيّة المقدسيّة سنة 1967م، نختار منها وصف القس جيمس كيلسو[28] للضرر والتدنيس اللذين لحقا بممتلكات الكنيسة أثناء القتال، ومما قاله في مقالة نُشرت بتاريخ 21/ 7/ 1967[29]:

«أطلق الجنود الإسرائيليّون النار على الكاتدرائيّة الأسقفيّة تمامًا كما فعلوا في 1948م. دمّروا المدرسة الأسقفيّة للأولاد حتى تتمكن دباباتهم من اختراق القُدْس العربيّة. دمّر الإسرائيليّون ونهبوا جمعيّة الشبان المسيحيّة. كما دمّروا المشفى اللوثري الكبير الذي كانت تستخدمه الأمم المتحدة، بالإضافة إلى المركز اللوثري للمقعدين».

وتوالت الاعتداءات والانتهاكات خلال الفترة (1967 – تاريخه)، منها[30]: في سنة 1970م اعتدى الاحتلال على دير الأقباط، وأحرق المركز الدّولي للكتاب المقدّس على جبل الزيتون سنة 1973م، وأتبعوا ذلك بحرق أربعة مراكز مسيحيّة في القُدْس سنة 1974م. وفي عام 1982م أحرقت جماعة «كاخ» المتطرّفة كنيسة المعمدانيّة في القُدْس، وفي سنة 1983م زرع الاحتلال قنابل موقوتة في دور العبادة المسيحيّة في القُدْس، منها كنيسة للروم، وفي السنة نفسها قام مجهولون بمهاجمة دير تابع لراهبات ألمانيات في القُدْس. وفي 12 نيسان 1990م قامت مجموعة «عطاروت كوهنيم يشيفا» المتطرّفة باحتلال «دير مار يوحنا»، وفي عامي 1995م و1998م تعرضت كنيسة الجثمانيّة لاعتداءات مستوطنين.

وفي القرن الحاليّ (21) سجّلت المتابعات اليوميّة العديد من الاعتداءات «المبرمجة» على الممتلكات المسيحيّة، مثل[31]:

– عام 2007م، تكرّر حرق الكنيسة المعمدانيّة المذكور أعلاه.

– عام 2008م، اعتدت سلطات الاحتلال على المصلّين المسيحيين ومنعتهم من الوصول إلى كنيسة القيامة لتأدية شعائرهم الدّينيّة، وأتبع ذلك إقدام مستوطن على اقتحام كنيسة القيامة واعتدى على الرهبان، وعاث في الكنيسة خرابًا.

– عام 2009م، بدأت سلطة آثار الاحتلال بأعمال حفريّات وترميم في الجدار الغربيّ لكنيسة القيامة، دون علم الكنيسة أو التّنسيق معها.

دون أن يفرّق بين كنيسة وأخرى، سيطر الاحتلال على عقارات أرثوذكسيّة وكاثوليكيّة وسريانيّة في مناطق مختلفة من القُدْس؛ البلدة القديمة والضواحي والقرى المحيطة. وفي محاولة لرصد الاعتداءات الإسرائيليّة على المعالم المسيحيّة من كنائس وأديرة ومزارات وممتلكات عامّة وخاصة. وبشأن الكنيسة الأرثوذكسيّة – تمتلك قرابة ربع البلدة القديمة من القُدْس – نجد أن هناك سلسلة طويلة ومعقّدة من الطّرق، المباشرة وغير المباشرة، التي سلكها الاحتلال من أجل أن يتمكّن من ممتلكاتها، داخل المدينة وخارجها؛ تارة بالتزوير وتارة أخرى بالمصادرة أو بصفقات مع المطارنة اليونان الذين يسيطرون على البطريركيّة (الأرثوذكسيّة) والإعلان عنها كصفقات استثماريّة، أو الإيجار لمدة (99) عامًا، وهناك عروض بتجديد الاستئجار لمدّة 999 سنة بدلًا من 99 سنة. وجميع هذه الصّفقات تصبح بحكم البيْع في إسرائيل التي تتغيّر فيها القوانين والأنظمة حسب ملاءمتها للمخطط الصهيونيّ. وضمن هذا المفهوم تكون الكنيسة قد فقدت، وإلى الأبد، العديد من العقارات والممتلكات، منها[32]:

1) مقبرة الكنيسة الأرثوذكسيّة.

2) أراضي جبل أبو غنيم في القُدْس.

3) مكان معتقل المسكوبيّة كان مأوى للحجاج الأرثوذكس.

4) ساحة عمر بن الخطاب في القُدْس التي استحوذ عليها الاحتلال.

5) تحويل أراضي الأوقاف المسيحيّة في شارع الأنبياء بباب العمود إلى منتزهات وساحات للسيّارات.

6) هناك قطعة أرض بمساحة (25) دونمًا تسمّى "أرض الأنصاري"، قريبة من المسجد الأقصى المبارك، تتبع الكنيسة الأرثوذكسيّة، شرعت البلديّة بإنشاء "حدائق توراتيّة" عليها.

7) صادرت سلطات الاحتلال الإسرائيليّ أراضيَ وقفيّة مسيحيّة كثيرة قرب العيزريّة وأبو ديس – شرقيّ القُدْس؛ وهي الأراضي التي أقيمت عليها "مستعمرة معاليه أدوميم".

8) هناك العديد من الأراضي والمؤسسات والاستثمارات التابعة للكنيسة الأرثوذكسيّة المتوقّع سيطرة الاحتلال عليها.

وخلال الفترة (1967 – تاريخه) استمرت الاعتداءات المنظمة على الممتلكات المسيحيّة، من ترهيب وتهديد، وحرائق متعمدة، والهدم، وغير ذلك من الممارسات التي لا يتسع المجال لذكرها. كما رصدت الدراسات مصادرات استيطانيّة لتسعة أوقاف كنسيّة[33].

وعند البحث حول «المنظمات والحركات والجماعات المتطرفة في إسرائيل» وجدنا أنّ وكالة وفا قد رصدت (63) منظّمة، تتوزّع على استراتيجيّات وأهداف مختلفة، تغطّي الهدف الاستراتيجي الرئيس، وهو «القضاء على الوجود الإسلامي والمسيحي، على طول الوطن الفلسطيني وعرضه؛ في القدس وخارجها». وأما القدس فإنها تنفرد بإجراءات خاصّة تتعلّق بتهويدها بالكامل. وأمّا بالنّسبة لسنوات التّأسيس، فإن ما يزيد على خُمس هذه المنظّمات «الإرهابيّة» تأسّس بعد اتفاقيّة أوسلو التي سمّيت «اتفاقيّة السّلام» بين حكومة الاحتلال والفلسطينيّين، خاصّة خلال القرن الحادي والعشرين؛ خلال الفترة (2000م – 2015م)[34].

تتوزّع هذه المنظّمات، في غالبيّتها، على إقامة الهيكل المزعوم وتهويد المسجد الأقصى المبارك،، ولكن منها ما يكثّف جهده ضدّ الوجود المسيحيّ. أما البعد الفكري لهذه المنظّمات، فتتوزّع بين الصهيونيّين والمسيحيين الإنجيليين، واليهودية المسيحية الصهيونيّة. وأما الفئة المستهدفة لهذه المنظّمات، فهي فئة الشباب والأطفال؛ يتم تدريبهم وتمكينهم وتأهيلهم من أجل القيام بالمهمّات الموكلة إليهم[35].

وهذا يعني أن الدّولة العبريّة لم توقّع على الاتفاقيّة من أجل تنفيذ السّلام مع الفلسطينيّين، وإنما كخطوة «تكتيكيّة» يتمّ استثمارها من أجل تعريض الفلسطينيّين للمزيد من الموت

والتّشريد والترهيب ونهب ممتلكاتهم وسرقتها، وهذه هي الأدوار المنوطة بتلك المنظّمات.

هنا، نجد أنفسنا أمام ضرورة قصوى للإجابة على السّؤال الاستراتيجيّ المتعلّق بالأيديولوجيا التي تقود دولة الاحتلال، وهو: **هل يتساوى عداء الدّولة العبريّة للوجود الإسلاميّ مع عدائها للوجود المسيحيّ؟**

البعد الأيديولوجي للعدوان الإسرائيليّ على المعالم المسيحيّة

يتأكّد لنا مما سبق أنه إذا قُدّر للمشروع الإسرائيليّ النجاح، فإن المدينة المقدّسة ستصبح خالية من سكانها العرب، وستحوّل أماكنها المقدّسة إلى كنس ومواقع مقدسة لليهود بما في ذلك بناء هيكل سليمان المزعوم[36]. بذلك، يكون عداء المشروع الصهيونيّ غيرَ مقتصرٍ على المسلمين، وادّعاءات أصحاب هذا المشروع بالهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى المبارك، وإنما يستهدف الوجود المسيحيّ برمّته، وبنفس المستوى من العداء والعدوانيّة، إن لم يكن أكثر من ذلك.

ففي الآونة الأخيرة بدأ الصّهاينة يروّجون لمقولة «**الوجود المعماري للأديان السّماويّة الثلاث يشكّل عائقًا أمام تنمية مدينة القُدْس اقتصاديًا**»، وأنه لا بدّ من التّخلّص منه، فيقترحون نقل قبّة الصخرة إلى عكّا أو نابلس، وحائط البراق إلى صفد، وكنيسة القيامة إلى النّاصرة[37].

لدى البحث في نظرة الدّولة العبريّة إلى الوجود المسيحيّ في القُدْس، نجد أن من ينثر ادّعاءاته يمنة ويسرة ضد الوجود الشرعي الإسلاميّ في القُدْس، ينثره أيضًا ضد الوجود المسيحيّ الشرعيّ، من خلال الادّعاءات والتشكيكات الآتية[38]:

1) قبر المسيح عليه السّلام خارج السّور وليس داخل كنيسة القيامة:

مع بداية القرن التّاسع عشر، انبرى القس الإنجيلي الأميركي روبرت روبنسون Robert Robinson للتشكيك بصحة موقع كنيسة القيامة، التي تمثّل رمز الوجود المسيحيّ في مدينة القُدْس، واستند في تشكيكه إلى أن المسيح عليه السلام يهودي، واليهود لا يدفنون موتاهم داخل الأحياء السكنيّة، ولما كان القبر داخل سور المدينة ووسط السكان، كما يزعم الآثاريون اليهود، فإن موقع القبر غير صحيح وكذلك موقع البناء الذي يعلوه، وهو كنيسة القيامة، غير صحيح أيضًا.

وفي سنة 1867م، عزّز الجنرال البريطانيّ تشارلز جوردون (Charles Gordon) تشكيك

روبنسون عندما ادّعى أنّ صخرة الجمجمة (الجلجلة) ليست في موقع كنيسة القيامة، بل تقع في حيّ المصرارة – شمال باب العمود – في المكان المعروف "مقبرة الحديقة".

2) طريق الآلام مستحدث ولا وجود له أصلا:

وهناك تشكيك بـ"طريق الآلام"[39] الذي أصبح تقليدًا مسيحيًا ومقام على الجزء الواقع في الحي الإسلاميّ (9) كنائس. ويقوم التشكيك اليهودي على أن هذا الطريق والمحطات الواقعة عليه هي دعاوى مستحدثة؛ إذ لا يعقل تحديد هذه المحطات من خلال «أبنية متهدمة تقع في أزقة علاها الطمم». وهذا التّشكيك هو مقدّمة للتخلّص من تقليد دينيّ مسيحيّ، وهدم الكنائس التسع المقامة عليه.

3) إزالة الوجود المعماري المسيحي الكائن شرقي الحرم القُدْسي، أي على جبل الزيتون فهو، وإن لم يعلن عن التشكيك فيه، في حكم المزال، لأنه يتعارض مع طقوس العبادة اليهوديّة بعد إقامة الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى المبارك. إذ يتطلّب الأمر إبقاء كامل المنطقة وحتّى البحر الميّت برّيّة؛ أي منطقة غير مأهولة، كما يتطلّب ممارسة طقس «عبادة العنز الشاردة»[40].

وهذا التشكيك ما هو إلا تمهيد لمعركة قادمة مع الوجود المسيحي برمته وليس المادي المعماري فقط، والمعركة وقوعها مرهون بنتائج المعركة الدائرة حاليًا مع الوجود الإسلاميّ بشقيه المعماري والبشري داخل المركز التقليدي وفي محيطه بصفة خاصة، والقُدْس بكاملها بصفة عامة[41].

الاستنتاجات والنتائج

يتبيّن من هذه الدّراسة التي تغطّي حقبة زمنيّة طويلة نسبيًّا، من القرن السّادس الميلاديّ حتّى القرن الحادي والعشرين، أن الوجود المسيحيّ في مدينة القُدْس متجذّر، ولا يمكن لأيّ كان، أو لأي قوة كانت المساس بهذا الوجود أو العبث فيه. فمنذ الفتح العمريّ حتّى نهاية الحقبة العثمانيّة كانت الممتلكات المسيحيّة؛ العامّة والخاصة، والأوقاف الخيريّة والذّريّة، المنقولة وغير المنقولة، تحظى بالرّعاية والاهتمام من رأس الدّولة (نظام الحكم القائم)، وقلّما تعرّضت للأذى أو التخريب من قبل منظومة الدّولة، وعندما يقع الأذى سرعان ما يتمّ تعديله وتصويبه تحقيقًا لما ورد في العهدة العمريّة التي كانت هي الفيْصل عند الخلاف والاختلاف. وكانت النتيجة، كما تبيّن من هذه الدّراسة، أن تضاعف حجم

الملكيات المسيحيّة من كنائس وأديرة وغيرها ستّة أضعاف ما كانت عليه عند الفتح العمريّ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى حالة التساهل والتسامح التي حظي بها المسيحيّون من الدّولة الإسلاميّة، خاصّة خلال القرن التاسع عشر إبّان الحكم العثمانيّ، ذلك القرن الذي بُدئ بفرمان صادر عن السّلطان العثمانيّ، بناءً على فتوى شرعيّة سمحت لطوائف النّصارى بإنشاء الكنائس وتجديدها من واردات أوقافهم.

وما أن انتهى الحكم العثمانيّ الذي أعطى الوجود المسيحي هويّته الخاصة به، جاء الحكم البريطانيّ الذي تمّ خلاله إدارة البلاد، من جميع النّواحي، بما يضمن إنشاء الدّولة العبريّة على أرضيّةٍ صلبةٍ، فشهد عام 1948م مغادرة يافطة «الانتداب البريطاني»، لتحلّ محلّها الدّولة الوليدة التي قامت على مبدأ «محو» الوجود الفلسطينيّ السابق، بغض النّظر عن الدّيانة، و«إنشاء» الدّولة العبريّة على أنقاضه، دون النّظر إلى الحقوق المشروعة لأصحاب الأرض الأصليّين. وعلى هذه القاعدة لاحظنا «استباحة» أيّ وجود مسيحيّ، من كنائس أو أديرة أو مزارات أو مؤسسات صحّيّة أو تعليميّة أو اجتماعيّة... الخ.

وعندما استقرّت الدّولة النّاشئة، وانتظمت مؤسّساتها، أخذت الاعتداءات على الملكيّات والمعالم والأوقاف المسيحيّة تتّسع، وتأخذ أشكالًا مختلفة، ظاهرها استئجار لفترات زمنيّة طويلة – انتقلت من 99 سنة إلى 999 سنة – وصفقات بيع وشراء، وباطنها سلب تلك الممتلكات وإخراجها من ملكيّة المؤسّسات المسيحيّة إلى ملكيّة الدّولة العبريّة، أو المؤسّسات والشركات المرتبطة بها. كما تبيّن أن الاعتداءات الأخرى ذات الأشكال العنفيّة؛ من خلال أجهزة الدّولة الشّرطيّة والعسكريّة، أو الهمجيّة من خلال الجماعات المتطرّفة والحاقدة على كل ما هو غير يهوديّ. وأما من حيث الفئة المستهدفة، فإن جميع الكنائس المسيحيّة، من مختلف المشارب والقوميّات تعرّضت لنفس الاعتداءات وبنفس القوّة؛ دون مراعاة أيٍّ منها.

وانتهت الدّراسة إلى مناقشة البعد العقديّ والأيديولوجيّ المحرّك للاستراتيجيّات التّهويديّة، فتبيّن أن هناك نظريّات ورؤى عقائديّة وفكريّة تحكم تلك التصرّفات، وجميعها تُنكر أيّ وجود لغير اليهود في القُدْس، خاصّة داخل سور البلدة القديمة. فتمّ التّشكيك في وجود الجوهر العمرانيّ المسيحيّ في مدينة القُدْس، ممثّلًا بكنيسة القيامة وطريق الآلام، ليضاف إلى التّشكيك القائم في الوجود الإسلاميّ برمّته؛ لينتهي الأمر بنفي الوجود غير اليهوديّ في القُدْس، لإتمام عمليّة التّهويد المعماريّ والبشريّ (الديمغرافيّ) للقدس كعاصمةٍ «أبديّة وموحّدة» للدولة العبريّة!

(Endnotes)

1 – العصا، عزيز (2020). القُدْس: خمسة عشر قرنًا من السّلام والتسامح. مجلّة المقدسيّة (تصدر عن جامعة القُدْس). العدد (5). ص: 167 – 174".

2 – صبري، عكرمة (2020). حقّنا في فلسطين. المؤلّف نفسه. الطبعة السابعة. ص: 26 – 27.

3 – الحنبليّ، مجير الدين (1973). الأنس الجليل في تاريخ القُدْس والخليل. مكتبة المحتسب. عمّان. الأردن. ج2. ص: 51، 170؛ شامية، فادي (2010). الممتلكات والأوقاف المسيحيّة في القُدْس. في: "دراسات في التراث الثقافي لمدينة القُدْس. تحرير: محسن محمد صالح. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات والحملة الأهليّة لاحتفاليّة القُدْس عاصمة الثقافة. العربيّة 2009. بيروت. لبنان. ص: 247 – 268"؛ داود، جورج (2013). الأوقاف المسيحيّة في القُدْس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. في: "مؤتمر بيت المقدس الإسلاميّ الدولي الرابع: الأوقاف الإسلاميّة والمسيحيّة في القُدْس تحت الاحتلال الإسرائيليّ. الجزء الأول. تحرير: محمود سعيد أشقر وخالد علي زواوي. وزارة الأوقاف الشؤون الدينيّة. رام الله. فلسطين. ص: 281 – 302". ص: 287.

وهناك فئات مسيحيّة أخرى انتشرت في المدينة، في أوقات لاحقة، مثل: اليونان، والسّريان، والأرمن، والأحباش، والأقباط، والكرج، والأوروبيين القادمين أثناء حروب الفرنجة (عن: أبو جابر، رؤوف (2010). الوجود المسيحي في القُدْس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. مركز دراسات الوحدة العربيّة. بيروت. لبنان. ط2. ص: 7).

4 – أبو جابر، رؤوف (2010). الوجود المسيحي في القُدْس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. مركز دراسات الوحدة العربيّة. بيروت. لبنان. ط2. ص: 7.

5 – Abu Assab, Nour (2014). The Umayyads' Attitude Towards the Christian Sacred Sites in IslamicJerusalem. Journal of IslamicJerusalem Studies 14: 27 – 76.

6 – العارف، عارف (1999): المفصّل في تاريخ القُدْس. مكتبة الأندلس. القُدْس. ط5. ص: 130 – 134.

7 – داود (2013). ص: 282.

8 – العثامنة، خليل (2006). فلسطين في العهدين الأيوبيّ والمملوكيّ (1187 – 1516). مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. بيروت. لبنان. ص: 100، 122؛ العارف (1999). ص: 159، 173 – 181، 189 – 190؛ الصلّابي، علي محمد (2007). القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي: شخصيته وعصره. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ص: 17 – 20؛ داود (2013). ص: 288؛ المهتدي، عبلة (2005). أوقاف القُدْس في زمن الانتداب البريطاني. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. عمّان. الأردن. ص: 224.

9 – العارف (1999). ص: 209.

10 – العثامنة (2006). ص: 223 – 227.

11 – المدنيّ، زياد (2010): "الأوقاف المسيحيّة في القُدْس وجوارها في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلاديين (1112هـ/ 1700م – 1336هـ/ 1918م)". عمّان. الأردنّ. ط1. ص: 11 – 12.

12 – القضاة، أحمد (2007). نصارى القُدْس: دراسة في ضوء الوثائق العثمانيّة. مركز دراسات الوحدة العربيّة. بيروت. لبنان. ص: 41.

13 – القضاة (2007). ص: 396.

14 – المهتدي (2005). ص: 61 – 65.

15 – أبو جابر (2010). ص: 129، 133.

16 – صالح، محسن (2011). معاناة القُدْس والمقدّسات تحت الاحتلال الإسرائيليّ. مركز الزّيتونة للدراسات والاستشارات. بيروت. لبنان. ص: 116.

17 – عيسى، حنا (2017). تدنيس وتدمير الأماكن المسيحيّة المقدّسة عن الفترة الواقعة (1948 – 2017). الهيئة الإسلاميّة المسيحيّة. رام الله. فلسطين. ص: 2 – 4.

18 – احتل اليهود المسلحون هذا المبنى بالقوة، واستبدلوا علم الصليب الأحمر بالعلم اليهودي، على الرغم من احتجاج القنصل العام الإيطالي. ثم استخدموا هذا المبنى لإطلاق النار على المدينة.

19 – تم تدميرها جزئيًا، ثم استخدموها قاعدة للهجوم على المدينة.

20 – دمرت القنابل دير القديس يعقوب ودير الملائكة وكنيستين، ومدرستين ابتدائيتين، ومدرستين دينيتين، والمكتبة. كما قُتل (8) أشخاص وجُرح (120) من بين الذين التجؤوا فيها.

21 – رحافيا، والطالبيّة ، وأبو غوش، ودير المصلّب وغيرها.

22 – شامية (2010). ص: 264؛ صالح (2011). ص: 121.

23 – عيسى (2017). ص: 4 – 5.

24 – أبو جابر (2010). ص: 55؛

25 – خضر، جمال (2009). الإرث العربي المسيحي في القُدْس. في "مؤتمر القُدْس العاشر. جامعة النجاح الوطنيّة. ص: 18 – 25". ص: 20.

26 – خضر (2009). ص: 24.

27 – شامية (2010). ص: 264.

28 – وسيط سابق في الكنيسة المشيخيّة المتّحدة وكان قد عاش في فلسطين سنوات عديدة.

29 – عيسى (2017). ص: 6.

30 – شامية (2010). ص: 264؛ أبو جابر (2010). ص: 155؛ عيسى (2017). ص. 6 – 9.

31 – صالح، محسن (2011). معاناة القُدْس والمقدّسات تحت الاحتلال الإسرائيليّ. مركز الزّيتونة

للدراسات والاستشارات. بيروت. لبنان. ص: 117 – 118.

32 – شامية (2010). ص: 255 – 264؛ أبو جابر (2010). ص: 154؛ صالح (2011). ص: 119 – 122.

33 – شامية (2010). ص: 264 – 265؛ فخر الدين، وتماري (2018). ص: 24.

34 – وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة (وفا). المنظمات والحركات والجماعات المتطرفة في إسرائيل. انظر الموقع الالكتروني (شوهد في 04/ 04/ 2020): http://info.wafa.ps /ar_page.aspx?id=5032

35 – نفس المرجع.

36 – الهندي، عليّان (2009). مستقبل القُدْس الشّرقيّة وفق الرؤية الإسرائيليّة. في "مؤتمر القُدْس العاشر. جامعة النجاح الوطنيّة. ص: 28 – 51". ص: 20.

37 – العابد، بديع (2010). القُدْس: العمارة والهويّة. في: "دراسات في التراث الثقافي لمدينة القُدْس. تحرير: محسن محمد صالح. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات والحملة الأهليّة لاحتفاليّة القُدْس عاصمة الثقافة العربيّة 2009. بيروت. لبنان. ص: 121 – 158". ص: 133.

38 – العابد (2010). ص: 131 – 134.

39 – هو طقس مسيحيّ كاثوليكيّ تمّ استحداثه في بداية القرن التاسع عشر؛ وهو طريق يخترق الحيّ الإسلاميّ، الّذي سار فيه المسيح عليه السّلام من المبنى الّذي حوكم فيه، وهو "المدرسة العمريّة" الكائنة في الزّاوية الشماليّة الغربيّة للمسجد الأقصى المبارك، حتى المكان الّذي صُلب ودُفِن فيه وهو كنيسة القيامة.

40 – العابد (2010). ص: 125.

41 – العابد (2010). ص: 131.

القدس كمدينة مقسمة

مراد البسطامي

تناولت العديد من التقارير والأدبيات موضوع القدس، حيث تحدثت بشكل أو بآخر عن خمسة محاور رئيسية حسبما يورد وليد سالم[1]: النوع الأول يعبرّ عن الجدل السياسي والأحقية في السيادة حول المدينة، والنوع الثاني من الأدبيات كان وصفيًا لسرد الإجراءات الإسرائيلية أو الفلسطينية في المدينة، أما النوع الثالث فتناول الجوانب القانونية، والنوع الرابع ذو منحى تاريخي، أما النوع الخامس فهو للحديث عن التخطيط العمراني والمشهد في المدينة. بينما ندرت الدراسات والأدبيات التي تتحدث عن القدس كمدينة مقسمة[2] وما يعنيه ذلك من علاقات بين سكان المدينة الواحدة، وأنماط التقسيم الموجودة بالمدينة، والتأثيرات الاجتماعية والاقتصادية على السكان، كذلك كيف يتفاعل السكان مع وجود

(1) Salem. Walid. 2006. Internalization & Externalization: Palestinian Jerusalemites adaptations to Internal Occupation. Jerusalem.

(2) انظر أيضا إلى

Friedman Abraham, Nasrallah Rami. 2005.Divided cities in transition. IPCC. Jerusalem.

Calame, Jon and Others.2012. Divided Cities: Belfast, Beirut, Jerusalem, Mostar, and Nicosia (The City in the Twenty - First Century). University of Pennsylvania Press.

وقائع كهذه؛ لعل السؤال الأبرز هو كيف سيكون مستقبل المدينة مع وجود تقسيمات كهذه.

تحاول هذه المقالة أن تسلط الضوء على القدس كمدينة مقسمة، مع ربط هذه الفكرة، مع موضوعة حداثة البحر، مقابل حداثة الجبل التي تحدث عنها المؤرخ والسوسيولوجي سليم تماري. وهذه ليست حالة فريدة بعينها، فوجد عبر التاريخ العديد من النماذج للمدن المقسمة على سبيل المثال: بلفاست، نيقوسيا، موستار، برلين، بيروت. ومن الملاحظ أن معظم هذه المدن انقسمت بفعل الحروب ولعوامل سياسية. يمكن الادعاء أن لمدينة القدس ميزة خاصة دون المدن المقسمة الأخرى، فقد انقسمت المدينة في العام 1948 إلى قسمين، شرقي يتبع السلطة الأردنية، وغربي يتبع لإسرائيل، وفي العام 1967؛ وبسبب الحرب عادت المدينة لتتوحد مرة أخرى، ولكن هذه المرة تحت الحراب الإسرائيلية، مع ذلك بقيت المدينة مقسمة إلى اليوم من حيث التخطيط العمراني، والمخططات والخدمات، فالأحياء العربية منفصلة تقريبًا عن الأحياء اليهودية، إما بفعل الجدران أو العوازل أو الشوارع، كذلك من حيث تركيبتها السكانية والإثنية واللغوية والدينية. والانقسام الأخطر يتعلق بتأويل تاريخ المدينة والرواية التاريخية، حيث ينفي النموذج الاستعماري الصهيوني التاريخ الفلسطيني، وأي تاريخ قبل التاريخ الصهيوني، حيث أصبح الدارس لهذه المدينة، وكأنه يدرس تاريخين مختلفين لمكان واحد، أي رواية وتاريخ بدل رواية وتاريخ، وشعب بدل شعب، وثقافة بدل ثقافة. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعداه ليتم تحويل الأرض إلى فضاء استعماري للرواية الصهيونية وتغيير للمعالم، ليس من حيث الكم الديمغرافي فحسب، بل تعدى الأمر وصولًا إلى تغيير أسماء الأماكن واستبدالها بأسماء توراتية وصهيونية[1].

في المقابل، لا بد من الالتفات إلى وجود مشكلة بحثية أساسية تطرح نفسها، تكمن في تعريف القدس كمدينة، فهل المقصود من القدس هو حدود الرابع من حزيران 1967، أم أن الحديث يشمل الأحياء العربية في القدس الغربية التي احتلت في العام 1948 كالطالبية والبقعة والقطمون وغيرها. من هنا برزت مشكلة دراسية في وضع تعريف محدد لما تعنيه القدس، كذلك في وضع حدود جغرافية أو خارطة موحدة لها أو حتى تعريف قانوني للمدينة، يرافق ذلك ثنائية وازدواجية في الخطاب الفلسطيني حول القدس، خصوصًا بوجود قرار للتقسيم صادر عن الأمم المتحدة في العام 1947 والذي وضع المدينة تحت

(1) عبد الرحيم الشيخ، 2009. "تنقيب فلسطين، جينولوجيا سياسات التسمية الإسرائيلية للمشهد الفلسطيني". مؤتمر القدس تاريخ المستقبل. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الوصاية الدولية، كذلك من خلال قرارات مجلس الأمن بما فيها القرار 242 و181، و338، فبعض الفلسطينيين يتحدث عن القدس كمدينة محتلة بشطريها الشرقي والغربي من خلال الحديث عن الأملاك العربية في القدس الغربية والحق الفلسطيني في استردادها أو العودة إليها، أو التعويض عنها. ووجهة نظر أخرى، أفرزتها أوسلو تتحدث فقط عن القدس الشرقية بحدود الرابع من حزيران 1967. ويقابل هذه الرواية، رواية إسرائيلية مضادة تتمثل برفض الحديث عن القدس الغربية كحق فلسطيني بما يتخلله من حديث عن حق العودة والأملاك العربية في الشطر الغربي، كذلك من خلال الحديث عن الوجه الأردني، واعتبار القدس أرضًا تم احتلالها من الأردن، يتم التفاوض عليها وليست أرضًا فلسطينية على الرغم من قرارات مجلس الأمن حول المدينة وقرار فك الارتباط الذي أعلنه المرحوم الملك حسين في العام 1988. من ناحية ثانية استغلال هذا الوضع القانوني للمدينة كثغرة قانونية في المفاوضات، وفي الوقت نفسه استخدام هذا التعريف في التعامل مع المقدسيين كمقيمين دائمين. ويرافق هذا الخطاب الادعاء بالحق التاريخي اليهودي في القدس، واعتبار القدس مدينة يهودية مستردة، وبالتالي اعتبار احتلالها في العام 1967 بمثابة استعادة للحقوق اليهودية التاريخية في المدينة، لذا تشكل القدس حالة قانونية وسياسية معقدة[1]، بالذات بعد نقل السفارة الأميركية إلى القدس والاعتراف فيها أميركيا بأنها العاصمة الأبدية والموحدة للشعب اليهودي.

بغض النظر عن التآويل المتعلقة بمدينة القدس؛ إلا أنه يمكننا اعتبار المدينة كمدينة مقسمة سكانيًّا وديمغرافيًّا ولغويًّا وسياسيًّا، ويدعم هذا الادعاء الكثير من الشواهد، ولكن قبل الخوض في تعليل تشكل المدن المقسمة، لابد من إلقاء نظرة سريعة على مخططات بعض المدن الشرق أوسطية[2]. فعلى سبيل المثال، كانت تتألف المدينة الرومانية التقليدية، والقدس واحدة منها، من الجدران الخارجية، شارع الأعمدة "الكاردو" والسوق "الأغورة" وميدان السباق "الأكوالسيوم" والمعابد والمسارح والأقواس الضخمة والساحات "الفورم" والتي شملت مباني عديدة، ومن بعدها المباني الرومانية التي استعملها السكان. بينما ركزت المدينة الإسلامية على المساجد كوحدة مركزية، ومن ثم ألحقت فيها الأسواق والمباني السكنية

(1) انظر أيضًا إلى قرارات مجلس الأمن رقم 242، 338، 181، 252، 237، 298، 446، 452

(2) في العالم الجديد كانت الكنيسة هي الوحدة المركزية، ومن ثم معسكرات الجيش والمستوطنات التي تحميها الأسوار.

والمدارس والزوايا ودور الأيتام والخانات. في السياق نفسه، كانت المدينة العربية الواحدة مقسمة داخل الأسوار حسب الطوائف الدينية: مثل حارة اليهود، حارة الأرمن، حارة النصارى، أو نسبة إلى المهن والحرفيين فيها مثل: حارة القزازين، سوق الحدادين، سوق القطانين، سوق اللحامين، أو نسبة إلى العائلات أو أسماء بعض الحكام أو الشخصيات العامة مثل سوق الحميدية، الغوروية، العباسية في مصر، الأشرفية، الطالبية، المعظمية... الخ. وكانت هناك وحدات أصغر للتقسيم ضمن نفس المنطقة مثل الحوش أو العقبة، كذلك أسماء الأحياء والمدارس والتكايا والزوايا الصوفية فيها. هذا بالطبع يدفعنا إلى بحث آخر، وهو تأويل الأسماء الموجودة في المدن والأحياء العربية، ودلالات هذه الأسماء التي يعود معظمها إلى اللغة الآرامية والسريانية[1]. حيث اندمجت هذه الطوائف حينها في بحر المدينة الواحدة تحت بوتقة الهوية العثمانية التي شملت اليهود والمسلمين والمسحيين والجوالي التي سكنت القدس، فالتجزئة التي فعلها الاستعمار أصبحت تعني نمو هوية محلية مناطقية، على حساب الهوية الجامعة التي صهرت جميع الطوائف والأقاليم في البوتقة العثمانية آنذاك. وهنا يمكن الحديث عن بروز الهوية الكولونيالية التي تعني الهوية المناطقية التي صنعها الاستعمار، والوعي الذي قام حولها من حيث تفتيت للهوية الجامعة.

على صعيد آخر، يميز يانسن هانسن بين المدن، فيتحدث عن نموذج المدينة الإسلامية أو الشرقية وعن نموذج المدينة المستعمرة وعن نموذج مدينة البحر المتوسط، كفضاءات متباينة، فبالنسبة للمدينة الإسلامية يقول "منذ دراسة ماكس فيبر اعتبرت المدينة في الشرق الأقصى كميدان للسلطة غير الشرعية بالمقارنة مع النموذج المثالي في المدن الأوروبية خلال القرون الوسطى أو بالمقارنة مع مدن الإغريق، وهذا يعود فيما قيل إلى عدم وجود حقوق للمواطنين وعدم وجود مؤسسات تغذي الهوية المدنية... أما بالنسبة للمدينة المستعمرة فيقول، طبقًا لميتشيل، فإن هوية المدينة الحديثة أنها تبنى على ما بقي من خارجها وإن حداثتها تعتمد على ما استثني من نقيضها لكي يبرهن على أنها مكان للنظام والمنطق والنظافة والحضارة، يجب على السلطة المستعمرة أن تبقي خارجًا كل ما هو غير منطقي ومخل بالنظام وملوث وبربري ومزدحم... أما بالنسبة للمدينة الشرق أوسطية فيقول لقد دخل نموذج مدني حديث على النقاش في المدة الأخيرة حول المدن في الشرق الأوسط وهو

(1) انظر إلى أبو خضير، ناصر الدين. 2016. أسماء قرى القدس: دراسة لغوية دلالية. مجلة اتحاد الجامعات العربية. مج 13، ع 2.

نموذج مدينة المتوسط، فكما نموذج المدينة المستعمرة كذلك نموذج مدينة المتوسط، فإن الرأسمالية العالمية تفضل الدور التجاري للمدن التي تتمتع بمرافئ على المدن الداخلية"[1].

هناك عوامل عديدة لتأويل ظاهرة المدن المقسمة، لعل من أهمها العوامل السياسية كما جرى الحال في برلين، ومع مدينة رفح، حيث قسمت الحدود مدينة رفح إلى مصرية ورفح فلسطينية، كذلك الحال مع مدينة نيقوسيا في قبرص المقسمة بين القبارصة اليونان والأتراك. ولكن أكثر الشواهد التاريخية لانقسام المدن كانت الحروب التي تعتبر الرافعة الأساسية في تشكل المدن المقسمة؛ حيث يتم الفصل بين سكان المدينة الواحدة بسبب التناقضات الاجتماعية والفلتان الأمني عبر وخلال الحواجز والمتاريس ونقاط التفتيش. ويحاول كل طرف توسيع حدوده أو الاستيلاء على المرافق المهمة كالبنوك والموانئ والمرافق الحيوية، لحين توضح خطوط التماس، كما جرى في العاصمة اللبنانية بيروت إبان الحرب الأهلية، حيث تركز الخط الأخضر بين ما عرف حينها ببيروت الشرقية التي شكل الموارنة أغلبية سكانها، وبيروت الغربية التي حوت طوائف وأحزابًا مختلطة. وقد جرت الكثير من المعارك والمناوشات لتحديد هذا الخط بالذات معارك الأسواق والفنادق فيما عرف حينها "بحرب السنتين". أما في القدس إبان حرب 1948، فلم تكن خطوط التماس واضحة في فترة الهدنة الأولى، نظرًا لتداخل الأحياء العربية والأحياء اليهودية بالذات فيما يعرف في القدس الغربية، وأثناء حرب عام 1948 نشبت معارك كثيرة بين مد وجزر للسيطرة على أحياء القدس الغربية والشرقية، منها بالذات معارك النوتردام، الحي اليهودي، الشيخ جراح، القطمون، باب الواد. وتشكلت الخطوط الفاصلة بين القدس الشرقية والغربية؛ بفعل الهدنة التي وقعها كل من موشيه ديان والقائد عبد الله التل. وفي حرب عام 1967 احتلت إسرائيل القسم الشرقي لتتوحد المدينة عمليًا تحت الحكم الإسرائيلي.

تتوحد المدن من جديد ضمن دورة حياتها في حالة الاتفاق السياسي أو المصالحة أو بعيد انتهاء الأعمال العسكرية، كما جرى الحال في بيروت بعيد اتفاق الطائف وبرلين بعد سقوط الجدار، حيث تزال الحواجز والمتاريس، وقد تستمر الحواجز لأسباب أمنية وسياسية كما جرى الحال في بلفاست وموستار ونيقوسيا.

ومن العوامل المساعدة لوجود ظاهرة المدن المقسمة، التناقضات الطبقية والخلل في توزيع

(1) يانسن، هانسن وآخرون. 2000. عصر النهضة مقدمات ليبرالية للحداثة. "محرر". ط1. بيروت. مؤسسة رينيه معوض والمركز الثقافي العربي ومؤسسة فريدريش ناومان. ص 101

الثـروات، واحتكارها ضمن فئة عرقية أو دينية ما، حيث تؤدي هذه التوترات إلى حالة من الانفجار الذي يكون على شـكل حرب أهلية أو حرب بـين الفقراء والأغنياء، وربما تكون العوامل الطائفية، الشـكل لهـذا الصراع، إلا أن معظم الصراعـات الطائفية لطالما اختزلت تناقضات اجتماعية داخل المدينة الواحدة عبّر عنها بالشـكل الطائفي نظرًا لتركز رأس المال ضمـن فئـة ما، كذلك التنوع العرقي والإثني في البلاد، حيث تنمو العصبيات أو القوميات التـي تطالب بعد فترة بالانفصال كما حدث في يوغسـلافيا السـابقة، والهجـرة الداخلية إلى المركز كحال مدينة سراييفو، حيث تتمركز كل فئة في مناطق معينة، بحثًا عن الأمن والحماية وكنـوع من التضامن العضوي والآلي الذي تحدث عنه دوركهايم. فحسـب دوركهايم فإن المجتمعـات التي يكون فيها تضامن آلي يكون تماسـكها واندماجها مـن تجانس الأفراد عن طريـق العمـل المتماثـل والتعليم والديانة وأسـلوب الحياة. بينما علل ابـن خلدون ذلك من خلال الحديث عن العصبية "وإذ بعد النسـب بعض الشيء فربما يُنسـى بعضها، وتبقى منها الشهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبة الأمر المشهور منه فرارًا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسـه من ظلم من هو منسـوب إليه بوجه. ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للأنفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبًا منها... إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام. فإذا كان ظاهـرًا واضحًـا حمـل النفوس على طبيعتها من النعـرة كما قلناه، وإذا كان يُسـتفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم، وذهبت فائدته"[1].

حيـث يـؤدي توافد الجوالي واللاجئين إلى تشـكيل كيانات مصغرة داخـل المدينة الواحدة، سرعان ما تتطور هذه الكيانات لتشـكل محلية بذاتها كحال مدينة بيروت، فعلى سبيل المثال توسـعت منطقة برج حمود أضعافًـا بعد تمركز الكثير من اللاجئين الأرمـن بعد مجازر العام 1915. بينـما ازدهرت الأحيـاء الجنوبية أو ما تعرف اليوم "الضاحيـة الجنوبية" بعد الهجرة الاقتصاديـة من الجنوب بعيد الاسـتقلال؛ بينما شـهد الجبل والأحيـاء الشرقية بالذات من العاصمة بيروت موجات نزوح جماعية بفعل الحرب الأهلية في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي[2]، مع ضرورة التمييز بين الهجرة الاقتصادية والقسرية والتي ترافق معظم الحروب.

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن. 2004. المقدمة. تحقيق حامد أحمد الطاهر. ط1 القاهرة: دار الفجر للتراث. ص171

(2) طرابلسي، فواز. 2008. تاريخ لبنان الحديث. رياض الريس للكتب والنشر. ط1. بيروت.

فالهجرة أو توافد الجماعات الوظيفية من الأرياف والمحيط، ونمو الأحياء وأحزمة الفقر من دلالات حداثة ونمو أو انكماش أي مدينة، حيث تنمو الجوالي والجماعات المهاجرة أو تندثر اعتمادًا على العامل الاقتصادي أو بفعل الحروب، فبيروت أصبحت العاصمة السياسية والاقتصادية للبنان، مع العلم أن الشوف وبيت الدين هي مقر الزعامة التقليدي، كذلك الحال بالنسبة لمدينة حيفا، فلطالما ذكرت الكتب والمصادر التاريخية مدينة عكا كمركز أساسي ولم تذكر حيفا بنفس الأهمية التي ازدادت أهميتها بعد حملة إبراهيم باشا وتوسيع الميناء حينها. في المقابل تعاني بعض المدن من ظاهرة الانكماش كحال مدينة برلين بعيد الحرب العالمية الثانية، وكحال مدينة القدس بعيد النكبة.

تؤسس هذه الجماعات، مجتمعات خاصة بها داخل الحواضر، مثلما فعل اليهود والإيطاليين والإيرلنديين والهولنديين في نيويورك. وهذه سمة الجماعات الوظيفية. حيث تعاني الجماعات الوظيفية والمهاجرة من حالات تمييز، وبطش في بعض الأحيان، من قبل الجماعات التي تعتبر نفسها أصلية، يعبّر عنه في النكات والأمثال والشتائم، وقد تصل إلى حد التطهير العرقي، حيث ترفض هذه الجماعات مزاحمة الغرباء والاندماج بهم إلا في حالة الحراك الطبقي والاجتماعي، فيشكلون حواضر أو مدن صفيح أو أحزمة فقر حول المدن تعاني الهامشية والفقر. كذلك تتعرض هذه الجماعات لحالات تمييز وتأطير بسبب الدين والإثنية ومكان السكن، ونوع العمل، واحتقار للعمل اليدوي الذي يمارسونه. في السياق الاستعماري يكون الفصل بين المستوطنين وبين السكان المحليين. "تمامًا مثلما قام اليونانيون والإيطاليون بدور الجماعة الوظيفية في مصر، ووقعوا ضحية للتطور التاريخي الذي طرأ على مجتمعاتهم وأصبحوا جماعات وظيفية بلا وظيفة، وقد حلت المسألة اليونانية في مصر على سبيل المثال برحيل كثير من اليونانيين إلى اليونان، وتبقى من تبقى منهم بعد اندماجهم في المجتمع المصري وتقبل وضعهم دون تمييز حضاري أو مهني، وقد تم الشيء نفسه بالنسبة للجماعات اليهودية في إنكلترا وفرنسا، إذ طردت الغالبية العظمى منهم، وبقي عدد قليل اندمج مع السكان"[1].

بالنسبة لمدينة القدس فمنذ عام 1948 ولغاية حزيران 1967 كانت مدينة القدس مقسمة إلى قسمين: المدينة الغربية التي غطت مساحة قرابة الـ38,000 دونم تحت السيطرة الإسرائيلية، والمدينة الشرقية التي غطت مساحة الـ6,000 دونم تحت السيطرة الأردنية.

(1) المسيري، عبد الوهاب.1998. الأصول الغربية للرؤية الصهيونية". مجلة شؤون عربية. ع166:115 – 190.

في شـهر حزيران 1967، بعد حرب الأيام السـتة، اسـتولت إسرائيل على قرابة الـ70,000 دونـم وضمتهـا لحدود بلدية القدس الغربية وفرضت القانـون الإسرائيلي عليها. الأراضي التي ضمت لم تشـمل فقط المدينة الشرقية بحدودها التي كانت تحت السـيطرة الأردنية، بل شملت أيضًا قرابة الـ64000 دونم إضافي، وغالبية هذه الأراضي كانت تابعة لـ28 قرية في الضفة الغربية، وبعضها تابع لبلديتي بيت لحم وبيت جالا. جراء هذا الضم كبرت مساحة مدينـة القـدس ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الاحتلال وأصبحت القدس أكبر مدينة في إسرائيـل. والواقـع أنه لغاية عام 1967، معظم المسـاحة البلدية للقدس بحدودها الحالية لم تكـن جزءًا من المدينـة (الشرقية أو الغربيـة)، وإنما جزء من الضفة الغربيـة التي احتلت في الحرب[1].

مارسـت إسرائيل منذ العام 1967 سياسة خاصة تتعلق بالقدس، يمكن وصفها بالأحادية الإسرائيلية تجاه القدس والمقدسـيين، ولهذه السياسة بعدان، الأول تجاه المقدسيين كسكان، والآخـر تجاه المدينة كفضاء كولونيالي، يتمثل الشـق الأول بالأسرلـة[2] والتهويد والتهجير والعزل[3] والضم ومصادرة إرث المدينة الحضاري، الذي يعني سبي وطمس الوجه العربي الإسـلامي والمسـيحي للمدينـة، واسـتبداله بنموذج مختلق يعـبر عن فانتازيـا توراتية فوق الأرض وتحـت الأرض، لا تعـبر بالـضرورة عن حداثة المدينة ولا عـن تاريخها، لدرجة أن المدينة أصبحت رهينة بيد مجموعة من المقاولين والجمعيات الاستيطانية كعطيرت كوهانيم، والعاد، وأمناء جبل الهيكل. تهدف هذه الجمعيات والسياسـة بشـكل عام إلى تحويل المدينة إلى منتجعـات وحدائق اسـتشراقية تعبر عن احتكار حقبة معينة مـن تاريخ المدينة الطويل، واختـلاق فانتازيـا توراتيـة حـول المكان. هـذه السياسـة لها مبرراتهـا الفكرية فمنذ نشـوء

(1) مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان بيتسيلم.2009. الوضع القانوني للقدس الشرقية وسكانها. القدس. نسخة الكترونية استعيدت بتاريخ 15/ 10/ 2009.

(2) انظر أيضاً إلى

Hodgkins, Allision. 1996. The Judaization of Jerusalem - Israeli Policies Since 1967. Passia. Jerusalem

(3) سالم، وليد. 1996.القدس في عهد حكومة الليكود معطيات عن عمليات التهويد والتهجير والعزل. صحيفة الأيام. 25 تشرين أول. ص 15.
انظر أيضاً عودة، يعقوب. 2008. التهجير القسري للبدو في القدس. جمعية الدراسات العربية والائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس. القدس مصالحة، نور الدين. 2003. إسرائيل وسياسة النفي: الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون. رام الله: مدار.

المشروع الصهيوني ونداءات هرتسل الأولى بأن لا مكان لغير اليهود في دولة اليهود؛ حتى يستطيع اليهود أن يقيموا دولة قومية تتميز بالتناغم الإثني على غرار الدولة القومية في أوروبا. "ارتكز الفكر الصهيوني بمجمله إلى فكرتين أساسيتين: الأولى أن الروابط التي تربط اليهود وتجعل منهم يهودًا أو شعبًا يهوديًا هي بالأساس مستمدة من اليهودية، والتي تشكل بدورها نظامًا معرفيًا وسلوكيًا شاملًا يميز اليهود عن غيرهم من البشر. يضاف إلى ذلك نشوء وتكوين ثقافة اجتماعية وأدبية تنطلق في أساسها من النظام الديني اليهودي... إلا أن مفكري ورواد الحركة الصهيونية أكدوا أن اليهود يشكلون وحدة بشرية، أمة واحدة أو شعب واحد، بالرغم من تعدد أوطانهم ولغاتهم"[1].

يضاف إلى ذلك فرض اللغة العبرية كلغة رسمية في التعاملات اليومية، وفي التخاطب مع المواطنين، وفي تسمية المستوطنات والمناطق، ثم تم عزل المدينة عن عمقها الريفي[2] وامتدادها السكاني العربي كما سبق من خلال الحواجز والجدار والمستوطنات؛ وذلك لأجل خلق أغلبية يهودية في المدينة، يقابلها توسع سكاني وضم لمستوطنات ضمن مشروع القدس الكبرى[3]. هذه الإجراءات تمثل انتهاكًا فاضحًا لكل القرارات والقوانين الدولية، ولعل أبرزها قرار الضم في العام 1980[4]، بالتالي اعتبار مدينة القدس عاصمة لدولة إسرائيل.

توجد جوانب عدة لدخول اللغة العبرية أو بعض مصطلحاتها في قائمة المفردات الفلسطينية، ليس كلغة كولونيالية فقط، بل كنوع من التأثير المتبادل، الأول يعبّر عن مرحلة عاشها المجتمع الفلسطيني في الداخل والضفة وغزة، تمثلت بالاحتكاك اليومي مع الإسرائيليين، من خلال التجارة والتعليم وسوق العمل، أو حتى في حالة السجن أو الحاجز، هذا النوع من التفاعل، تطلّب من هؤلاء أن يتعلموا اللغة كمفتاح أساسي، وكقناة مشتركة في تيسير المعاملات اليومية. هذه المعرفة (الإرادية) سمحت ببناء معرفة جيدة عن

(1) أبو لغد، إبراهيم. 1999. "أسطورة إسرائيل الثامنة". مجلة آفاق. ع4: 156 – 157.

(2) انظر إلى تماري، سليم وآخرون. 2003. القدس 1948 الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948. ط2. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ص89.

(3) تقرير "القدس النشاط الاستعماري والسياسات والممارسات الإسرائيلية. حزيران. 2009. الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية. ص16.

(4) انظر إلى حلبي، أسامة. 1994. القدس آثار ضم القدس إلى إسرائيل على حقوق ووضع المواطنين العرب. ط2. الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – باسيا. القدس.

المجتمع الإسرائيلي وطريقة حياته، بالتالي التغلغل أكثر وأكثر في الثقافة العبرية، كذلك من خلال حركة ترجمة نشطة للأدبيات والتحليلات والصحافة العبرية. أما الجانب الثاني في دخول العبرية، فهو الجانب القهري والذي تطلب من الفلسطينيين أن يتعلموا العبرية كنوع من المفردات القهرية، وهذه ارتبطت من العلاقة المباشرة مع الاحتلال، والمتمثلة في حالة السجن والعبور اليومي على الحواجز. أما الجانب الثالث فهو تبني الفلسطينيين لكثير من المفردات الصهيونية مثل مصطلح (المحرقة) و(الغيتو) و(الدياسبورا) في قائمة المفردات الفلسطينية وفي الخطاب السياسي المعاصر. "فإنّ التحوّل الذي أحدثته أوسلو لم يقتصر على اللغة ذاتها فحسب، بل أيضًا على تحويل اللغة والمنظور الفلسطينيّين اللذين نظرت القيادةُ الفلسطينيّة من خلالهما إلى طبيعة العلاقات الفلسطينيّة – الإسرائيليّة، حيث أسست عوضًا عنهما المنظورَ والمفرداتِ الإسرائيليّةَ بوصفها محايدة وموضوعيّة. إنَّ ما سعت إليه عمليّة أوسلو، إذًا، كان قلبَ هدفِ السياسة الفلسطينيّة ذاتها، من هدف الاستقلال الوطنيّ عن الاستعمار والاحتلال الإسرائيليّ، إلى هدفٍ يصبح الفلسطينيّون بموجبه عالةً في بقائهم السياسيّ والوطنيّ على إسرائيل وراعيها الأميركيّ، وذلك لفائدة سلام محتلّيهم وأمنهم"[1].

في المحصلة، يمكن الحديث عن القدس كمدينة مقسمة، لا من حيث السكان واللغة والأديان فحسب، بل من ناحية المخططات ومساحة العيش المخصصة لكل جانب، ويمكن تبرير هذا الادعاء من خلال الحديث عن المشهد الهندسي، والمعماري، في مدينة القدس، حيث يتم توصيفه على أنه نمط هندسي، في إعادة تفكيك وبناء الحيز العام لدى الفلسطينيين، والذي يستند في مجمله إلى المدرسة المابعد بنيوية، وإعادة إنتاجه صهيونيًا، حيث يُعاد رسم الخرائط، وتعاد هندسة الأحياء، والأماكن والتسميات، والبوابات والطرق، بطريقة تتوافق والرؤى التوراتية، والأمنية الإسرائيلية، حيث توجد جوانب عدة للمشهد، الأول يكمن في البنية الأمنية التي أصبح عليها المكان من خلال الفصل بين السكان العرب واليهود في المدينة من خلال بناء مستعمرات، وجدران، وأبراج، وحواجز، وقوات أمنية متأهبة طوال الوقت، وكاميرات مراقبة تعمل على مدار الساعة فوق الأرض وأنفاق تحت الأرض، هذه المنظومة البنائية ذات بعد استراتيجي، وأيديولوجي، حيث تشبه هذه المنظومة الأمنية في بنيتها القلاع أو السجون الكبيرة، المحمية من الخارج من

(1) Joseph Massad, The persistence of the Palestinian Question. (Routledge, NewYork,2007). P114 - 128

خـلال الجدران والأبراج والحواجـز، والمؤمنة من الداخل من خـلال المعازل والكاميرات والقوى الأمنية، ومن ثم تغليف هذه المنظومة بطابع سياحي ترفيهي متمدن "لا يمكن اليوم الدخول أو الخروج من وإلى الفضاءات الاجتماعية الإسرائيلية بغير المرور ببوابة وبحارس وبفحـص أمني، هـم المدخل الوحيد للقفص الذي يوضع عـلى كل فضاء عام ممكن، لغاية الآن لا يوجـد سـياج وبوابة ثابتان بمداخل الأحياء المختلفة بأسـلوب الجماعات المسـيّجة Gated Communities الأميركية،... فإن ما يحدث الآن هو عبارة عن قفص متنقل، تملك الدولة وأجهزتها الشرعية الوحيدة لوضعه وتشغيله في كل لحظة معطاة حسب تقديراتها[1].

الجانـب الثـاني، يكمـن في عـزل الأحيـاء والمناطـق العربية عـن بعضها بعضًا، على شـكل كانتونات وجعلها تعيش كجماعات فولكلورية مسيجة، تعاني الفاقة والهامشية الاقتصادية، وتعاني البطالة والازدحام والعشـوائيات لتشكل ما يشـبه مدن الصفيح على أطراف المدن، بعد أن تم عزلها عن المركز، بالتالي تجفيف بنيتها الاقتصادية وفسخها عن عمقها الديمغرافي والاقتصادي، بينما يغلب طابع الفوضى والفلتان الأمني والإهمال على شكل البنية التحتية، من شوارع إلى مياه الصرف الصحي وغيرها.

والجانـب الثالـث وهـو ما تحدث عنه د.إسـماعيل الناشـف من خـلال الفندقـة والتصفيح والتقفيص التي تميز تفاعلات الفضاء الاجتماعي للحي بصورته التي سادت لمدة أربعة عقود مع التحولات الاجتماعية الاقتصادية "إن إرث المستعمرات الحدودية يميز أغلب المشاريع الاستعمارية الاستيطانية، وبهذا فإن المشروع الصهيوني لا يختلف عن منابته الأوروبية ومن ثـم الأميركية، فالحـي الحدودي هو عبارة عن تحوير محدد لمسـتعمرة الحدود، سـبقته نماذج متعددة في تاريخ الصهيونية مثل الجدار والبرج "حوماه وميجدال" والمستعمرات الحدودية التـي يبنيها ويسـتوطنها أفراد نفس الوحدة العسـكرية بعد أو خلال خدمتهم العسـكرية، إن عمليـة التقفيـص تحـوّل مفهوم المسـتعمرة التقليدي إلى شـكل أقـرب إلى الحي القفصي المغلق"[2].

أما الجانب الرابع فهو، تحويل الأحياء والمخططات الهندسية التطويرية إلى فضاء استشراقي

(1) إسماعيل الناشف، 2005. فك الصهيونية: الفضاء والأيديولوجيا في المدينة الصهيونية. بيرزيت: معهد أبو لغد للدراسات الدولية جامعة بيرزيت، ص32.

(2) نفس المصدر السابق، ص33 – 34

يخـدم الروايـة الصهيونية، مثل تحويـل بعض أحيـاء وأراضي القدس الشرقيـة، إلى حدائق توراتيـة، وإلى متاحـف، كذلـك محاولة نفـي بعض الأماكـن الأثرية العربيـة، وتحويلها إلى منتجعـات وفنـادق، كما حدث مـع مقبرة مأمـن الله، ومبنى المجلس الإسـلامي الأعلى في القـدس الغربيـة. ورافـق ذلك محاولـة لتقليد الإرث المعـماري والهندسي وبعـض جماليات المشهد، وإعادة تدويرها وإنتاجها صهيونيًا. مثل نظام القبب والأقواس والقناطر. "لتعزيز سيطرتها الأمنية، وهيمنتها الحيزية على القدس داخل حدود الجدار، وخاصة البلدة القديمة ومحيطها المباشر أو ما يعرفه الإسرائيليون بالحوض المقدس، وهو مسـاحة 4 كيلو متر مربع بـما فيها البلدة القديمة (التي تشـكل مسـاحة أقل بقليل من 1 كيلو مـتر مربع وهي) منطقة تعـرف كمركز التراث اليهودي، وتشـمل مدينة داود في سـلوان المقابـر اليهودية على جبل الزيتـون، جبل صهيـون (حي الداودية حتى العام 1948) ومحيط أسـوار البلدة القديمة... تم اسـتبداله بواقع حيزي وسـياسي وأمني يعزز من الوجود الإسرائيـلي في البلدة القديمة، ومحيطها لتشـكل قلب العاصمة اليهودية، ومركز الشـعب اليهودي وفق الرؤية التخطيطية للخارطة الهيكلية 2000 للقدس"[1].

(1) نصر الله، رامي. 2009. القدس الواقع وانعكاسـاته الجيوسياسـية والوظائفية: سـيناريوهات مسـتقبلية، أعمال مؤتمر المسـتقبل لفلسـطيني في ظل اسـتمرار الاحتلال وتـآكل إمكانية الدولـة. القدس، مركـز الديمقراطية وتنمية المجتمع وجامعة القدس.

انظـر كذلـك إلى حلبـي، أسـامة، 2009. القـدس في القانـون الإسرائيـلي. مؤتمر القدس تاريخ المسـتقبل. مؤسسـة الدراسات الفلسطينية.

قائمة المراجع

المراجع العربية والمعربة

- ابن خلدون، عبد الرحمن. 2004. المقدمة. تحقيق حامد أحمد الطاهر. ط1 القاهرة: دار الفجر للتراث.

- أبو لغد، إبراهيم. 1999. "أسطورة إسرائيل الثامنة". مجلة آفاق. ع4.

- أبـو خضير، ناصر الدين. 2016. أسـماء قرى القدس: دراسـة لغوية دلاليـة. مجلة اتحاد الجامعات العربية. مج 13، ع 2.

- حلبي، أسـامة، 2009. القدس في القانون الإسرائيلي. مؤتمر القدس تاريخ المسـتقبل. مؤسسـة الدراسـات الفلسطينية.

- حـوراني، فيصـل. 2003. جـذور الرفـض الفلسـطيني1918 – 1948. ط1. رام الله: مواطـن، المؤسسـة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

- تمـاري، سـليم وآخـرون. 2003. القـدس 1948 الأحياء العربيـة ومصيرها في حـرب 1948. ط2. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- سابيلا، برنارد. 2009. القدس نموذج المدينة المفتوحة وتفسير موقف منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة. أعمال مؤتمر المسـتقبل الفلسـطيني في ظل اسـتمرار الاحتلال وتآكل إمكانية الدولة. مركز الديمقراطية وتنمية المجتمع وجامعة القدس. القدس.

- سـالم، وليـد. 1996. القـدس في عهد حكومة الليكـود معطيات عن عمليـات التهويـد والتهجير والعزل. صحيفة الأيام.

- الشـيخ، عبـد الرحيـم. 2009. "تنقيـب فلسـطين، جينولوجيـا سياسـات التسـمية الإسرائيليـة للمشـهد الفلسطيني". مؤتمر القدس تاريخ المستقبل. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- مسـعد، جوزيف. 2002. الدولة الثنائية القومية وإعادة توحيد الشـعب الفلسـطيني.. بيروت. دار الآداب نسخة إلكترونية.

- نصر الله، رامي.2009. القدس الواقع وانعكاساته الجيوسياسية والوظائفية: سيناريوهات مستقبلية، أعمال مؤتمر المسـتقبل الفلسـطيني في ظل اسـتمرار الاحتـلال وتآكل إمكانيـة الدولة. (القدس، مركـز الديمقراطية وتنمية المجتمع وجامعة القدس.

- طرابلسي، فواز.2008. تاريخ لبنان الحديث. رياض الريس للكتب والنشر. ط1. بيروت.

- عبد الرازق، عدنان. 2009. حق اللاجئين الفلسـطينيين بالاسـتفادة من عائدات أملاكهم المحتجزة. أعمال

مؤتمر المستقبل الفلسطيني في ظل استمرار الاحتلال وتآكل إمكانية الدولة. مركز الديمقراطية وتنمية المجتمع وجامعة القدس. القدس.

– عورتاني، هشام. 2009. دعم اقتصاد الصمود: أولوية أساسية قبل وبعد إقامة الدولة. أعمال مؤتمر المستقبل الفلسطيني في ظل استمرار الاحتلال وتآكل إمكانية الدولة. مركز الديمقراطية وتنمية المجتمع وجامعة القدس. القدس.

– عودة، يعقوب. 2008. التهجير القسري للبدو في القدس. جمعية الدراسات العربية والائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس. القدس.

– مصالحة، نور الدين. 2003. إسرائيل وسياسة النفي: الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون. رام الله: مدار.

– المسيري، عبد الوهاب. 1998. الأصول الغربية للرؤية الصهيونية". مجلة شؤون عربية. ع115.: 166 – 190.

– يانسن، هانسن وآخرون. 2000. عصر النهضة مقدمات ليبرالية للحداثة. "محرر". ط1. بيروت. مؤسسة رينيه معوض والمركز الثقافي العربي ومؤسسة فريدريش ناومان. ص 101.

– فنكلشتاين، نورمان. 2002. كي لا يطرد الفلسطينيون من جديد. ترجمة سماح إدريس.. بيروت. دار الآداب نسخة إلكترونية.

– الناشف، اسماعيل. 2005. فك الصهيونية: الفضاء والأيديولوجيا في المدينة الصهيونية. بيرزيت: معهد أبو لغد للدراسات الدولية جامعة بيرزيت.

– تقرير "القدس النشاط الاستعماري والسياسات والممارسات الإسرائيلية. حزيران. 2009. الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية.

المراجع الإنكليزية

– Calame, Jon and Others.2012. Divided Cities: Belfast, Beirut, Jerusalem, Mostar, and Nicosia (The City in the Twenty – First Century). University of Pennsylvania Press.

– Hodgkins, Allision. 1996. The Judaization of Jerusalem – Israeli Policies Since 1967. Passia. Jerusalem

– Friedman Abraham, Nasrallah Rami. 2005.Divided cities in transition. IPCC.Jerusalem.

– Massad, Joseph,2007. The Persistence of the Palestinian Question,New York, Routledge.

– Salem.Walid.2006. Internalization & Externalization: Palestinian Jerusalemites adaptations to Internal Occupation. Jerusalem.

فلسطين في القلب
الصهيونية المسيحية وتأثيرها السلبي

الأب رفيق خوري

مقدمة

إن الصهيونية المسيحية خليط من الأصول الدينية، والرؤى الأُخروية، والتفسيرات المسيحية والأيديولوجيا السياسية، والمشاريع المجتمعية التي وجدت دائمًا في التاريخ بأشكال مختلفة علمانية أو دينية بما تحمله معها من تعصب أعمى، وأدّت في كثير من الأحيان إلى المذابح الفظيعة والمآسي البشرية، إن جذور الصهيونية المسيحية بعيدة في التاريخ بما أنها تعود إلى القرن السادس عشر، حيث نجد العناصر الأولى لمثل هذا التوجّه، خصوصًا في بريطانيا، كما سبق وأشار إلى ذلك العديد من الباحثين في هذا المؤتمر، غير أن هذه الظاهرة بقيت هامشية، يتبناها فقط القلة من الناس، أما اليوم، فقد تغيّر الحال، وأصبحت الصهيونية المسيحية تيارًا منتشرًا انتشارًا واسعًا في مختلف بلدان العالم في الولايات المتحدة بشكل خصوصي. وبالتالي يشكلون خطرًا حقيقيًا على السلم العالمي، ولها تداعياتها الخطرة على مختلف شعوب العالم، ومنهم بالطبع الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى تداعياتها على الكنيسة الجامعة والكنائس المحلية في الأرض المقدسة.

ميراث الصهيونية المسيحية اليوم:

في العقود الأخيرة تنامى تيار الصهيونية المسيحية، ويتسم بالميزات التالية:

– **أولاً**: بعد أن كانت الصهيونية المسيحية تيارًا هامشيًا، أصبحت في عالم اليوم قوة فاعلة ونافذة، ربما ليس بحد ذاتها، بل بسبب تحالفها مع قوى أيديولوجية وسياسية مشابهة.

– **ثانيًا**: إن هذه الأيديولوجيات السياسية لم تعُد توجهات مذهبية أو فكرية فحسب، بل أصبحت في موقع السلطة السياسية، على وجه الخصوص في الولايات المتحدة الأميركية.

– **ثالثًا**: بسبب هذا التحالف مع مواقع السلطة، أصبحت الصهيونية المسيحية قوة نافذة، تمتلك وسائل عمل رهيبة (اقتصادية، وسياسية، وإعلامية، وأيضًا عسكرية) مما يجعلها خطرًا حقيقيًا في الوقت الحالي.

– **رابعًا**: تقدم هذه الأيديولوجية ذاتها على الطريقة الغربية، أي بمظهر العقلانية والخلقية، مما يجعلها أكثر قبولًا وجاذبية وبالتالي أكثر خطورة.

– **خامسًا**: تتخذ هذه الأيديولوجيات موقفًا عدائيًا متطرفًا وتهجميًا حيال كل من يخالفها الرأي وفي كل الاتجاهات.

إن مجمل هذه العناصر تجعل الصهيونية المسيحية بالغة الخطورة، وفي الوقت عينه صعبة المواجهة. وأرجو أن يساهم هذا المؤتمر في تفكيك هذه الأيديولوجيا بغية كشف تناقضاتها وتفسيراتها الخادعة وتأثيراتها المدمرة على المجتمعات البشرية وشعوب العالم.

في هذه الورقة، نحاول، باختصار وبغير كثير من الاستطراد، التقاط بعض التأثيرات السلبية للصهيونية المسيحية على مختلف الأصعدة، وتحديدًا على مختلف الديانات، والكنائس المحلية في الأرض المقدسة والعالم العربي، وعلى البحث عن العدل والسلام في الشرق الأوسط بشكل عام، وفي الأراضي المقدسة بشكل خاص. إن هذه الأيديولوجيا تستفز بشكل خصوصي الفلسطينيين المسيحيين، وتستدعي إدراكهم لمخاطرها على القضية الفلسطينية وعلى مسار العدل والسلام في الأرض المقدسة.

تأثير الصهيونية المسيحية على الديانات المختلفة

- على الدين بشكل عام:

إننا نعرف تمام المعرفة أن مثل هذه الأيديولوجيات الدينية، التي انتشرت اليوم في مختلف

الديانات، لعبت دورًا سلبيًّا في التاريخ البشري، مع ما جرّته من تعصب أعمى، ومذابح، ومظالم الخ... إن طرق التاريخ البشري مَعبدة بالضحايا البريئة لمثل هذه الأيديولوجيات بأشكالها المختلفة. وهذا هو الوجه المظلم للتاريخ البشري. وللأسف الشديد، تتأسس هذه الأيديولوجيا – بشقيها السياسي والديني – على مفهوم مُغلق وضيّق للدين، فتفسّر الكتب الدينية على هواها ووفق خيارات، لتجد فيها، باطلًا، المبرر المقدس لتوجهاتها المدمرة.

حاليًّا، وفي هذا المنعطف الحاسم لتاريخنا، تحاول الديانات المختلفة تجاوز هذه الأعراض الجانبية لتاريخها، إذ تعمل على تطوير مفهوم للدين، يشرّف الله حقًّا ويخدم الخير الحقيقي للإنسان، فهي تحاول أن تضع مبادئها السامية في خدمة البشرية، متجاوبة بذلك مع تطلعات البشرية إلى المصالحة والسلام والعيش المشترك والنمو والتقدم الشامل (المادي والإنساني والأخلاقي والروحي...) وتسعى إلى العودة من جديد إلى جذورها العميقة والإيجابية، فتقدم للبشرية بديلًا عن قوى الدمار والموت. وهذا ما يدعو أبناء جميع الديانات إلى تعرية هذه الأيديولوجيا بشكل عام، كي تحمي العالم من ويلاتها وتحمي نفسها أيضًا منهم، لأنها يمكن أن تتسرب إلى جميع الديانات، لتفسدها، وتجعل منها أداة ظلم وقمع وإبادة.

إن الصهيونية المسيحية، وجميع الأيديولوجيات الدينية والعلمانية المتحالفة معها، تشكل خطرًا على هذا السعي، حيث إنها تطور مفهومًا للدين، هو عبارة عن أيديولوجيا معادية للكائن البشري، مما يجعل الدين عنصرًا كارثيًا في التاريخ الإنساني. فبدل أن تقبل هذه الأيديولوجيات مشيئة الله، تحاول أن تصنع مشيئتها هي محل مشيئة الله، "أراد الله أم أبى" كما يقول أحد المثقفين الفرنسيين بكثير من الدعاية، إن الأصولية – والصهيونية المسيحية شكل من أشكالها – تشوّه الدين في عمق جوهره.

- على اليهودية:

في هذه الفقرة، لا نناقش الصهيونية ككل، علمًا بأنها، في صيغها الدينية والعلمانية، في إسرائيل والخارج، تنطوي على اتجاهات متعددة، لا تهمنا في هذه المداخلة. إننا نتعامل هنا مع هذا الشكل من الصهيونية اليهودية، الديني والعلماني على حدّ سواء، الذي يتصف بالتطرف، والذي يتبوأ مركز السلطة حاليًا في الدولة العبرية، والذي تلتقي توجهاته بالصهيونية المسيحية. بشكل أو بآخر.

بسبب تفسيراتها الدينية الضيقة وتحالفاتها الوثيقة مع الاتجاهات الأصولية في الساحة

الدينية لليهودية، ومع أكثر الاتجاهات السياسية تطرفًا في إسرائيل والشتات، فإن الصهيونية المسيحية تسيء إلى الديانة اليهودية، إذ تحوّلها إلى قوة طاغية وسبب للمظالم والعنف.

إن التوراة والأنبياء لا تستحق مثل هذه الخدمة البائسة، حيث إن التوراة، وخاصة الأنبياء، تنادي بالكثير من القيم الإنسانية السامية (العدالة، الرحمة، العناية بالفقير...)، إن قيام الصهيونية المسيحية بربط اليهودية بالسلطة السياسية، مع كل ملابساتها ومظالمها، يهدد الديانة اليهودية والشعب اليهودي والميراث اليهودي الروحي العريق.

وهنا، يجب التركيز على اللبس العميق الكامن في تحالف الصهيونية المسيحية مع العناصر المتطرفة في المجتمع اليهودي، فكل طرف ينطلق من خلفية مختلفة، لا متناقضة، وهم يعرفون ذلك. ولكن هذا اللبس له منافعه لكلا الطرفين، فكل طرف يستفيد من الطرف الآخر ولو لأسباب مختلفة ومتناقضة. فالصهيونية المسيحية تجد دعمًا غير مباشر لرؤاها الأخروية والتطرف اليهودي يستفيد من الصهيونية المسيحية لأهدافه السياسية.

- على المسيحية:

إذا ما قلنا إن الصهيونية المسيحية تسيء إلى اليهودية فإنها تسيء أيضًا إلى المسيحية وبقدر أكبر. في القرون الماضية قام اللاهوتيون المسيحيون والكنائس المسيحية بمجهود كبير، لتحرير المسيحية من الأيديولوجيات السياسية المختلفة التي كثيرًا ما أساءت إلى المسيحية في الماضي، والأمثلة التاريخية كثيرة، وعملوا على تنقية المسيحية من شوائبها التي علقت بها على مرّ التاريخ بسبب خلطها بين الديني والسياسي، بين الديني والدنيوي، وذلك ليعيدوا للمسيحية نقاوتها الأصلية ودورها في خدمة الله والإنسان، ليست المسيحية أيديولوجية سياسية في خدمة قوة سياسية، هي في الغالب قوة قمعية، وليست المسيحية أيديولوجيا في كل الأحوال، بل إنها خبر سار للبشرية جمعاء.

تعيدنا الصهيونية المسيحية إلى الوراء، عندما تحول المسيحية إلى أيديولوجيا سياسية، تعتمد على أفكار رؤيوية ومسيحانية عسيرة الهضم. وفي هذه الحالة تصبح المسيحية أيديولوجيا عمياء، تحصر الوقائع الملموسة على الأرض في أطر دينية ضيقة كثيرًا ما تتسم بالذهنية الأسطورية. وترتكز هذه الأيديولوجيا على تفسير لكلمة الله كحرف أكثر منه روحًا، بمعزل عن أي نقد تاريخي أو نصي. وشأنها شأن أي أيديولوجيا أصولية، تعتبر تاريخ الخلاص تاريخًا جامدًا متحجرًا. بعيدًا عن الدينامية والحيوية التي تتسم بها كلمة الله في

التاريخ. إن "الغيورين" (وهي فرقة من المتعصبين العنيفين) كانوا دائمًا، ولا يزالون، آفة في الجسم المسيحي، أدانتها الكنيسة بعد أن تألمت منها.

- على الإسلام:

إنّ أحد ثوابت الصهيونية المسيحية وحلفائها هو التهجم الشرس والحاقد على الإسلام. نظرًا لذهنيتها الرؤيوية، يحتاج هذا النوع من الأيديولوجيات إلى عدو ما؛ إلى مسيح دجّال. إن هذا الاتجاه هو مكون أساسي لذهنيتها. في وقت من الأوقات كان المسيح الدجال هم اليهود بالذات، وفي أوقات أخرى كانت اليسوعية. أما الآن فالمسيح الدجال، بالنسبة إليهم هو الإسلام والمسلمون.

لقد حذّر الكثيرون من أن هذا العداء المتأصل للإسلام هو جانب من جوانب اللاسامية. في الماضي، توجهت العقلية اللاسامية إلى اليهود واليهودية، واليوم الهدف هو الإسلام. لعله من المجدي أن نستعيد الأدبيات الإسلامية التي كان موضوعها اليهود في القرون الأخيرة، لمقارنتها مع ما يُقال حاليًّا في الإسلام، لنكتشف توافقًا غريبًا بين هذين الخطابين في الحقيقة، ليس هذا مستغربًا، لأننا أمام نفس المنظومة الذهنية المرضية. إن المعادين للإسلام اليوم ممكن أن يكونوا هم أنفسهم المعادين لليهودية غدًا.

وهنا أيضًا، يمكن أن نبحث فيما إذا كانت الشعارات التي نسمعها اليوم في الغرب حول "جذورنا اليهودية المسيحية" هي أيضًا يمكن أن نفهمها في هذا الإطار في الماضي، كان الشعار "جذورنا الرومانية الإغريقية" لكي يلغوا المسيحية من الحضارة الغربية. واليوم، نجد أنفسنا أمام شعار جديد مماثل (جذورنا المسيحية اليهودية). وخلفية هذا الشعار هو استثناء الإسلام من التراث البشري، مما يُعدّ الأرضية لصراع الثقافات والديانات والشعوب (كما هو الحال في بعض مناطق العالم في أيامنا). ومن الغريب حقًا والطريف أن نعرف أن هذا الشعار "الجذور اليهودية المسيحية" يردده حاليًّا حتى المثقفون العلمانيون. لا يخلو التاريخ من الدعاية في بعض الأحيان!.

وفي هذا المجال، لا يسعنا إلا أن نلفت النظر إلى أن الإسلام نفسه يتعرض هو أيضًا لخطر هذه التفسيرات الأصولية المتطرفة التي تحوّل الإسلام إلى عنوان حرب على الآخرين. إن مثل هذا الاتجاه يدمّر روح الإسلام كما كانت الاتجاهات نفسها مدمرة للمسيحية. وهذا ما يتطلب من المسلمين الوقوف بكل قوة في وجه هذه التيارات قبل أن تهيمن على العقول.

- على المسيحيين في العالم العربي

كما هو معروف، يعيش في العالم العربي أعداد لا يستهان بها من المسيحيين مع ما لديهم من تقليد عريق وميراث غني، بكنائسهم ولاهوتهم وروحانيتهم وطقوسهم وطريقة عيشهم ومؤسساتهم الاجتماعية الخ... يندمج هؤلاء المسيحيون في مجتمعاتهم ويشكلون جزءًا لا ينفصل عنها، ويشاركونها صعوباتها وقضاياها وتطلعاتها، ويساهمون في تطورها وتقدمها، كما ويشهدون للمسيح وإنجيله على الرغم من كل الصعوبات. إن هذه الكنائس ليست فقط وسط المسلمين، بل وأيضًا من أجل المسلمين، بمعنى أنها تشهد أمام الله لآلامهم وتطلعاتهم، وتطلب من الله أن يشملهم برحمته ومحبته.

للصهيونية المسيحية تأثير مأساوي على هؤلاء المسيحيين وكنائسهم، فرجل الشارع لا يميز دائمًا بين هذه البدع المسيحية. وعليه، فإن الصهيونية المسيحية تضع المسيحيين في العالم العربي في حالة إحراج. خاصة في الأرض المقدسة، وهذا أقل ما يمكن أن يقال، فمن المعروف أن الصهيونيين المسيحيين ينظمون تظاهرات متعجرفة واستفزازية وانتصارية في البلدة القديمة لمناسبة عيد المظالم وأعياد يهودية أخرى. تحت حماية رجال الشرطة والجيش الإسرائيلي. إنهم يقومون باستعراضاتهم هذه أمام الأعين العاجزة والساخطة للسكان الفلسطينيين، المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء، صحيح أن الكنائس المسيحية أدانت الصهيونية المسيحية، وفضحت طابعها التزويري والتعصبي، ولكن من يسمع أصوات الفلسطينيين المسيحيين الذين يشملهم الصهيونيون المسيحيون في تهجمهم على الإسلام والمسلمين؟

تتسم الصهيونية المسيحية بالاقتناص (اجتذاب الآخرين إلى معتقداتهم بكل السبل) حيال المسيحيين في الأرض المقدسة وفي غيرها من البلدان العربية، من خلال البدع الكثيرة القادمة بشكل خصوصي من الولايات المتحدة الأميركية، عاملة على اجتذابهم إلى عقليتها وأيديولوجياتها. وهذه البدع بالإضافة إلى إمكانياتها المالية والمادية الكبيرة، فإنها تحظى بحماية بعض المؤسسات الأميركية النافذة بحجة الحرية الدينية وحقوق الإنسان. وهكذا فإنهم يجزّئون الجماعة المسيحية التي هي اجتذاب المسلمين أيضًا بطريقة متعجرفة وتهجمية، من غير أي احترام لمشاعرهم، وهذا ما يثير الاشمئزاز والسخط لدى المسلمين، وقد ينعكس سلبًا أيضًا على علاقتهم بالمسيحيين المحليين وشهادتهم في بيئتهم.

ويمكـن أن نلاحـظ أن الخطاب الاقتناصي يتوجـه أيضًا إلى المسـيحيين المُغتربين، وبحاجة المحدود باجتذاب بعضهم، يكتفي لتقديم هؤلاء في وسـائل الإعلام على أنهم لسـان حال المسيحيين في العالم العربي، مثيرين بذلك – عن قصد – البلبلة والارتباك.

- على عملية البحث عن العدل والسلام:

إننا نتجنب هنا استعمال كلمة "عملية السلام" أو "مفاوضات السلام" كما تجري حاليًا تحت أعيننا، على الرغم من حماسنا لعملية السلام أو محادثات السلام في أول الأمر، فقد وضح لنا شـيئًا فشـيئًا أنها تحولت إلى مهزلة، لم تعد تقنع أحدًا، فهي عملية إملاء من جانب ضعيف. وعندمـا يرفض هـذا الضعيف هذه الإمـلاءات، فإنه يوصف بالإرهـاب، وبالتالي يتحول إلى مرشـح للقتل. إنني أفضّل اسـتعمال كلمة "البحث عن السلام" الذي يبقى أولوية نبيلة لكثيريـن فيما يخص الصهيونية المسـيحية، يجـب القول إن هـذه الأيديولوجيا لاتمثل شريحة مـا (فهـم يعدون وفق ورقة الدعـوة إلى هذا المؤتمر، تقريبًا مئة مليـون في الولايات المتحدة، وهذا ليس بالعدد اليسـير). فإن الصهيونيين المسـيحيين يسـتفيدون من تحالفهم مع الكثير من المجموعات الكبيرة والنافذة، كالإنجيليين واليمين الجديد في الولايات المتحدة والكثير من المؤسسـات الصهيونية المتطرفة، وهذه الجماعات لا تشكل جماعات ضغط فحسب، بل إنها في موقع السـلطة السياسـية كما سـبق وأشرنا، إنهم يشـكلون جزءًا أساسـيًّا من الإدارة الأميركيـة والبيـت الأبيض، وهـذا ما يجعلها خطرًا على السـلام في العالم بشـكل عام، وفي الأرض المقدسـة بشـكل خـاص.. ويجـب القـول إن هذه الجماعات تمتلك شـبكة واسـعة ومعقدة ومحكمة من وسـائل الإعلام والتي تظل في حالة اسـتنفار دائم لرد الهجوم بشـكل شرس ولا أخلاقي في بعض الأحيان على الآراء المختلفة عنها في الساحة الإعلامية. يخبرنا إدوارد سـعيد في أحد كتبه الأخيرة "نهاية عملية السـلام" عن المتاعب الكثيرة التي واجهته بسبب هذه الشبكة الإعلامية التي حاولت إسكات هذا الصوت الجريء.

على الصعيد الدولي، تشكل الصهيونية المسيحية وحلفاؤها خطرًا حقيقيًا على السلام العالمي، إذ تعتمـد على بعض المفاهيم (كالإرهاب الدولي)، التي تهندسـها على هواها، وتتعاطى مع مشـاكل العـالم الكثيرة والحقيقيـة انطلاقًا منها بخليط مـن الكذب والقوة العسـكرية وفق أجندتهـا الخاصة بها. ومن ناحية أخرى، تجدر الملاحظـة هنا إلى أنها في مواجهتها للإرهاب الدولي كثيرًا ما تسـتعمل ذهنيته وحتى مفرداته وخطابه، وهذا ما يجعل الأضداد متشـابهين والأعـداء إخوة، في واقع الأمر، فإذا ما قارنا بين هاتين الأيديولوجيتين المتطرفتين، لوجدنا

أنهما متشابهتان في تطرفهما من ناحية المفردات والأساليب والانغلاق والعدوانية في تلك الأشياء، يعمل أصحاب هذه الأيديولوجيا على إشعال الحروب مرة هنا وأخرى هناك، باثّين البلبلة والموت في كثير من أجزاء العالم. وهكذا، فقد بدأت الألفية الثالثة بحربين (أفغانستان والعراق). ولا نعرف إلى أين نحن متجهون مع منطق هذا النظام.

على الصعيد المحلي، في الأرض المقدسة تتحالف الصهيونية المسيحية تحالفًا قويًّا مع الأجنحة الأكثر تطرفًا في المجتمع الإسرائيلي، وهذا ما يجعل السلام عملية مستحيلة. تعمل الصهيونية المسيحية على دعم هذا التطرف بشبكة دعايتها القوية، سادّةً بذلك الطريق أمام أي مجهود للسلام.

ومن مظاهر هذا الدعم في الأرض المقدسة ما يُدعى "السفارة المسيحية في القدس". وهي في الحقيقة، ليست بسفارة ولا بمسيحية، وهي التي تنظم تظاهرات منتظمة واستفزازية، على وجه الخصوص في البلدة القديمة.

بالإضافة إلى هذا الدعم الإعلامي والسياسي، يجب أن نذكر الدعم المالي لبناء مستوطنات جديدة في المناطق الفلسطينية، كما هو الحال في مستوطنة أقيمت جنوب القدس والتي موّلتها مثل هذه الجماعات.

كيف نتعامل مع المسيحية؟

تشكل الصهيونية المسيحية تحديًا حقيقيًا لنا جميعًا. ويجب أن تتضافر جميع الجهود للتعامل مع هذه الأيديولوجيا على جميع الأصعدة، العالمية والإقليمية والمحلية.

- على الصعيد العالمي:

قبل كل شيء، إننا بحاجة إلى مجهود فكري مكثف، بغية كشف الخلفيات اللاهوتية والكتابية والسياسية والأيديولوجية للصهيونية المسيحية وتفسيراتها، من خلال المؤتمرات واللقاءات والبحوث الخ... ولكن هذا المجهود الفكري لا يكفي. يجب أن يستكمل أيضًا بمخطط عمل لمواجهة هذه الأيديولوجيا في عقر دارها. ومخطط العمل هذا يمكن أن يأخذ شكل حملة واسعة بالتعاون مع جميع القوى المُحبة للسلام. وإدوارد سعيد، في المقال الذي أشرنا إليه آنفًا، يدعو إلى مخاطبة الرأي العام في الولايات الأميركية، خاصة الشعب البسيط، الذي يتّسم بحسن النية من جهة وقلة المعلومات من جهة أخرى، والذي يبقى حساسًا

حقًا لموضوع حقوق الإنسان. وهذه الحملة يجب أن يقوم بها أناس مُدربون، يفهمون لغة الجمهور الأميركي وذهنيته ويخاطبونه بهذه اللغة.

- على الصعيد الإقليمي والمحلي:

على الصعيد الإقليمي، تضطلع الكنائس المختلفة في العالم العربي ومؤسساتها (مثل مجلس كنائس الشرق الأوسط) بمسؤولية خاصة. إن كنيسة من هذه الكنائس لها امتدادها الكنسي العالمي، وهذا ما يوفّره لها مجال عمل مهم وواسع. وثمة أيضًا عمل جماعي يجب أن تقوم به هذه الكنائس مجتمعة، فتخاطب معًا مختلف الكنائس في العالم، معربة لها عن مخاوفها وتوجُساتها.

- أما على الصعيد المحلي،

يجب القول إن مختلف الكنائس المسيحية في الأرض المقدسة هي المعنية في المقام الأول بهذا العمل. وهنا أتفق تمامًا مع الاقتراحات الخمسة التي يقدمها الأب ديفيد نويهاوس استعدادًا لهذا المؤتمر، وهي:

1) تقديم الخبرة المسيحية المشتركة في الأرض المقدسة (الهوية المسيحية، الشهادة المسيحية) كدواء مضاد للأيديولوجية الصهيونية المسيحية.

2) العمل المشترك على قراءة الكتاب المقدس قراءة شاملة وتفسيره تفسيرًا صحيحًا، مستفيدين من أدوات الكتاب المقدس، التقليدية منها والحديثة.

3) التعزيز المشترك لحوار حقيقي ومثمر بين مختلف الديانات في الأرض المقدسة. إن هذا الحوار بين المكونات الثلاثة للأرض المقدسة هو الجواب على ذلك الحوار المنحاز القائم في عدة أجزاء من العالم لغايات سياسية.

4) تعاون الكنائس المختلفة مع القوى المتواجدة في الديانات المختلفة والمعنية لسلام عادل وحقيقي ودائم في الأرض المقدسة.

5) تجديد الكنائس في الأرض المقدسة من الناحية الفكرية واللاهوتية، والروحية، والرعوية، والمسكونية، للتعامل مع التحديات المختلفة التي تواجهها، والصهيونية المسيحية واحدة منها.

لهـذه المقترحـات أهمية كبرى. إن التحدي الذي نواجهه يدعونا لأن نكون حقًّا مسـيحيين، وأن نكون مسيحيين معًا. وأود أن أضيف إن واجبًا خاصًا ينتظر لاهوتي الكنائس المختلفة في الأرض المقدسـة. وهـذا مـا يقومون به بالفعـل. فقد عملت المراكـز المعروفة في الأرض المقدسـة (اللقـاء، والسـبيل، والنـدوة الدوليـة) عـلى تنظيم العديـد من المؤتمـرات المحلية والدوليـة واللقـاءات. كما قامت بإصـدار النشرات المتصلة بهذا الموضـوع، كما برز، في هذا المجال، لاهوتيون فلسـطينيون كثيرون (أمثال البطرك ميشيل صباح، ونعيم عتيق، ومتري الراهب وغيرهم)، تقع على عاتق هؤلاء مسؤولية العمل معًا، كما يساهمون في هذا المجهود الذي تقوم به الكنائس في الأرض المقدسة. وهذه المهمة ليست فردية فحسب، بل وجماعية أيضًا، تتبناها المراكز المختلفة المذكورة أعلاه.

الخاتمة:

إن هـذا العمل يجـب أن يتم على أكثر من صعيد، الصعيد الشـخصي أولًا. لا أبالغ إن قلت إن الوحش الأصولي جاثم، بشكل من الأشكال، في قلب كل واحد منا، وهو قادر أن يطل برأسـه عندما تحين الفرصة. ومواجهة هذا الوحش تتـم بمراقبة ما يجري داخل قلوبنا، كي نجتـث منهـا كل مظهر مـن مظاهر التعصـب والعدوانية، الظاهرة أو الخفيـة. ومن ثم على الصعيد الفكري.

إن المعركة هي معركة فكرية وثقافية، قبل كل شيء. إن الفكر الأصولي غريزي في الإنسان، ويجـب مواجهتـه بالأدوات الفكريـة، عن طريق آلياتـه الفكرية والثقافيـة لتعريتها وإبطال مفعولهـا. ومن ثم على الصعيد التربوي، وذلك بأن نطـوّر مشروعًا تربويًّا يعطي لكلمة الله حقهـا في حيـاة الناس، مـع الحرص على إزالة أي نـوع من أنواع التلاعـب بكلمة الله، التي تجعلها أداة قمعية، بدل أن تكون أداة تحريرية للإنسان.

لم يخاطـب الله الإنسـان لاسـتعباده واسـتعباد خلائقـه، بـل لتحريرهـم مـن كل الأصنـام والعبوديـات. وفي هذا المجال، يلعب الإعلام أيضًا دورًا أساسـيًّا كقـوى فاعلة ومؤثرة في عالم اليوم.

إيكولوجيَّة مدينة القدس
في ضوء المعالجة البيئيَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة للمكان
منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهاية الانتداب البريطاني

د. فايز إبراهيم أبو ستّة

دائرة الجغرافيا ودراسات المدن –
كليَّة الآداب/ جامعة القدس – فلسطين

مقدمة

استمرّ السّكان المقدسيون من مختلف الانتماءات العرقيَّة والطائفيَّة؛ يهودًا ومسيحيّين ومسلمين في التكيّف والاندماج وبناء نسيج المجتمع المقدسيّ طوال عقود عديدة، ومنذ الفتح الإسلاميّ كانت القدس مدينة إسلاميَّة موحّدة، ولم تكن مقسّمة تبعًا للانتماءات الإثنيَّة – الدينيَّة داخل الأسوار[1]. مع العلم أنّ التّسميات الجغرافيَّة العبريَّة الحاليَّة وتقسيمات الأحياء الحاليَّة (الحي الإسلامي والمسيحي واليهودي والأرمني) لم تكن موجودة من قبل. وبالأحرى تكوّنت تاريخيًّا حارات البلدة القديمة تبعًا لمهنة أصحاب الدكاكين فيها، كحارة المبيضين، الذين كانوا يوجدون في سوق خاصة داخل البلدة القديمة، حيث يطلون الأواني والقدور والأوعية النحاسيَّة المستخدمة في إعداد الطعام وتقديمه بالقصدير، كذلك حارة الجوالدة أو الدباغة (دباغي الجلود)، أو حارة خان الزيت (نزل تجار زيت الزيتون) أو أنها كانت تبعًا للعشيرة أو العائلة المقيمة في المكان مثل عقبة الخالديَّة نسبة لعائلة الخالدي، وكذلك أفراد عشيرة بني زيد الذين أنشؤوا حارة بني زيد في الموقع المعروف اليوم باسم

(1) شكل المسلمون أغلبية سكانية منذ أربعة عشر قرنًا وحتى عام 1948.

عقبة المولويَّة شرقيّ باب العامود.

إلا أنه ومنذ أن بدأت المدينة تنمو خارج أسوارها في منتصف القرن التاسع عشر، وبداية ظهور الضواحي والأحياء الطائفيَّة، بدأت تبرز بوضوح مؤثرات البناء المكانيّ المسيّس بقوة في السلوك البشريّ للمجتمع المقدسي، الأمر الذي أضعف وبقوة إمكانيَّة استعادة مدينة حيَّة متجانسة مع نفسها متعددة الانتماءات، تتميز بأسماء أحيائها وحاراتها وطوائفها التي كانت تشكل انتماءات مشتركة للمدينة الدنيويَّة[1].

منذ انهيار الدولة العثمانيَّة وبداية الاستعمار البريطانيّ وحتى خط الهدنة عام 1948 أخذت المدينة تشهد إنتاج اللامساواة المسيّس، حيث بدأت تتشكل ولأول مرة في التاريخ الحديث حدودًا شبه فاصلة بين التجمعات الإثنيَّة (حدود العرب واليهود).

من هنا فهمت بيئة القدس كنسق إيكولوجيّ لتفاعل وظيفيّ للإنسان المقدسيّ مع بيئة طبيعيَّة وثقافيَّة ذات تأثير فعّال، لا كنسق إستاتيكيّ ثابت لشكل المدينة المكانيّ أو تمايزها المساحيّ في ضوء خصائص المكان والموقع فحسب، بل فهم هذا النسق من منظور التفاعل والتنظيم المكانيّ وأثره في تحديد عمليات الاستخدام المحتمل للمكان، التي إما تعمل على تدعيم حالة التوازن أو في تحديد عمليات تشكيل المكان، التي تؤدي إلى حدوث تغيرات تدريجيَّة أو في عمليات تحويل المكان، التي تؤدي إلى تغيير جذريّ للبيئة المقدسيَّة بشكل مقصود وهادف لأسباب سياسيَّة.

مع نهاية القرن التاسع عشر وفرض الانتداب البريطانيّ على فلسطين، أخذت المعالجة الإيكولوجيَّة تنظر إلى حياة سكان القدس في ضوء علاقاتهم ببيئتهم المتغيرة باستمرار كمطلب ضروريّ لفهم مشكلاتهم التي تتميز بكثافتها العالية وظهور حالة من عدم التجانس الاجتماعيّ بين سكانها، والذي يصل إلى حد عدم التجانس العرقيّ والدينيّ والثقافيّ. فتنوع جماعات المدينة، والصراع أصبح واضحًا بين الانتماءات اليهوديَّة (الّتي

(1) في الوقت الذي نرى فيه نزعة المؤرخين العرب العلمانيين (مثل عارف العارف في كتابه "المفصل في تاريخ القدس" ومحمد أديب العامري في كتابه "عروبة القدس") المبالغ فيها في تصوير حالتي الانسجام والإخاء بين العرب واليهود في مدينة القدس قبل حرب 1948 وقبل بروز التيار الاستعماري الصهيوني في تاريخ القدس، نرى التأريخ الصهيوني نزعة إلى تصوير الصراع بين العرب واليهود كأنه تناقض أزلي يعود الى غابر العصور. وفي أحسن الأحوال يظهر هذا أن المجموعات اليهودية كانت محمية بصفتها من أهل الذمة في الدولة العثمانية وفي عهود الخلافات الإسلامية الأخرى في مصر وبلاد الشام.

تشمل اليهود العرب الفلسطينيين واليهود المهاجرين وعلى رأسهم الأشكناز) والانتماءات الفلسطينيَّة[1] (الّتي تشمل المسيحيين والمسلمين العرب والطوائف اليونانيَّة والأرمنيَّة)، والحراك الجغرافيّ والاجتماعيّ المتزايد لسكانها أصبحت سمة أساسيَّة في إيكولوجيَّة المدينة.

ويظهر تأثير إيكولوجيَّة مدينة القدس على ساكنيها كلما ازدادت نموًّا في الحجم؛ فبازدياد عدد المقيمين بالمدينة ازدادت الروابط بينهم ضعفًا، كما تعرضت العلاقات الاجتماعيَّة للتغّير والتبدُّل، كما هو الحال بين الفلسطينيين (مسلمين ومسيحيين) واليهود. وتحولت تلك العلاقات الاجتماعيَّة في ستينيات القرن التاسع عشر (الفترة التي بدأ اليهود الأوروبيون السكن في القدس لأول مرة في التاريخ) إلى حد ما إلى علاقات لا شخصيَّة وسطحيَّة ومؤقتة وسريعة الزوال، وما انفكت الحركة الصهيونية ولاحقًا الدولة المحتلة تهدد المدينة بسياسات الإقصاء المختلفة التي تمارسها.

ومن هنا ستتم المعالجة الإيكولوجيَّة للقدس في ضوء عناصر النظام الإيكولوجيّ الحضريّ Elements of Urban Ecological System الذي يتكون من خمسة عناصر متداخلة ومترابطة وتعتمد على بعضها بعضًا، وهي السكان Populationوالبيئة Environment والتكنولوجيا Technology والتنظيم Organization وأخيرًا العنصر الاجتماعيّ والنفسيّ Socio Element Psychology – (P.E.T.O.S.)[2]. إن العنصر الأخير «النفسّي الاجتماعيّ» سيشكل المحور الأساس في المعالجة الإيكولوجيَّة للمدينة.

1 - السكان Population:

مع منتصف القرن التاسع عشر وتحت ضغط الكثافة السكانيَّة المرتفعة في البلدة القديمة واكتظاظها وندرة المياه فيها، وخاصة في فصل الصيف الحار، بدأت عائلات أعيان المدينة وأشرافها بناء منازلها الفخمة المحاطة بالبساتين خارج أسوار المدينة في اتجاه الشرق والشمال

(1) كلمة فلسطيني في فترة الانتداب البريطاني كانت تشير إلى المواطنين العرب واليهود من سكان المدينة، وطبعًا فإن كلمة "عربي" تبلورت لتشير إلى السكان المسيحيين والمسلمين معًا، في مقابل يهود فلسطين الذين أخذوا ينضمون إلى الحركة الصهيونية ويتماثلون لأهدافها وخصوصًا بعد ثورة 1936 وازدياد الهجرة من أوروبا الفاشية، ومما زاد في تعقيد هذه المسألة أن أعدادًا كثيرة من سكان يافا وحيفا والقدس اليهود كانوا يتكلمون العربية بصفتها لغة الأم، ومن ناحية أخرى عاشت في القدس مجموعات فلسطينية أخرى لم تعرف نفسها ضمن المجموعات اليهودية أو العربية – لكنها كانت فلسطينية قبل كل شيء، ومنها الأرمن والسريان والحبش في البلدة القديمة، وأعضاء جمعية الهيكليين الألمانية في المدينة الجديدة.

(2) Noel Pitts Gist Sylvia Fleis Fava، Urban society. Fifth edition، page 151، uk، 1969.

(وادي الجوز وباب الساهرة والطور والشيخ جراح) واتجهت قلة من هذه العائلات البرجوازيَّة نحو الغرب (الشيخ علي الخليليّ وآل النّمري وآل الوعري)، حيث وجدت أيضًا بعض الأحياء اليهوديَّة الحديثة والسابقة للمشروع الصهيونيّ (ومن أهمها البارون دي روتشيلد في حيّ مونتفيوري وحيّ يمين موشيه قبالة جبل النبي داود).

تكوّنت الأحياء العربيَّة من عدة تشكيلات ارتبطت بشبكات التضامن العائلي، وبعلاقتها بالسلطة العثمانيَّة، وبمشايخ القرى المجاورة للقدس غربًا. ونستطيع أن نشير هنا إلى ثلاثة عوامل تضافرت على دفع حركة الهجرة والعمران إلى هذه الأحياء الجديدة[1]: 1) اقطاعات الدولة العثمانيَّة لعائلات معينة في مقابل خدماتها للدولة، 2) توطيد الوضع العائليّ في أراضٍ متروكة غربيّ المدينة، 3) تخصيص أراضٍ من وقف الكنائس المسيحيَّة (معظمها من أملاك دير الروم الأرثوذوكس) لأتباعها من الطائفة لإسكان العائلات التي ضاقت بها حارات المدينة داخل السور. ورافق مشاريع النمو العمرانيّ العائليّ العربيّ، في هذه الفترة، نمو عمرانيّ مطرد قامت به مؤسسات الأديرة المسيحيَّة (يونانيّ، فرنسيّ وإيطاليّ)، والمؤسسات الخيريَّة اليهوديَّة، وتجمعات الهيكليين الألمانيَّة التي بدأت ترسيخ وجودها في التلال الغربيَّة قبيل بداية القرن العشرين. كما ويُعتبر حيًّا آل النمري وآل الوعري في البقعة الفوقا والبقعة التحتا من أقدم مشاريع العمران الموثقة في أحياء القدس الغربيَّة[2].

وقد جاء النمو الحقيقيّ لهذه الأحياء الغربيَّة مع بداية الانتداب البريطانيّ ومع النهضة الاقتصاديَّة التي رافقت المشاريع العامة لحكومة الانتداب وتبلور طبقة جديدة من التجار وأصحاب المهن وموظّفي الدولة. واستفادت الطبقة الوسطى الفلسطينيَّة من هذا التوسع، وخصوصًا عندما برزت أجهزة الدولة والجيش والشرطة داخل العاصمة في العشرينيات وساعدت على انتقالها من اكتظاظ البلدة القديمة إلى الضواحي البرجوازيَّة الحديثة في القطمون والطالبيَّة والبقعة. كما استفادت الجالية اليهوديَّة في القدس من اقتصاد الانتداب، وعززت نموها في رحفايا وميكور حاييم وتلبيوت. وتكوّنت أحياء مؤلفة من عائلات ممتدة (النمري، والوعري، والشماعة) إلى جانب أحياء تعايش فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون (روميما، المصرارة، مئاه شعاريم).

(1) سليم تماري، القدس 1948، الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948، صفحة 5، الطبعة الأولى: مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت 2002، الطبعة الثانية : مؤسسة الدراسات المقدسية وبديل – القدس – 2003.

(2) المرجع السابق.

ولأهداف سياسيَّة، سعت سلطات الانتداب البريطانيّ إلى تهيئة الظروف للاندماج الاجتماعيّ **المسيس والهيكليّ والمقصود** للمهاجرين اليهود الأشكناز مع المجتمع الفلسطينيّ من خلال الحارات المختلطة إلى حدٍ ما في أحياء كثيرة من القدس، **بدأت الحركة الصهيونيَّة** تدفع باتجاه انتشار الانفصال كتعبير للإيديولوجيا والثقافة الصهيونيتين في أوساط المهاجرين اليهود (تعزيز فكرة الصراع الأزليّ مع العرب)، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل قوميَّة في الأوساط العربيَّة على التحيز الواضح واللامساواة التي تعززها سلطات الانتداب البريطانيّ لصالح المهاجرين اليهود الأوروبيون في القدس، الأمر الذي أضعف العلاقات الاجتماعيَّة بين اليهود والعرب بصورة عامة، وقوّى العلاقات فوق الطائفيَّة (القوميَّة) بين المسيحيين والمسلمين العرب. وسمح بتقوية هذه النزعة غياب الخلفيَّة العربيَّة واللغة العربيَّة كلغة للتخاطب في أوساط يهود القدس (لأن أغلبيتهم من المهاجرين الأوروبيين الأشكناز) خلافًا للوضع السائد في الخليل وطبريَّة وصفد[1]، حيث إن اليهود في تلك المدن عربٌ وليسوا مهاجرين أشكناز غربيين.

كانت قضيَّة تنظيم الأراضي وترسيم حدود البلديَّة في فترة الانتداب هي جوهر الصراع الإقليميّ في القدس. ففي حين شكل الفلسطينيون العرب من مسيحيين ومسلمين أغلبيَّة في لواء القدس كوحدة تشمل القرى والبلدات المحيطة بالمدينة، استطاع اليهود (عربًا وأشكناز غربيين) أن يصبحوا أغلبيَّة داخل حدود البلديَّة (سنة 1947: 99 , 4 ألف يهوديّ مقابل 65 , 1 ألف عربي)[2]. ويعود الفرق بين هذه النسب إلى أمرين، أولهما أن الإحصاءات البريطانيَّة المسيّسة، اعتادت احتساب المهاجرين الذين وصلوا إلى القدس قبل سنة 1948، ثم انتقلوا إلى تل أبيب ومناطق أخرى، كأنهم ما زالوا في القدس، والأمر الثاني أن الإحصاءات البريطانيَّة قد استثنت سكان الأرياف المحيطة بمدينة القدس الذين يعملون فيها (منهم، مثلًا، العاملون في المدينة من سكان لفتا ودير ياسين)، بينما احتسبت في الوقت ذاته اليهود القاطنين خارج حدود البلديَّة وكأنهم سكان المدينة، **وهي عمليَّة التفافيَّة مسيّسة يسميها دمبر «الإحصاء الديمغرافيّ الهيكليّ»**[3].

(1) سليم تماري، القدس 1948، الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948، صفحة 7، الطبعة الأولى : مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت 2002، الطبعة الثانية : مؤسسة الدراسات المقدسية وبديل – القدس – 2003 .

(2) المرجع السابق.

(3) سليم تماري، المرجع السابق.

وقد شكل خطّ الهدنة واحتلال الجزء الغربيّ من مدينة القدس عام 1948 بداية حقبة أخرى من الصراع والتنافس على الحيز المكانيّ في القدس بين اليهود والفلسطينيين، وتجلّى الصراع في أبرز صوره عند إحلال عائلات يهوديَّة مهاجرة من مختلف بقاع العالم في مساكن وبيوت الفلسطينيين في الجزء الغربيّ من المدينة بعد إجلاء وطرد السكان الأصليين من مساكنهم التاريخيَّة.

وبهذا التحول الدراماتيكيّ الذي شهدته مدينة القدس بشقيها الغربيّ والشرقيّ فرضت على المدينة أشكالًا حديثة من عمليات التحضر المقننة والمقولبة بشكل تدريجي، وأصبحت حركة السكان كصفة أخرى لإيكولوجيا القدس، سواء مؤقتة أو دائمة ضمن المدينة، أو بينها وبين المدن الفلسطينيَّة الأخرى، أو بينها وظهيرها الريفيّ الذي يضمُّ عددًا كبيرًا من القرى والتجمعات الفلسطينيَّة، تأخذ أشكالًا جديدة لم تعهدها المدينة من قبل.

أيضًا وانطلاقًا من مبدأ الصراع والتنافس على الحيز المكانيّ أخذت المدينة تشهد ظاهرة الهجرة، مثل التهجير الخارجيّ migration للفلسطينيين من الجزء الغربيّ للمدينة ومن القرى الغربيَّة أيضًا[1] أو الوافدة immigration لليهود، كما شهدت حركات سكانيَّة أخرى مثل التجمع والانتقال commutingمن عنوان لآخر[2]. وكلها لها دلالتها المحددة والمنتظمة إيكولوجيًّا، كما سنلاحظ لاحقًا في معالجتنا للعنصر النفسيّ الاجتماعي. كذلك فالمعالجة الإيكولوجيَّة للسكان قد انسجمت مع حالة التطور التكنولوجيّ الذي شهدته المدينة والذي كان له تأثير واضح على تنظيم المدينة وعلى بيئتها الطبيعيَّة والثقافيَّة.

2 - البيئة Environment:

يميل المنظور الإيكولوجيّ إلى تعريف بيئة القدس في حدود الموقع، والمناخ، والموارد الطبيعيَّة، والخصائص الطبوغرافيَّة، والتغيرات الجيولوجيَّة. ويمثل متغير البيئة في المعالجة الإيكولوجيَّة وعاءً سكانيًّا وتنظيميًّا، للحشد أو التجمع السكاني. كما يفيد استخدامه في تفهم مؤثرات الموقع أو المكان، بخصائصه السابقة، على حجم السكان وكثافتهم ونوعيات تنظيمهم وعمليات توافقهم. فالاكتظاظ السكانيّ وندرة المياه الذي شهدته البلدة القديمة

(1) قرى القدس الغربية (لفتا والمالحة وقالونيا والقسطل ودير ياسين وبيت صفافا والولجة والجورة وعين كارم وهذه كانت في طريقها لأن تصبح ضواحي مدينية، وثبتت أسعار الأراضي الزراعية فيها كالأراضي العقارية والتي إما دُمرت جزئيًّا أو مُحيت تمامًا من على وجه الأرض).

(2) انتقال اللاجئين الفلسطينيين من الجزء الغربي والقرى الغربية لمدينة القدس والإقامة والسكن في الجزء الشرقي من المدينة.

في منتصف القرن التاسع عشر، علاوة على الحر الشديد صيفًا الذي يصل في بعض الأيام من شهر يوليو/ تموز إلى نحو 41 درجة مئويَّة[1]، دفع العديد من العائلات الغنيَّة إلى بناء منازل فخمة خارج سور البلدة القديمة، وتمتاز هذه المنازل بالحدائق والبساتين من حولها، ويقع بمحيطها آبار لجمع المياه من على أسطحها في فصل الشتاء ليستخدمونها صيفًا.

في الوقت الذي تبلغ فيه التعديلات التي يدخلها الإنسان على البيئة ذروتها في المدينة، إلا أنه لا تزال عوامل الموقع والطبوغرافيا تلعب دورًا فعالًا في تحديد النمط الإيكولوجيّ وعمليات النمو الحضري. إن أحد العوامل الحاسمة التي أثرت في النمو العمرانيّ لضواحي وأحياء مدينة القدس هو قربها من المنحدرات الغربيَّة التي تتميز بخصوبة التربة وبنسبة عالية من كميات الأمطار والغطاء النباتي[2]. وتوجد في المنطقة جداول ماء دائمة الجريان، كما تتميز الأرض بانحدارها المتدرج في اتجاه اللدّ والرملة والسهول الساحليَّة[3]. في المقابل، فإن المنحدرات الشرقيَّة كانت أقل كثافة سكانيَّة وعمرانيَّة بسبب وقوعها في ظل المطر وأراضيها قاحلة أو شبه قاحلة، والتربة فيها فقيرة، وهي شديدة الانحدار نحو وادي الأردن، وهذا ما يجعل من الصعب تدرجها كسلاسل. والنتيجة هي تركز كثافة سكانيَّة أعلى في المنطقة الغربيَّة لمدينة القدس.

على الرغم من أن البيئة تضع حدودًا لحجم وكثافة السكان، إلا أن عمليَّة التعديل تظل مستمرة ومترابطة، لأن الإنسان مستمرٌّ في تعديل بيئته من خلال ما يمتلكه من تكنولوجيا وثقافة. فانسجامًا مع نمو المدينة نحو الخارج وظهور أحياء وضواحٍ جديدة خارج البلدة القديمة، صدر مرسوم بإنشاء أول مجلس بلدي للمدينة سنة 1863[4]، وكان من جملة أعماله إنشاء نظام صرف صحيّ في سبعينيات القرن التاسع عشر، وفي التسعينيات جرى تنظيم جمع القمامة بصورة دوريَّة، وعلقت مصابيح الكاز لإضاءة المدينة، وكانت الشوارع ترش

(1) هاشم أبو هلال (2003)، التغير العمراني لمدينة القدس وتحليل المخططات التنظيمية الإسرائيلية في المدينة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية/ عمادة كلية الدراسات العليا، صفحة 29.

(2) د.عزيز الدويك، تصنيف قرى القدس ووظيفتها، مجلة شؤون تنموية، الملتقى الفكري العربي، القدس 1995/ 1996.

(3) هاشم أبو هلال (2003)، مرجع سابق، صفحة 32.

(4) راسم خمايسي (1998)، مخطط الحيز الحضري والوظائفي في القدس، مركز التخطيط والدراسات، كفر كنا، صفحة 30.

بالماء في أوقات معينة من السنة لمنع تطاير الغبار. وفي سنة 1892، افتتحت حديقة عامة للجمهور في المدينة الجديدة في شارع يافا قبالة المسكوبيَّة. وقبل الحرب العالميَّة الأولى بفترة وجيزة زُرعت أشجار على امتداد بعض الشوارع.

يفيد استخدام العنصر البيئيّ أيضًا في معرفة التنظيم الحضريّ وخصائصه والعوامل التي تؤثر في تشكيله على نحو معين، إيكولوجيًّا واجتماعيًّا وإمكانيات واتجاهات متغيرة، والنتائج المترتبة على ذلك كله، والتي تنعكس على خصائص السكان والتنظيم الحضري. فما أن حلت سنوات الأربعينيات حتى بدأت أحياء المدينة تتلاصق بالقرى المحيطة بها. وقد أدى هذا الامتداد إلى تبلور نمطين من العمران، الأول بروز ضواحٍ مدينيَّة مريَّفة، أو بالأحرى قرى أصبحت تشكل حارات ممتدة للمدينة، كما هو الحال بالنسبة إلى لفتا والمالحة ودير ياسين وعين كارم. أمّا النمط الآخر فهو تلاصق هذه الأحياء العربيَّة ومستعمرات يهوديَّة أشكنازيَّة، مثل ميكور حاييم ومئاه شعاريم ورحفايا[1]. وقد ساعد اندماج اقتصاد القرية الفلسطينيَّة ضمن البناء الحضريّ لمدينة القدس ازدياد الطلب على الأيدي العاملة الماهرة في قطاع البناء واستيراد المادة الخام من محاجر القرية، وقد شكلت مناطق (التماس) بالأحياء الجديدة، وهي المناطق المحاذية لأحياء المصرارة وروميما والطالبيَّة بدايات تجمعات يهوديَّة عربيَّة مشتركة، فعززت أنماط التبادل والاعتماد الاقتصاديّ والمؤسساتيّ أشكالًا من التعايش الاجتماعي[2].

3 - العنصر التكنولوجيّ Technology:

إن نماذج الحيز (المكان) الداخليّ لمدينة القدس هو إلى حدٍّ معتبرٌ جدًّا خليقًا للتكنولوجيا، خاصة تكنولوجيا الصناعة والمواصلات، فمع نهاية الحكم العثمانيّ للقدس في سنة 1917، كان التقدم التكنولوجيّ لتلك الفترة أحد المحددات الأساسية للتغيرات التي أُحدثت في الحياة وفي المدينة، وأبرزها انفصال مكان الإقامة عن مكان العمل للعديد من المواطنين. علمًا أن البلدة القديمة تميزت لفترة طويلة بعدم انفصال مكان العمل عن مكان الإقامة وبشكل خاص في الحارات التي كان سكانها يمارسون الحرف والصناعات التقليديَّة. وقد ذكر عالم الآثار الأميركيّ إدوارد روبنسون، أنه كان في القدس في العام 1838 تسعة معامل

(1) سليم تماري، مرجع سابق.

(2) سليم تماري، مرجع سابق.

لصنع الصابون، وعشر معاصر لزيت السمسم، ومدبغة كبيرة، وورشات كثيرة لصنع التحف التذكاريَّة، وفي أوائل القرن التاسع عشر كان هناك نحو عشر مصابغ للألبسة تبيع الأقمشة البيض والزرق للبدو والفلاحين، وفي الخمسينيات كان هناك عشرون مطحنة للقمح في المدينة، ولكن مع تحولها إلى العمل بقوة البخار وازدياد إنتاجيتها، أغلق كثير منها أبوابه. وقبل الحرب العالميَّة الأولى كان هناك مصانع لصنع المعكرونة، كما أن صناعة الحجر والطوب والسيراميك كانت جزءًا من الأنشطة الاقتصاديَّة في القدس قبل الحرب[1].

في سنة 1892 أنشئ خط سكة حديد ربط بين القدس وميناء يافا، الأقرب اليها. واستخدم هذا الخط في الأعوام الأولى بصورة واسعة لنقل الحجاج والمسافرين، لكن سرعان ما استخدم لنقل البضائع والعمال الذين أخذوا يتنقلون بين أماكن إقامتهم وأماكن عملهم، كما ربطت طرقات واسعة ملائمة للعربات بين القدس من جهة، ويافا ورام الله ونابلس والخليل عبر بيت لحم وأريحا من جهة أخرى، بالإضافة إلى قرية عين كارم المجاورة ومقام النبي صموئيل[2]. ومع بداية القرن العشرين كانت أرصفة من الحصى قد أنشئت على جانب الطرق الداخليَّة في مدينة القدس الجديدة، طريق نابلس وطريق ماميلا وطريق يافا وشارع الأنبياء. ومنذ سبعينيات القرن التاسع عشر وصلت خطوط التلغراف مدينة القدس بمصر وبيروت وأوروبا. وتمتع السكان بخدمات بريديَّة متعددة، عثمانيَّة وروسيَّة وألمانيَّة ونمساويَّة وفرنسيَّة وإيطاليَّة، وذكرت بيرتا سبافورد، وهي أميركيَّة كانت تقيم بالقدس، إن السلطات التركيَّة سمحت لهم بتركيب هاتف في الكولونيَّة الأميركيَّة[3].

وقبل الحرب العالميَّة الأولى بفترة وجيزة نوقشت خطط لإدخال الحافلات الكهربائيَّة ونظام الهاتف إلى المدينة، وفي سنة 1914، منحت بلديَّة القدس امتيازًا من أجل تزويد المدينة بالكهرباء.

استخدمت المطابع أول مرة في المدينة في الأربعينيات من القرن التاسع عشر. وكانت توجد في تلك الفترة مطابع في دير اللاتين (الفرنسيسكان) ودير الأرمن، ولدى طائفة الروم الأرثوذكس والطائفة اليهوديَّة، وبين سنتيّ 1876 و1916، صدر عدد من الدوريات

(1) روشيل ديفيس، مرجع سابق، صفحة 23.

(2) روشيل ديفيس، القدس العثمانية، نمو المدينة خارج السور، مرجع سابق، صفحة 19.

(3) نفس المرجع السابق، صفحة 19.

والجرائد العربيَّة، منها الجريدة الحكوميَّة "القدس الشريف"[1].

4 - التنظيم Organization:

يعتبر التنظيم عنصرًا حاسمًا في التعقيد الإيكولوجيّ لمدينة القدس، فلقد نمت أسس التجمعات السكنيَّة الجديدة (الكولونيَّة الألمانيَّة والكولونيَّة اليونانيَّة والقطمون والطالبيَّة والبقعة، وغيرها) في الفترة العثمانيَّة المتأخرة بسبب التغييرات في الإدارة وفي القوانين العثمانيَّة المتعلقة بالأراضي، حيث صدر قانون الأراضي سنة 1858 الذي حدد أراضي الملك والميري والأرض الموات والأرض الوقفيَّة والأرض المتروكة[2]. وقد أرسى البريطانيون ومنذ عام 1917، أنظمة التخطيط المقننة المستوردة من الخارج، ومزجوا بين توجهاتهم السياسيَّة الرامية لإقامة وطن قوميّ لليهود في فلسطين وتجربتهم عبر مؤسسات التخطيط البريطانيَّة، وخرجت القوانين التخطيطيَّة في القدس مزيجًا من التجربة البريطانيَّة في التخطيط والتنظيم وبشكل متوافق يحقق الأهداف السياسيَّة التي جاءت بهم إلى فلسطين.

لم تكن عمليَّة الدمج والاستثناء الانتقائيّ العامل الحاسم في التمييز بين تنظيم الحارات اليهوديَّة والعربيَّة في فترة الانتداب، فالعنصر الأهم نجده في طريقة تنظيم الأحياء، ذلك بأن مؤسسات التجمع اليهوديّ كانت حريصة على تنظيم الأحياء اليهوديَّة الجديدة داخل حدود البلديَّة في المناطق الغربيَّة والشماليَّة للمدينة. وكان يوضع لهذه الأحياء مخططات هيكليَّة مدروسة مسبقًا[3]. هكذا كان الحال مع الكثير من "الأحياء الحدائق"، كما كانت تسمى، مثل حيّ تلبيوت وحيّ رحفايا، من تصميم المهندس ريشارد كوفمان[4]، وتشير روشيل ديفيس، في دراستها عن نشوء هذه الأحياء، إلى الطابع المنظم والمبرمج لهذه الأحياء اليهوديَّة، في مقابل أنماط البناء غير المنظم والمشيد بمبادرات فرديَّة وعائليَّة في الأحياء العربيَّة الحديثة[5].

---

(1) المرجع السابق، صفحة 20.

(2) بدر عبد الرازق، دعيبس المر، وآخرون، قوانين الأراضي، القانون العثماني، أحكام الأراضي، القانون الأردني، معاملات الأراضي، أحكام الأراضي المتبعة في البلاد العربية المنفصلة عن السلطة العثمانية، صفحة 6.

(3) Henry، kendel، Jerusalem، The city plan، preservation and developmentr during the mandate (p 1، London).

(4) سليم تماري ص. 8.

(5) المرجع السابق.

وفي خريطة الملكيات العقاريَّة لسنة 1946، التي أعدها سامي هداوي[1]، يتجلى هذا الحيز غير المشترك بمعظمه بوضوح، وتظهر حقائق اجتماعيَّة جديدة بشأن التوليفات الإثنيَّة للمدينة. وتعكس هذه الخريطة بوضوح واقع مدينة أصبحت منقسمة إلى مجموعات إثنيَّة، وهي تقسيمات تُبرز في طياتها أنماطًا اجتماعيَّة مختلفة ومشتركة في آن واحد أحيانًا.

إن تنظيم مدينة القدس فريد من نوعه على مستوى مدن العالم، فهو تنظيم يتم وفق وجهة النظر الصهيونيَّة، لتسهيل حياة المستعمرين اليهود وتنظيم أنشطتهم في القدس على أساس عرقي، والتي أصبحت تعرقل حياة السكان العرب في المدينة، وخاصة أيام السبت حتى في المناطق والأحياء التي تقيم فيها أغلبيَّة فلسطينيَّة، حيث يمنع التجول لعدم إزعاج اليهود المتدينين المقيمين في تلك الأحياء. إذًا فإن تشجيع بعض الأحياء اليهوديَّة العربيَّة المختلطة لم يؤدِّ إلى بناء نسيج اجتماعيّ متماسك، بل خلق بؤرًا للصراع تكون فيها الغلبة للطرف المدعوم من قبل الانتداب البريطاني، ومثل هذه الأحياء، سواء المنفصلة أو المختلطة، أصبحت تشكل عقدة يلتقي عندها العنصر التنظيميّ بالعنصر النفسيّ الاجتماعيّ والتي من شأنها أن تخلق بناء نماذج أفعال محددة مسبقًا حسب الإحساس والقيم والمعتقد الدينيّ والأيديولوجيّ عند كلا المجموعتين اليهوديَّة والعربيَّة وأن تخلق أحكامًا مسبقة بين تلك المجموعات المختلفة.

5 - العنصر النفسيّ - الاجتماعيّ Social - psychological element:

بغض النظر عن الجنس والعرق وحالة الصراع، فإن الإنسان مخلوق فطن وحساس ومخطط وقاصد وقادر على صنع الاختيارات لرغباته، وهو قادر أيضًا على بناء نماذج أفعال محددة حسب الإحساس والقيم التي يحصل عليها، وهو عمومًا شخص يمتلك أحكامًا مسبقة. عادة تكون المفاضلات والقيم والمواقف والمعتقدات عامة عند مجموعة من الناس، يتبنونها ويرغبون بها ويدافعون عنها، بل هي عناصر لتأهيل الأفراد، كي يصبحوا أعضاءً في الجماعة، أي هي عناصر سوسيو سيكولوجيَّة، وكلها تتجلى بوضوح في إيكولوجيَّة مدينة القدس. إن الأمن والخوف والقلق وما يحب أو لا يحب الفرد في الجماعات والأفراد الآخرين يؤثر على شخصيته وحياته الاجتماعيَّة، وبالتالي يؤثر على البنية الإيكولوجيَّة للمدينة.

لقد كان القلق الشديد إزاء الأمن السبب الرئيس الذي يعُزى إليه البطء النسبيّ في توسع

(1) سليم تماري، صفحة 6.

المدينة خارج الأسوار، فحتى أربعينيات القرن التاسع عشر كانت بوابات المدينة تغلق ليلًا وأثناء صلاة الجمعة عند المسلمين. وكانت مسألة الأمن مرتبطة بعلاقات معقدة بين الوجود العثمانيّ العسكري، والزعماء المحليين، و"قطاع الطرق" الذين كانوا يهاجمون زوار المدينة الذين يسلكون الطريق الرابط بين يافا والقدس ويسلبونهم، وقد سمح شيخ أبو غوش الذي كان يستقر بمنطقة استراتيجيَّة على تلك الطريق بجباية (خاوة) من الحجاج السالكين لتلك الطريق[1]. وعندما أصبحت القدس متصرفيَّة في سنة 1858، ازداد الحضور العثماني، الإداريّ والعسكري، الأمر الذي جعل المدينة تبدو أكثر أمنًا ومحميَّة على نحو أفضل. لكن الحقيقة أن العائلات القاطنة في حيّ النبي داود، المجاور لأسوار البلدة القديمة، وفي القرى القريبة – الطور، سلوان، العيزريَّة، دير أبو ثور، وغيرها – كانت تعيش قبل ذلك من دون أسوار. وبالتالي كان يمكن للعيش خارج الأسوار أن يكون آمنًا من الهجمات والغارات، إلا أنه ربما لم يكن ممكنًا بالنسبة إلى المهاجرين اليهود الذين بدؤوا يسكنون القدس لأول مرة في التاريخ، في ستينيات القرن التاسع عشر[2]، والذين لا يجيدون اللغة العربيَّة وليس لهم علاقات بالشيوخ والزعماء المحليين. وتشدد الروايات الصهيونيَّة والإسرائيليَّة على زيادة الأمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر باعتباره السبب الرئيسيّ في النمو خارج الأسوار.

وفّر ازدياد الوجود العثمانيّ والشعور بالأمان، إضافة إلى النمو الاقتصاديّ للمدينة، كما أن الازدحام الشديد داخل الأسوار، **والرغبة في إظهار الثروة والمكانة في الزخارف المعماريَّة**، دفعًا بالعائلات الإسلاميَّة والمسيحيَّة الثريَّة إلى المدينة الجديدة. وقد تزايد الانتقال بمرور الوقت، وأصبح العيش في المدينة الجديدة مرغوبًا فيه كونه يوفّر بيئة صحيَّة أفضل من تلك التي في المدينة القديمة المزدحمة، **ومؤشرًا إلى ارتقاء السلم الاجتماعيّ والطبقي**. وعلى الأغلب، فإن من بقي في المدينة القديمة هم أولئك الذين ليس بوسعهم شراء قطعة أرض وبناء بيت، أو دفع الإيجارات المرتفعة نسبيًّا للبيوت والشقق في المدينة الجديدة.

وقد ظل الارتباط بالمدينة القديمة متينًا، إذ إن قسمًا من العائلات التي انتقلت إلى المدينة الجديدة، وخصوصًا الجيل الأكبر سنًّا، بقي مقيمًا داخل الأسوار، وخلال العطل كانت

(1) سليم تماري، مرجع سابق صفحة 93.

(2) كان حي مشكينوت شأنانيم أول حي لليهود في القدس الجديدة، وهو مشروع بناء يهودي قام به موزس مونتفيوري، وكان عبارة عن عشرين منزلًا، بُدئ بناؤها في سنة 1855 وأنجز هذا الحي في سنة 1860.

المدينـة القديمـة مركزًا للاحتفالات. وتتذكر هالة السـكاكيني وهي "مسـلمة" أن والدتها وخالتهـا كانتـا تأخذانها مع شـقيقتها في يوم أحد عيـد الفصح إلى البلدة القديمة لمشـاهدة الموكـب الدينيّ للروم الأرثوذكس، وكانت البلدة القديمة في شـهر رمضان مكانًا احتفاليًّا صاخبًا ذا نكهة خاصة[1].

وفّرت الكنائس المسـيحيَّة، ولا سـيما الكنيستان الأرثوذكسـيَّة اليونانيَّة والأرمنيَّة، الفرص لرجال الدين وغيرهم من أتباعها للعيش في أملاك الكنيسة خارج الأسوار، وساهمت بذلك في وجود مسيحيّ كبير في أجزاء من المدينة. وفي الوقت الذي كانت مشاريع البناء والأنماط العمرانيَّـة تغـير وجه المدينة، كان النسـيج الاجتماعـيّ للقدس يتغير هو أيضًـا. فالمدارس، التي أنشـأتها الإرساليات المسيحيَّة والسـلطات العثمانيَّة والمربّون العرب المحليون، وفّرت فرصًا للناس لتغيير حياتهم بالتعلم **واكتساب مهارات لطرق عيش مختلفة**، ومنحتهم فرصًا اقتصاديَّة كالوظائف الإداريَّة والاحتكاك المتزايد بالسياح. وفي حين توقف الكثير من هذه التحولات خلال سنوات الحرب العالميَّة الأولى، فقد عادت بقوة في ظل الانتداب البريطانيّ على فلسطين.

وفي ظـل الانتـداب البريطـاني، كانـت المدينة الجديـدة في القدس، منقسـمة إلى حـد ما إلى مجموعتين من الأحياء، الأولى يهوديَّة والأخرى عربيَّة فلسطينيَّة. وفي هذه الأحياء الفلسطينيَّة نفسـها عاش العرب (مسـيحيين ومسلمين ويونانيين وأرمن)، واشـتركوا في الموارد العامة وأماكن العمل والمناسـبات الاجتماعيَّة. وأصبحت هـذه الأحياء الجديدة مؤشرًا إلى الطبقة الاجتماعيَّة، واسـتثمرت الطبقتان العليا والوسـطى الصاعدتان من المقدسيين الفلسطينيين في هـذه الأحياء واكتسـبتا مكانة بفضلهـا، تاركتان وراءهما البلدة القديمة. ويصف رشـيد الخالـديّ الطبيعـة العامـة اللاطائفيَّـة للمجتمـع الفلسـطينيّ في النصف الأول مـن القرن العشريـن، بـأن الولاءات الدينيَّـة والإثنيَّة لم تكن موجـودة بين الفلسـطينيين، والحقيقة أن القوميتين العربيَّة والفلسطينيَّة هما محور الهويَّة لكل المقدسيين باستثناء اليهود[2].

إن الانفصـال الحيّزيّ (المـكانيّ) لليهود والمرتبـط بانتمائهم الدينـيّ والأيديولوجيّ، مرتبط أيضًـا بعوامـل نفسـيَّة واجتماعيَّـة عديـدة، مثـل المواقـف والأحكام المسـبقة تجاه السـكان

(1) روشيل ديفيس نمو الجوالي في القدس الغربية 1917 – 1948، مرجع سابق صفحة 51.

(2) روشيل ديفيس، مرجع سابق صفحة 52.

الأصليين كونهم عربًا ومسلمين، علاوة على الرأي العام، والحواديث (القصص) التي تنسجها الدعاية الصهيونيَّة التي تصف الفلسطينيين بالغرباء عن المدينة.

إن الفصل العنصريّ لأماكن الإقامة في القدس لا يرتبط بمستوى الدخل بقدر ما يرتبط بالقومية والدين، وهذا يعتبر عزلًا عنصريًّاreligio – national segregation . ولكن التمييز لليهود هو بالتأكيد العامل المهم في استخدامات الأرض في مدينة القدس منذ نشأة الحركة الصهيونية[1].

إن عبرنة اسم المكان الجغرافيّ كان من أبرز صور العزل العرقيّ الذي شهدته القدس إبان الانتداب البريطاني، إن الهدف من وراء إطلاق أسماء عبريَّة على الأحياء اليهوديَّة الجديدة وشوارعها، أن يصبح المكان مع مرور الوقت رمزًا لقيم ثقافيَّة يهوديَّة في مدينة القدس، ومن هنا سعى اليهود إلى التأصيل لمن ليس له أصل في المكان، وهكذا فإن فعل هدم بيوت ومساكن الفلسطينيين ونهبها أو إسكان عائلات يهوديَّة فيها إبان حرب 1948 قائم على التقويض لصيرورة التاريخ التي شكلت أبعاد الهويَّة الوطنيَّة الفلسطينيَّة في مدينة القدس. والبناء لا من الركام والأنقاض، بل من قوالب تمت قولبتها بكل رويَّة وأناة، لتسد الفراغ التاريخيّ الذي يحدثه فعل الهدم، فيأتي قدًّا على قد البناء المراد إنشاؤه لتكون حقائق بعد حين.

إن الهويَّة الوطنيَّة الفلسطينيَّة في مدينة القدس تتعرض للطمس والتشويه، وذلك عبر مشاريع ممنهجة أخذت على عاتقها الفصل بين شقّيّ هذه الهويَّة: الروح والجسد، وبذلك يتأتى لأصحاب هذه المشاريع قطع جذور الهويَّة الضاربة في أعماق هذه الأرض التي خضبت كفّيها دماء الشهداء، والهدف من ذلك زعزعة الذاكرة التي بات يخشى عليها بعد أن انفصلت عن تجربتها المعاشة، وتحولت إلى ذاكرة تخف حدّتها وحضورها مع مرور الوقت، وهكذا يصبح المشروع الكولونياليّ أكثر جهوزيَّة للتشكيك في عراقة هذه الهويَّة تمهيدًا لعمليَّة امّحاء لها.

(1) يعرف تخطيط استعمالات الأرض بأنه تقييم منهجي منظم للأرض واستخداماتها القائمة وكذلك للعوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية بطريقة تساعد وتشجع مستخدمي الأرض على اختيار أنماط استخدام مستدامة sustainable تمكن من زيادة الإنتاج وتلبية حاجات السكان، وفي نفس الوقت تحافظ على البيئة، وهذا حسب تعريف د.غنيم، عثمان، تخطيط استخدام الأرض الريفي والحضري، 2001، عمان، ولكن ما يجري فعليًّا من تغيير لاستخدامات الأرض في مدينة القدس ليس من أجل التنمية المستدامة، بل من أجل السيطرة اليهودية على الأرض وكل أجزاء ومرافق المدينة.

بعـض النشـاطات المكانيَّة غـير الاقتصاديَّـة والتي تتضمن أحاسـيس ورمـوزًا ثقافيَّة تؤثر بقـوة في المـكان، وأن مثل تلك الأحاسـيس والرموز ربما يكون لها اعتبـارات أخرى تفوق ما يمكن تصوره عن الاسـتخدام غير المحسـوس وغير الاقتصادي، فالقدس بمسـاجدها وكنائسـها التاريخيَّة وأسـواقها التجاريَّـة وحواريها وشـوارعها وزقاقها تمثـل تاريخًا عريقًا للفلسـطينيين. وقد ظلت حارات وأحياء القدس مناطق إقامة وسـكن مختلطة للمقدسيين مسـلمين ومسـيحيين ويهودًا عبر قرون طويلة، لكن الاسـتعمار البريطانيّ قسمها إلى أحياء للمسـلمين وأخـرى للمسـيحيين وأخرى لليهـود، تقوم على رؤيَّـة تاريخيَّة ميدانيَّة شـاملة تشـمل المناطق التي تقع في حوض البلدة القديمة وبالإشـارة إلى أهميتها التاريخيَّة المزعومة للشعب اليهودي.

اليوم تعيش مدينة القدس تداعيات التطورات التي حدثت في القرن التاسع عشر وما تبعها من سياسـات بريطانية خلال فترة الانتداب، والتي كرسـت الأهداف والوجود الصهيوني فيها. لكن القدس العربية أبت إلا أن تكون عصيّة على الطمس والإقصاء وما زالت بأهلها الفلسـطينيين تناضل من أجل أن تبقى مدينة تشـمل وتسـتوعب محبيها دون إقصاء لأحد، حيث تكون مدينة للعيش المشترك واحترام الديانات وحريَّة العبادة.

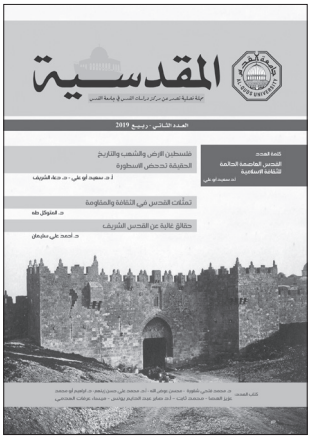

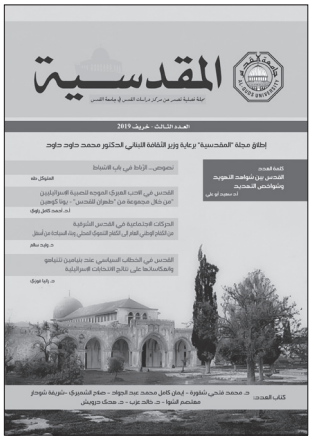

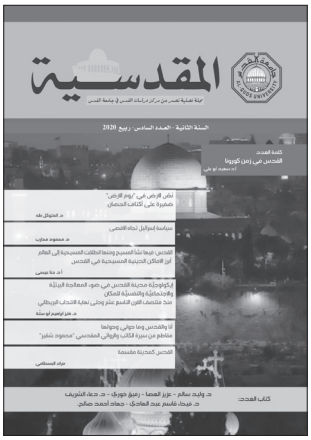

مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: مدينة القدس – سوق القطانين – خان تنكز

الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu

هاتف رقم: 00972-02-6287517

فاكس رقم: 00972-02-6284920

المسح الاستراتيجي لإسرائيل 2019 ـ 2020

على شفا التصعيد: تحديات متعددة تطالب باستراتيجية جديدة [1]

ترجمة د. دعاء الشريف

تـم نشر هذه الترجمـة لعرض كيفية تفكير مراكز البحـث الإسرائيلية، وما تقدمه من رؤية وتوصيات لصناع القرار وكيف تُفكر وتُخطط إسرائيل للمنطقة.

النظام الإقليمي: الكفاح من أجل شكل الشرق الأوسط

الفصـل الثاني يناقش النظام الإقليمي، الذي لا يزال يعاني من صراع مضطرب على شـكل الـشرق الأوسـط. في أواخـر عـام 2010 وأوائل عـام 2011، خرجت الجماهـير العربية إلى الشـوارع مطالبة بالإطاحة بعدد من الأنظمة العربية السـنيّة؛ هذه المظاهرات تشير إلى بداية الاضطرابات الإقليمية التي أدت إلى تسلسل دراماتيكي للأحداث في السنوات التالية.

(1) إيتاي برون وإيتايشـابيرا، محرران بمعهد دراسـات الأمن القومي (INSS)، الغرض من معهد دراسـات الأمن القومي (INSS) هو تعزيز الأمن القومي لدولة إسرائيل والمسـاعدة في تأمين مسـتقبلها كدولة يهودية وديمقراطية. معهـد INSS هو شركـة ذات منفعة عامة، ومصنّف كمركـز الأبحاث الرائد في إسرائيل وكواحدة من أهم خمسـين مؤسسة رائدة في العالم تتعامل مع الدفاع والأمن القومي، معهد مستقل غير حزبي يتعامل مع القضايا الإستراتيجية المركزيـة حـول أجندة الأمن القومي لإسرائيل. يضم فريق بحث معهد دراسـات الأمن القومي (INSS) خبراء من الأوساط الأكاديمية والعسكرية والحكومية. يهدف المعهد إلى إعلام صناع القرار والتأثير عليهم على أعلى المستويات في إسرائيل والجمهور الأكبر. من خلال مشـاركته في النقاش العام وبحوثه الموجهة نحو السياسـة، يسعى المعهد إلى تحديد فرص السياسة لإسرائيل واقتراح حلول مبتكرة للتحديات الأمنية الحالية.

بعد تسع سنوات، تستمر الاضطرابات الإقليمية، ولا يزال الشرق الأوسط يتسم بعدم الاستقرار الكبير وعدم اليقين والتقلب. المنطقة في خضم أزمة عميقة، تنعكس في عمليات ذات أهمية تاريخية. يستمر الصراع حول شخصية الشرق الأوسط في مجالين وعلى مجموعة متنوعة من خطوط الصدع:

على النظام الإقليمي – بين أربعة معسكرات تقاتل حول الأفكار والسلطة والنفوذ والبقاء (المحور الشيعي الراديكالي، الدول السنية البراغماتية، تيار الإخوان المسلمين، والدفق السلفي الجهادي). تشارك القوى الدولية أيضًا في هذا الصراع، وتلعب إسرائيل أيضًا دورًا غير مباشر.

داخل الدول نفسها – بين الأنظمة والجمهور. في قلب هذا الصراع، توجد المشكلات الأساسية في المنطقة، والتي اشتدت على مدار عقد من الاضطرابات الإقليمية (البطالة والفساد وعدم المساواة والاعتماد المفرط على النفط والمساعدات الخارجية). خلال العام الماضي، ازدادت حدة المجال المحلي بشكل كبير، واندلعت احتجاجات واسعة النطاق في السودان والجزائر والعراق ولبنان وحتى إيران.

نتيجة للصراع في هذين المجالين، تواجه جميع أنظمة الشرق الأوسط تحديات لاستقرارها. في أحد طرفي الطيف توجد دول ظلت في حالة حرب – اليمن وليبيا وسوريا. في الطرف الآخر توجد دول كانت مستقرة نسبيًا، رغم أن استقرارها هشّ في الوسط، الدول التي اندلعت فيها الاحتجاجات المدنية استجابةً للمشاكل الأساسية المستمرة – السودان والجزائر والعراق ولبنان وإيران. المظاهرات في العراق ولبنان جديرة بالملاحظة بشكل خاص، لأنها تتجاوز الانقسامات العرقية وتعكس المشاعر المعادية لإيران السائدة بين جزء كبير من المتظاهرين. في الوقت نفسه، فإن مقتل سليماني من شأنه أن يزيد المشاعر المعادية لأميركا.

إسرائيل هي جهة فاعلة إقليمية رائدة تعمل على الحد من تأثير المحور الشيعي المتطرف، ولتحقيق هذه الغاية تحافظ على تعاون متزايد مع الدول السنية البراغماتية. على الرغم من أن الصراع مع إسرائيل يظل موضوعًا حساسًا بين الجماهير في جميع أنحاء المنطقة، إلا أنه ليس قضية مركزية تشغل بال الأنظمة. ومع ذلك، بعد 25 سنة من توقيع اتفاقية السلام بين إسرائيل والأردن، تدهورت العلاقات الثنائية إلى مستوى الأزمة، وهو الوضع الذي يتطلب اهتمام إسرائيل الفوري.

كنتيجة للصراع بين أربع معسكرات داخل المنطقة وصراعات داخلية مماثلة، تواجه كل أنظمة الشرق الأوسط تحديات لاستقرارها

الفصل الثالث يتناول إيران، التي تقود المحور الشيعي المتطرف وتشكل أخطر تهديد لأمن

إسرائيل. من بين معسكرات المنطقة، هذا المعسكر هو الأكثر تنظيمًا وتماسكًا، ويستخدم مجموعة متنوعة من وسائل التأثير السياسية والعسكرية، ويعمل في العديد من الساحات، ويتقدم في جهوده لإنشاء منطقة إقليمية مختلفة مؤيدة لإيران والنظام الإقليمي المناهض للغرب.

تميز عام 2019 بالجرأة الإيرانية في القضية النووية وفي النشاط الإقليمي، وعلى مدار العام اشتدت المواجهة مع الولايات المتحدة. في السنة الأولى بعد انسحاب الولايات المتحدة من الصفقة النووية في أيار/ مايو 2018، التزمت إيران بالتزاماتها وفقًا للاتفاقية، لكن في عام 2019 تغيرت سياستها وبدأت، بحذر تدريجي، في الابتعاد عن هذه الالتزامات. بالإضافة إلى ذلك، قامت إيران بنشاط عسكري استفزازي في الشرق الأوسط ضد حلفاء الولايات المتحدة، تميز بشكل خاص بالهجوم على المنشآت النفطية في المملكة العربية السعودية وضد الولايات المتحدة نفسها، في إسقاط الطائرة الأميركية دون طيار وتوجيه عملائها في العراق إلى مهاجمة قواعد الولايات المتحدة واقتحام السفارة في بغداد. منذ عام 2018، كانت إيران وإسرائيل في مواجهة مباشرة ولكن محدودة، والتي شهدت هذا العام خسائر إيرانية في سوريا.

بالتوازي مع ذلك، واصلت إيران تعزيزها العسكري في سوريا والعراق ولبنان واليمن، بهدف تعميق نفوذها وتقليص النفوذ الأميركي وإنشاء قواعد للنشاط المحتمل لمهاجمة إسرائيل والمملكة العربية السعودية.

لمثل هذا النشاط، تعتمد إيران على القوى المحلية التي تمكنها من حرية عملها (العسكرية وغيرها) – أولاً وقبل كل شيء حزب الله في لبنان والنظام السوري، إلى جانب الميليشيات الشيعية الموالية لإيران في سوريا والعراق ولبنان والحوثيين في اليمن. في الساحة الفلسطينية، يستمر الدعم الإيراني للجهاد الإسلامي وحماس، ويتجلى ذلك في التمويل والمعرفة التكنولوجية لإنتاج الصواريخ والقذائف والأسلحة الإضافية.

بعد مقتل سليماني، اختارت إيران ردًّا محدودًا لن يؤدي إلى صراع واسع النطاق مع الولايات المتحدة. كان سليماني نفسه هو الذي قام بتنسيق تحليل وتخطيط الأعمال من هذا النوع في المنطقة، وسيطر على روابط إيران مع وكلائها في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، واجهت إيران أزمة داخلية بعد سقوط الطائرة الأوكرانية. ومع ذلك، من السابق لأوانه تقييم كيف سيؤثر موت سليماني على تصميم ووقاحة إيران، كما كان واضحًا في الأشهر الأخيرة من عام 2019، بقيادة قدراتها ضد إسرائيل ومشروع حزب الله الصاروخي.

فيما يتعلق بالقضية النووية، وصل الطرفان إلى طريق مسدود: ليس لدى الولايات المتحدة إستراتيجية طويلة الأجل سوى مواصلة العقوبات الاقتصادية والسعي للتوصل إلى اتفاق لم يتم تحديد معاييره. الأوروبيون قلقون بشأن التصعيد ويفضلون وصف تصرفات إيران المتحدية بأنها بسيطة؛ وإيران نفسها لا تنوي العودة إلى المفاوضات إذا لم تتم تلبية مطالبها المتعلقة بالعقوبات، واستمرت في دفع عجلة مشروعها النووي. بالنسبة لإسرائيل في عام 2020، فإن المشكلة الرئيسية هي تقصير الوقت اللازم لإيران لوصولها للأسلحة النووية، إذا قررت ذلك. يشكل الوضع السياسي لترامب وطبيعة سلوكه في عام الانتخابات خطرًا إضافيًا على إسرائيل – احتمال حدوث انفراج في المفاوضات حول اتفاق نووي جديد يتم تقديمه ظاهريًا على أنه اتفاق محسّن، لكنه لن يعزز مصالح إسرائيل. لكن في ضوء مقتل سليماني، فإن احتمالات هذا التطور ضئيلة.

وفقًا لعدد من المؤشرات، يبدو أنه على الرغم من استمرار الحالة الاقتصادية الصعبة، فإن الاقتصاد الإيراني في طريقه إلى تحقيق الاستقرار والتكيف مع نظام العقوبات. ومع ذلك، فإن هذه الأرقام من الاقتصاد الكلي لم تحسّن حياة المواطنين الذين انضموا إلى الاحتجاجات العامة العنيفة في تشرين الثاني/ نوفمبر، والتي ركزت على القضية الاقتصادية وأبرزت الكراهية تجاه النظام. كما في الماضي، نجح النظام في قمع الاحتجاجات، مستخدماً تدابير قمعية تسببت في خسائر فادحة في الأرواح (بمئات القتلى) واعتقالات واسعة النطاق.

يتمثل التحدي الرئيسي لإسرائيل في مواجهة إيران في العام المقبل في صياغة إستراتيجية تمكن من استخدام القوة في ساحات مختلفة وأبعاد مختلفة، دون أن تؤدي إلى صدام واسع النطاق مع إيران أو إلى الحرب في لبنان، مع الحفاظ على التنسيق الوثيق مع الولايات المتحدة.

في الوقت نفسه، يجب على إسرائيل تطوير خيار موثوق به لممارسة القوة المباشرة ضد إيران، وصياغة تفاهمات مع الولايات المتحدة حول ثلاثة سيناريوهات إشكالية: الأولى هي إعادة فتح المفاوضات بين الولايات المتحدة وإيران، والتي قد تنتهي بترك إيران مع القدرة على تخصيب اليورانيوم، دون تنازل إيراني كبير في المقابل؛ والثاني هو التصعيد العسكري بين إسرائيل وإيران. والثالث هو التقدم في البرنامج النووي الإيراني، بينما يستمر في تجميع المواد الانشطارية والوصول إلى مستويات أعلى من التخصيب، الأمر الذي سيؤدي إلى انخفاض كبير في الوقت اللازم لوصول محتمل للأسلحة النووية.

فيما يتعلق بهذه القضايا المركزية الثلاث، يمكن أن تنشأ فجوات بين مصالح إسرائيل ومصالح الولايات المتحدة، وبين الرئيس ترامب بشكل خاص.

الحلبة الشمالية: نحو صراع واسع النطاق

الفصل الرابع يناقش الساحة الشمالية، التي تشكل أهم تهديد عسكري تقليدي لإسرائيل. يأتي هذا التهديد من إيران ووكلائها: أولاً وقبل كل شيء حزب الله في لبنان. نظام الأسد والقوات شبه العسكرية العاملة في سوريا والعراق تحت إشراف إيراني؛ والقوات الإيرانية (وكذلك قوات حزب الله) الناشطة في المجال السوري. في سوريا، يتم أيضًا نشر القدرات التشغيلية الروسية المتقدمة، مما قد يؤدي – إذا قررت روسيا ذلك – إلى تقييد حرية إسرائيل في العمليات في لبنان وسوريا.

أصبحت إستراتيجية إسرائيل في هذه الساحة في السنوات الأخيرة تُعرف باسم "الحملة ما بين الحروب". أدى التحليل الصحيح للوضع في مختلف المجالات إلى تقييم القيادة السياسية والقيادة العسكرية العليا بأن الإدارة السليمة لمخاطر التصعيد تمكّن إسرائيل من ممارسة القوة من أجل الحد من التهديدات القائمة والناشئة، دون أن تؤدي إلى نزاع واسع النطاق، لا تريده إسرائيل.

دفع هذا التقييم السليم إلى استمرار النشاط التشغيلي الجريء والابداعي والذي تضمن منذ عام 2013 مئات الضربات على سلسلة من الأهداف في الأراضي السورية وفي مسارح إضافية. كان هذا النشاط موجهًا بشكل أساسي ضد نقل الأسلحة المتقدمة إلى حزب الله، وكذلك خلال العامين الماضيين ضد الجهود العسكرية الإيرانية لزيادة التعزيز بسوريا وجهودها لإنشاء جسر بري من إيران عبر العراق وسوريا إلى لبنان.

خلال عام 2019، أصبح من الواضح أن إيران تستخدم أراضي العراق كمنصة ممكنة لمهاجمة إسرائيل بالصواريخ.

يظهر فحص واسع لهذه الإستراتيجية الإسرائيلية أنها حققت إنجازات مهمة. في حين أنها لم تؤد إلى إزالة القوات الإيرانية من سوريا (ومن المحتمل أنها لم تكن تهدف إلى تحقيق هذا الهدف الطموح في المقام الأول)، إلا أن هناك دلائل تشير إلى أن معدل تعزيزات إيران قد تباطأ، وأن طبيعة النشر قد تكون أيضًا تأثرت بإجراءات إسرائيل. لم تنجح الجهود المبذولة لمنع نقل الأسلحة إلى حزب الله بشكل كامل، لكن يبدو أنها أبطأت النشاط ومنعت تسليحًا

ضخمًا بأسلحة نوعية معينة. ولكن بعد سبع سنوات، يبدو أن التقاء العوامل أدى إلى وضع وصلت فيه قيمة الاستراتيجية الإسرائيلية الحالية إلى ذروتها، وهي تتغلب على الكثير من المخاطر، وقد تؤدي إلى صراع واسع النطاق وحتى إلى حرب.

ما زال حزب الله تحت الردع والضبط، لكنه مصمم على الحفاظ على خطوط حمراء تجاه إسرائيل (منع الهجمات في الأراضي اللبنانية، وكذلك من الواضح أن القتلى بين أعضاء المنظمة في سوريا) وتحويل عدد كبير من الصواريخ حيازتها إلي أسلحة دقيقة.

إن نقل مركز ثقل النشاط المحيط بمشروع الصواريخ الدقيقة من سوريا إلى لبنان يبرز التحدي الذي تواجهه إسرائيل. تم توضيح مخاطر التصعيد بشكل واضح في الأحداث التي وقعت في أواخر آب/ أغسطس وأوائل أيلول/ سبتمبر 2019، خاصة إذا قُتل الإسرائيليون بالصواريخ المضادة للدبابات التي أطلقها حزب الله. مثل هذا التصعيد، إذا تدهور إلى حرب شاملة، فيمكن تحقيقه في سيناريوهين رئيسيين: "حرب لبنانية ثالثة" مع حزب الله فقط في لبنان، والتي ستكون أكثر كثافة وتدميرية من حرب لبنان الثانية؛ و"الحرب الشمالية الأولى" ضد حزب الله في لبنان وكذلك ضد القوات في سوريا والعراق، وربما حتى إيران ودول إضافية. يمكن أن يتطور التصعيد أيضًا إذا هاجمت إيران أهدافًا إسرائيلية ردًا على مقتل سليماني. في هذه السيناريوهات، من المتوقع أن تواجه إسرائيل نيرانًا صاروخية أرض – أرض ضخمة على الجبهة الداخلية، وبعضها سيكون صواريخ موجهة بدقة؛ محاولة تسلل القوات البرية داخل أراضيها؛ وهجومًا إدراكيًّا واسعًا لتقويض قدرة الجمهور على التحمل وثقته في القيادة السياسية والعسكرية.

تتطلب مخاطر التصعيد أيضًا من إسرائيل إجراء مناقشة أكثر جوهرية حول الفوائد والمخاطر الإجمالية للجهود المبذولة لمنع عمليات تراكم قدرة العدو التقليدية (على عكس جهود تكديس الأسلحة النووية، حيث يوجد اتفاق واسع على وجوب استخدام القوة لمنعهم، وفقا لعقيدة بيغن). فيما يتعلق بمشروع الصواريخ الدقيقة، يجب أن يتم نقاش الضرر المحتمل الناجم عن استخدام الأسلحة الدقيقة مقابل الاحتمالات (الدفاعية والهجومية) لاتخاذ إجراءات ضده. في هذا الإطار، ينبغي إجراء مناقشة متعمقة حول فكرة الهجوم الوقائي على حزب الله والتوقيت المناسب لمثل هذه الضربة، في مواجهة التقدم في مشروع الصواريخ الدقيقة.

طرق لمعالجة مشروع الصواريخ الدقيقة

متابعة الحملة بين الحروب – نشاط متزايد لفضح ومهاجمة "مشروع الصواريخ الدقيقة" كجزء من الحملة بين الحروب (في مجموعة متنوعة من الساحات). ومع ذلك، فإن فعالية هذا الاحتمال محدودة، وقد تؤدي إلى تصعيد غير مقصود.

الدفاع – بناء الاستجابة على قدرات الدفاع النشط (أنظمة الدفاع الجوي) والقدرات السلبية (التدريع). لا يمكن أن يوفر هذا الخيار استجابة كاملة، بالنظر إلى نطاق قدرات العدو ونطاقها.

الردع – يستند الرد على قدرات الردع الإسرائيلية وترسيخها في تهديد واضح وصريح فيما يتعلق بتداعيات استخدام الأسلحة الدقيقة. ومع ذلك، فإن هذا الاحتمال ينطوي على قدر كبير من عدم اليقين، ويمكن لعدد الصواريخ الدقيقة أن تحيد الردع، الذي يعتمد إلى حد كبير على سياق النزاع وظروفه.

الضربة الوقائية – بناء الاستجابة على توجيه ضربة واسعة النطاق إلى نظام الأسلحة الدقيقة والبنية التحتية لإنتاجها في بداية الحرب قبل استخدامها. ومع ذلك، يتضمن هذا الخيار الكثير من عدم اليقين، ويعتمد على الاستخبارات الدقيقة وعوامل إضافية.

هجوم وقائي – شن هجوم مفاجئ استباقي على حزب الله، في الوقت الأمثل لإسرائيل. ومع ذلك، فإن نتائج مثل هذا الهجوم، الذي قد يؤدي إلى نشوب حرب (مع احتمال كبير "للحرب الشمالية الأولى")، قد يكون من الصعب على إسرائيل.

النظام الفلسطيني: ضعيف وقريب من التصعيد

يناقش الفصل الخامس النظام الفلسطيني الذي ينقسم إلى نظامين فرعيين: السلطة الفلسطينية التي تحكم الضفة الغربية وحماس التي تحكم قطاع غزة. سعت إستراتيجية الحكومة الإسرائيلية على مدار العقد الماضي لإدارة الصراع، إلى عرقلة إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية. فيما يتعلق بقطاع غزة، فإن إسرائيل (التي تفتقر إلى البديل) قد تصرفت في الواقع للحفاظ على حماس ككيان سياسي – وإن كان ضعيفًا – يعمل على كبح جماح الجهات الفاعلة المارقة وتمنعه عن شن هجوم واسع النطاق. في الممارسة العملية، تعمل سياسة إسرائيل في التمييز بين غزة والضفة الغربية ضد المصالحة بين السلطة الفلسطينية وحماس.

الأهداف العاجلة للسلطة الفلسطينية هي البقاء وتعزيز حكم فتح وضمان إرث عباس. فتح، التي تقود السلطة الفلسطينية، هي هدف لانتقادات قاسية، وهي حاضرة حاليًا على شفا معضلة – كيفية التقدم نحو أهدافها دون أن تفقد الإنجازات التي حققتها منذ اتفاقات أوسلو. وبينما تهدد شخصيات بارزة من وقت لآخر داخل السلطة بتفكيك السلطة الفلسطينية و"إعادة المفاتيح" إلى إسرائيل، يبدو من الناحية العملية أن السلطة الفلسطينية حذرة من هذه الخطوة.

يستمر التنسيق بين قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية وجيش الدفاع الإسرائيلي، وفقاً لمصلحة السلطة الفلسطينية في منع اندلاع العنف وفي ضوء رفض عباس الثابت لطريق الإرهاب. هذا على الرغم من استطلاعات الرأي التي تظهر زيادة الدعم بين الجمهور الفلسطيني للنضال العنيف. في هذه الأثناء، تفقد القضية الفلسطينية تدريجياً مركزيتها في الخطاب الإقليمي والدولي.

تحت السطح، تجري منافسة على القيادة الفلسطينية في اليوم التالي لعباس. من المرجح أن تستمر حماس في محاولة الاستيلاء على مؤسسات السلطة الفلسطينية واختراق صفوف منظمة التحرير الفلسطينية، ومن ثم استغلال رحيل عباس لتعميق نفوذها في الضفة الغربية. لدى إسرائيل القدرة على التقليل إلى الحد الأدنى من الأضرار، بل وتعزيز الفرص بعد رحيل عباس، طالما أنها لا "تتوج" الزعيم القادم، ولكنها تساعد في تعزيز القيادة التي ينتخبها جهاز فتح أو في الانتخابات العامة.

حماس ممزقة بين مسؤوليتها عن حكم قطاع غزة وهويتها كحركة مقاومة. منذ مارس 2018، بعد ثلاث سنوات ونصف من الهدوء النسبي في أعقاب عملية الحافة الواقية، أصبح قطاع غزة على وشك الانهيار، على الرغم من أن إسرائيل وحماس غير مهتمين بالتصعيد.

قدمت قيادة حماس في غزة لإسرائيل خيار التصعيد أو الترتيب. وقد مكّن ذلك من الاتفاق المحدود مع إسرائيل والذي يتضمن السماح بدخول الأموال القطرية إلى غزة، في مقابل الالتزام بتقليص "المقاومة الشعبية" على طول السياج. جنبًا إلى جنب، يشدد قادة حماس ردعهم العسكري ضد إسرائيل – المنظمة تطلق نيران الصواريخ استجابة للنشاط العسكري الإسرائيلي وكأداة للضغط على إسرائيل في المفاوضات، من أجل تخفيف الوضع

المدني في غزة. مصر لها دور مركزي في تحقيق الاستقرار في غزة، وقد وضعت نفسها كوسيط حصري بين إسرائيل وحماس والجهاد الإسلامي.

إن البديل المفضل والأكثر جدوى لدفع المصالح الأمنية لإسرائيل هو وقف إطلاق النار على المدى الطويل بين إسرائيل وحماس، والذي تم التوصل إليه بوساطة مصرية. يشمل وقف إطلاق النار من هذا النوع (في شكل "ترتيب") التخفيف بشكل كبير من إغلاق قطاع غزة وتطوير مشاريع البنية التحتية. إذا لم تتوصل إسرائيل وحماس إلى تفاهمات مطولة لوقف إطلاق نار مطبق، ستزداد احتمالية نشوب صراع عسكري واسع النطاق في قطاع غزة.

من المؤكد أن أي ترتيب بعد صراع عسكري واسع النطاق سيسمح لإسرائيل بالحصول على وقف لإطلاق النار من موقع أكثر فائدة ومع قوة ردع تجاه حماس، ولكن على حساب الكثير من الأضرار والخسائر. علاوة على ذلك، من المشكوك فيه ما إذا كانت ستمنح إسرائيل ظروف تفاوض أفضل نحو ترتيب أكثر مما يمكن تحقيقه اليوم. من بين البدائل المعروضة أمام إسرائيل، لا توجد وسيلة لمنع الحشد العسكري من قبل حماس أو الجهاد الإسلامي مع مرور الوقت، لكن الترتيب يتيح تحسين الوضع الأمني في محيط غزة والاهتمام بالوضع الإنساني في قطاع غزة.

إن عواقب المحنة الاستراتيجية في النظام الفلسطيني لا تعود بالنفع على إسرائيل، وهناك احتمال متزايد للتصعيد في قطاع غزة والضفة الغربية. ومع ذلك، فإن الوضع الحالي يُمكّن إسرائيل من تشكيل بنية مواتية أكثر للعلاقات مع الفلسطينيين، حتى دون اتفاق شامل، وتعزيز الفصل السياسي والإقليمي والديمغرافي وكيان فلسطيني مستقل ومميز في الضفة الغربية. هذا، إلى جانب خطوات محدودة بشأن ترتيبات في قطاع غزة، سيمكن على الأقل من تأجيل الصراع في المستقبل. تحقيقًا لهذه الغاية، يجب على إسرائيل أن تعمل على قناتين:

الأولى هي تقوية السلطة الفلسطينية ككيان شرعي وحيد لاتفاق مستقبلي، وتحديد هدف سياسي لتحقيق ترتيبات انتقالية من شأنها أن تشكل الفصل وتضع الشروط لواقع مستقبلي لدولتين على أساس خطة معهد دراسات الأمن القومي (INSS)، إطار استراتيجي للساحة الإسرائيلية الفلسطينية.

والثاني هو رؤية حماس باعتبارها الكيان المسؤول مؤقتًا عن قطاع غزة وتحقيق وقف إطلاق نار مطول معها، في مقابل الحصول على فوائد اقتصادية كبيرة.

وفيما يلي عرض أكثر توسعاً للنظام الفلسطيني بقلم أودي ديكل،عناتكورتس ونوعا شوتسرمان

النظام الفلسطيني: ضعيف وقريب من التصعيد

لمحة

التحديات المتزايدة للنظام الفلسطيني المنقسم • توقع اليوم التالي لعباس وخطة ترامب • تزايد مخاطر التصعيد في غزة تزيد الحاجة إلى التوصل إلى ترتيب مع حماس

توصيات

اعتماد خطة معهد INSS للساحة الفلسطينية • اتخاذ خطوات الفصل الأولية وتعزيز السلطة الفلسطينية • الحصول على مساعدة مصرية لتحقيق الاستقرار في قطاع غزة • بناء آليات لمنع التعزيز العسكري الفلسطيني

نظام مقسم

النظام الفلسطيني مقسم إلى نظامين فرعين – السلطة الفلسطينية، التي تحكم الضفة الغربية، وحماس، التي تحكم قطاع غزة. على الرغم من أن فكرة المصالحة الفلسطينية الداخلية كانت مطروحة منذ وقت طويل وتتمتع بدعم شعبي واسع، فمن غير المرجح أن تتحقق طالما ظل محمود عباس رئيسًا للسلطة الفلسطينية. يطالب عباس باستمرار بتفكيك الجناح العسكري لحركة حماس وتحقيق رؤية "سلطة واحدة، قانون واحد، سلاح واحد". تعارض حماس بشدة هذا المطلب.

تتنافس القيادتان الفلسطينيتان مع بعضهما البعض، وتواجهان صعوبة في تعزيز شرعيتها في الأرض الخاضعة لسيطرتهما، ومشغولتان بالقضايا الملحة. تأخذ حماس المبادرة وتعتمد على مواقف خلاقة وتتبع "مقاومة" نشطة ضد إسرائيل – شعبية وعسكرية – بينما تحاول تجنب التصعيد الذي يؤدي إلى حملة واسعة النطاق.

ومع ذلك، تخضع المنظمة لضغوط داخلية بسبب عجزها عن توفير الاحتياجات الأساسية لسكان غزة. ضعفت السلطة الفلسطينية بالمثل، سواء على المستوى السياسي أو في الرأي العام، وتعاني من أزمة اقتصادية حادة.

السلطة الفلسطينية

الأهداف العاجلة للسلطة الفلسطينية هي البقاء وتوطيد حكم فتح وضمان إرث عباس. تقف السلطة الفلسطينية حاليًا على عاتق معضلة – كيفية التقدم نحو أهدافها دون أن تفقد الإنجازات التي حققتها منذ اتفاقات أوسلو. بينما تهدد شخصيات بارزة في السلطة من وقت لآخر بتفكيك السلطة الفلسطينية و"إعادة المفاتيح" إلى إسرائيل. يبدو من الناحية العملية أن السلطة الفلسطينية حذرة من مثل هذه الخطوة.

التحدي الاقتصادي هو القضية المركزية. في أوائل عام 2019، أعلنت السلطة الفلسطينية أنها ستتوقف عن تلقي إيرادات الضرائب التي تجمعها إسرائيل، عقب قرار الحكومة الإسرائيلية بخصم المبلغ الذي تم تحويله إلى أسر السجناء والإرهابيين الذين قُتلوا أثناء القتال ("الشهداء").

تشكل أموال الضرائب من إسرائيل جزءًا كبيرًا من إجمالي دخل السلطة الفلسطينية وجزءًا من ناتجها المحلي الإجمالي. في حين أن هناك دعوات في السلطة الفلسطينية لقطع علاقتها المالية بإسرائيل تمامًا، فهي غير قابلة للتطبيق نظرًا لاعتماد السلطة الفلسطينية على إسرائيل فيما يتعلق بالتوظيف والتجارة: معظم الصادرات من السلطة الفلسطينية مخصصة لإسرائيل، ويعمل عُشر القوة العاملة في إسرائيل.

ومما يضاعف هذا الاعتماد الإشكالي انخفاض التمويل الأميركي والأونروا، والصعوبات في الحصول على مساعدة مالية خارجية من مصادر أخرى، ولاسيما الدول العربية. في محاولة لتخفيف حدة الأزمة الوشيكة، وضعت إسرائيل والسلطة الفلسطينية حلاً مؤقتًا لتحويل الأموال التي من شأنها أن تمكّن السلطة الفلسطينية من مواجهة 2019 بهدوء نسبي. ومع ذلك، أمام هذه المحنة المالية، اضطرت السلطة الفلسطينية إلى خفض الرواتب إلى النصف وخفض النفقات.

إن العاملين في القطاع العام – والذين يشكلون قطاع التوظيف الكبير – هم الضحايا الرئيسيون، بما في ذلك أعضاء الأجهزة الأمنية، والتي هي مسؤولة إلى حد كبير عن الاستقرار الحالي في الضفة الغربية. إلى جانب الصعوبات الاقتصادية، تواجه الأجهزة الأمنية سكانًا يتحدون دورهم كمنفذين للقانون والنظام، بينما وصلت ثقة الجمهور العام في السلطة الفلسطينية إلى نقطة منخفضة، في ضوء فشل الأداء والفساد.

وفي الوقت نفسه، يستمر التنسيق بين قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية وقوات الدفاع الإسرائيلية، وفقاً لمصلحة السلطة الفلسطينية في منع اندلاع العنف، وفي ضوء رفض عباس الثابت لطريق الإرهاب. هذا على الرغم من استطلاعات الرأي التي تظهر زيادة الدعم بين الجمهور الفلسطيني للنضال العنيف.

إن قدرة السلطة الفلسطينية على تحدي إسرائيل، من خلال فك الارتباط الاقتصادي ووقف التنسيق الأمني أو من خلال النضال السياسي في المنتديات الدولية، محدودة. علاوة على ذلك، فإن القضية الفلسطينية تفقد تدريجيًّا مركزيتها وأهميتها في الخطاب الإقليمي والدولي. في الواقع، تفخر إسرائيل بإقامة شراكات علنية وسرية مع الدول العربية التي كانت تمجد في السابق النضال الفلسطيني. في حين لا تزال السلطة الفلسطينية معترف بها كممثل فلسطيني رسمي ورابط يربط الفلسطينيين بالمجتمع الدولي عمومًا والعالم العربي بشكل خاص، فإن تأثيرها قد انحسر، حيث تم إحالة القضية الفلسطينية إلى الخطوط الجانبية.

الدلالة ونظرة إلى المستقبل

على الرغم من قيادة محمود عباس بلا منازعة كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية وحركة فتح، فإن عمره وصحته يستلزمان التطلع إلى المستقبل. تحت السطح، تجري المنافسة على القيادة في اليوم التالي لعباس، مما قد يؤدي إلى أحد السيناريوهات التالية:

فصل السلطات بين المناصب الثلاثة (رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، رئيس السلطة الفلسطينية، ورئيس حركة فتح) وانتخاب قيادة جماعية (احتمال متوسط مرتفع).

انتخاب زعيم واحد من فتح من قبل اللجنة المركزية وريث لعباس (احتمال متوسط مرتفع).

انهيار السلطة الفلسطينية وتعزيز مؤسسات العشائر القبلية والقيادة الإقليمية في مكانها (احتمال ضعيف).

ظهور بديل سياسي للقيادة الحالية. هذا السيناريو غير مرجح للغاية، على الرغم من وجود علامات على أن بعض الجمهور يبحث عن مسار جديد.

أدت قضية الخلافة، إضافة إلى فقدان القيادة للشرعية في نظر الجمهور، لعباس ورفاقه إلى تشجيع الانتخابات في الأشهر المقبلة على مرحلتين، أولاً بالنسبة للمجلس التشريعي، وفقًا

للنظام النسبي، ثم للرئاسة. لقد أعربت حماس والفصائل الأخرى عن موافقتها من حيث المبدأ على فكرة الانتخابات، لكنهم يعارضون قانون الانتخابات (المعدل من قبل عباس في عام 2007)، والذي يشترط إجراء انتخابات بعد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والاتفاقات التي وقعتها.

يبدو أن الأطراف سوف تشارك في "لعبة إلقاء اللوم" من أجل إسناد المسؤولية عن عدم إجراء الانتخابات إلى الجانب الآخر. على أي حال، من المرجح أن تواصل حماس محاولة الاستيلاء على مؤسسات السلطة الفلسطينية واختراق صفوف منظمة التحرير الفلسطينية، ثم استغلال رحيل عباس للمطالبة بالشراكة في القيادة الفلسطينية وتعميق نفوذها في الضفة الغربية.

لدى إسرائيل القدرة على تقليل الضرر عن طريق عرقلة حركة حماس في الضفة الغربية وحتى تعزيز الفرص بعد رحيل عباس، طالما أنها لا "تتوج" الزعيم القادم، ولكنها تساعد في تعزيز القيادة التي ينتخبها جهاز فتح أو في الانتخابات العامة.

حماس في قطاع غزة

إن حماس ممزقة بين مسؤوليتها عن إدارة قطاع غزة وهويتها كحركة مقاومة، وفي هذا السياق تواجه تحديات على ثلاثة مستويات:

الأول هو أن حماس نفسها منقسمة إلى مجموعات لا توافق على المسائل الأساسية، مثل دعم العلاقات مع مصر مقابل دعم إيران؛ والدعم لترتيب محدود مع إسرائيل بشأن وقف إطلاق النار، مقابل دعم المقاومة المسلحة. وبالتالي، فإن القيادة تواجه صعوبة في اتخاذ التدابير المهمة. المستوى الثاني هو صعوبة أو عدم الرغبة في كبح جماح منظمات المقاومة الأخرى في غزة بالقوة (المنظمات "المارقة")، والتي تتأثر بمصالح أخرى. المستوى الثالث هو أن حماس نفسها أصبحت هدفًا للنقد الشعبي المتزايد بسبب الحكم غير الكفء.

ومع ذلك، في عام 2019، أظهرت حماس قدرة على قمع الاحتجاجات الاجتماعية بشكل فعال، وتوجيه الغضب تجاه إسرائيل.

منذ آذار/ مارس 2018، كان قطاع غزة على وشك اندلاع الحرب، رغم أن إسرائيل وحماس غير مهتمين بالتصعيد. قدمت قيادة حماس في غزة لإسرائيل إنذاراً بالتصعيد أو الترتيب؛ وقد مكّن ذلك من الاتفاق المحدود مع إسرائيل والذي يشمل الأموال القطرية القادمة إلى

غزة، في مقابل الالتزام بتقليل "المقاومة الشعبية" على طول السياج. جنبًا إلى جنب، يشدد قادة حماس ردعهم العسكري ضد إسرائيل – تطلق المنظمة نيرانها الصاروخية ردًّا على النشاط العسكري الإسرائيلي وبصفة رئيسية كأداة للضغط على إسرائيل في المفاوضات، من أجل تخفيف الوضع المدني في غزة.

الدلالة ونظرة إلى المستقبل

هناك عدة بدائل لسياسة إسرائيل تجاه حماس وقطاع غزة:

الوصول إلى تفاهمات مع حماس من خلال وساطة مصرية والاتفاق على وقف إطلاق نار مطول، مقابل تخفيف إغلاق غزة بشكل كبير.

تهيئة الظروف للمصالحة الفلسطينية الداخلية كوسيلة لاستعادة سيطرة السلطة الفلسطينية على غزة (بديل ليس في أيدي إسرائيل).

استمرار السياسة الحالية لإدارة الصراع، مع التكيف مع التغيرات في الوضع.

فصل غزة تمامًا عن إسرائيل والضفة الغربية.

شنّ حملة عسكرية لهزيمة الأجنحة العسكرية لحماس والجهاد الإسلامي.

البديل المفضل والأكثر جدوى هو وقف إطلاق النار على المدى الطويل بين إسرائيل وحماس، يتم التوصل إليه بوساطة مصرية، ويفضل أن يكون ذلك بالتنسيق مع السلطة الفلسطينية – على الرغم من أن احتمال حدوث ذلك ضئيل – والذي سوف يتضمن تخفيفًا كبيرًا لإغلاق قطاع غزة وتطوير مشاريع البنية التحتية. في ظل الظروف الحالية، يبدو أن حملة عسكرية واسعة النطاق لن تمنح إسرائيل ميزة تفاوضية محددة أو ظروفًا تفاوضية أفضل مما يمكن تحقيقه اليوم، بل هناك خطر انهيار القدرة الحكومية في قطاع غزة. بالإضافة إلى ذلك، لن يؤدي التحرك العسكري من هذا النوع إلى حل ضد التعزيز العسكري لحماس والجهاد الإسلامي.

في هذا السياق، تلعب مصر دورًا رئيسيًا في تحقيق الاستقرار في غزة، وقد وضعت نفسها كوسيط حصري بين إسرائيل وحماس والجهاد الإسلامي. تحاول القاهرة بلطف الموازنة بين المصالح المتعارضة: فهي تسعى من ناحية إلى التوصل إلى ترتيب مطول ووقف لإطلاق النار بين إسرائيل وحماس – دون الانخراط في مسؤولية غزة والتورط فيها – من أجل

تعزيز الاستقرار والأمن اللذين يسهمان في إحياء السياحة في سيناء والمشاريع الاقتصادية في شمال سيناء. من ناحية أخرى، لا ترى حماس جزءًا من حل دائم، وهي مهتمة بعودة السلطة إلى السلطة في غزة.

في الوقت نفسه، تعمل القاهرة على منع مشاركة الفاعلين السياسيين الآخرين في غزة، وخاصة منافسيها القطريين والترك والإيرانيين.

التحديات الرئيسية لإسرائيل

لإسرائيل تأثير كبير على النظام الفلسطيني. تشير أفعالها إلى أنه في الممارسة العملية، اختارت إضعاف السلطة الفلسطينية وإثارة الشكوك حول كونها "شريكة" لاتفاق، على الرغم من أن السلطة الفلسطينية تحتفظ بالتنسيق الأمني مع إسرائيل وتسمح للجيش الإسرائيلي بحرية عملية في الضفة الغربية.

كان نهج الحكومة الإسرائيلية على مدى العقد الماضي هو استنزاف الوقت، وبالتالي تأجيل إقامة دولة فلسطينية لأطول فترة ممكنة. مع فكرة أن "الوقت يقف إلى جانب إسرائيل" في الساحة الفلسطينية، الهدف من هذه السياسة – في غياب بديل – هو الحفاظ على حماس ككيان سياسي ضعيف يعوق الجهات الفاعلة المارقة وممنوع من شن هجوم واسع النطاق.

في الممارسة العملية، تتطلب سياسة إسرائيل لإدارة الصراع التمييز بين غزة والضفة الغربية، وبالتالي العمل ضمنيًّا لمنع تقدم المصالحة بين السلطة الفلسطينية وحماس. يمكن أن تؤدي إستراتيجية ترسيخ الانقسام بين النظامين الفرعيين إلى زيادة الفوضى، خاصة إذا تزعزع الوضع بعد رحيل عباس وإذا تفاقمت المشاكل الأساسية لقطاع غزة.

هذا وقت صعب للفكرة الوطنية الفلسطينية. من ناحية، تواصل السلطة الفلسطينية التمسك بحل الدولتين، بينما من ناحية أخرى، بين الشباب الفلسطيني، هناك أصوات أكثر وأكثر تدعو إلى وضع أولويات جديدة تركز على التخلي عن مبدأ الدولتين، وبدلًا من ذلك تتبنى فكرة "دولة لجميع مواطنيها" تمنح الحقوق المدنية المتساوية للفلسطينيين في دولة إسرائيل.

يمكن لهذه الأصوات أن تتعزز بعد تحقيق واحد أو أكثر من السيناريوهات التالية: إذا وجدت السلطة الفلسطينية نفسها خاضعة للخلاف على خلافة عباس أو وقعت في أزمة اقتصادية وإنسانية حادة؛ إذا اتبعت إسرائيل إجراءات الضم في الضفة الغربية؛ أو إذا تم

إصـدار خطـة الرئيس ترامـب للتوصـل إلى اتفاق إسرائيـلي – فلسـطيني ولا تتعلق بدولة فلسطينية أو تتضمن الاعتراف بالضم الإسرائيلي.

في عـام 2020، مـن المتوقـع أن تواصـل حمـاس تنظيم مظاهـرات ضد إسرائيـل وارتكاب حوادث عنيفة على طول الحدود من أجل الوصول إلى تفاهمات محسنة للاتفاق، بما في ذلك إزالـة "الحصار" وبرامج لإعادة الإعمار والبنية التحتية الجديدة في غزة، مع التركيز في ميناء بحري. في المقابل، ستوافق حماس على وقف إطلاق نار مطول وشامل.

في إطار اتفاق واسع وفي مقابل الإفراج الشامل عن السجناء المحتجزين لدى إسرائيل، من الممكـن أن توافق على إطلاق سراح المدنيين الإسرائيليين وجثث الجنود الإسرائيليين. ومع ذلك، لن تتخلى حماس عن جهودها لتطوير وصيانة وسائل الكفاح التي تحت تصرفها (من الطائـرات المتفجرة والطائرات دون طيار إلى الصواريـخ، الطائرات دون طيار، والأنفاق) – التـي تهـدف إلى ردع إسرائيل عن الحملات العسـكرية في غزة والضغط عليها كجزء من المفاوضات بوساطة مصرية للتوصل إلى اتفاق. في هذا السياق، يمكن اعتبار إحجام حماس عن الانضمام إلى الجهاد الإسلامي في التصعيد مع إسرائيل في تشرين الثاني/ نوفمبر 2019 على أنه يعكس اهتمامها بالوصول لاتفاق.

إذا لم تتوصل إسرائيل وحماس إلى تفاهمات مطولة لوقف إطلاق النار وتنفذهما، فإن احتمال نشوب صراع عسكري واسع النطاق في قطاع غزة سيزداد – في شكل تصعيد غير مرغوب فيـه يتعـارض مـع مصالـح الجانبين (كـما هو الحال مـع عملية حافـة الحمايـة في صيف عام 2014). سيكون هدف إسرائيل في أي عملية عسكرية التسبب في أضرار جسيمة للأجنحة العسـكرية لحماس والجهاد الإسـلامي إلى حـد تفكيكها، مع ترك حماس في مكانها كسـلطة حكم فاعلة وتجنب سـيناريو تتولى فيه إحدى المنظمات السـلفية المارقة السـيطرة أو ينجرف الجيش الإسرائيلي إلى استئناف السيطرة على غزة.

في حين أن جيش الدفاع الإسرائيلي مسـتعد للقيام بعمل عسـكري واسـع النطاق في غزة، فإنه ليس من الواضح ما ستكون عليه استراتيجية الخروج. على الرغم من أن جيش الدفاع الإسرائيلي سيسعى إلى سحب جميع قواته فور انتهاء الحملة، إلا أن استقرار القطاع في اليوم التالي للحملة لا يزال مسألة مفتوحة. في هذه الحالة، هناك سيناريوهان محتملان:

الأول هو إنجاز عسكري واضح لإسرائيل، ينطوي على خسائر فادحة، يتبعه وضع ترتيب

مماثل في جوهره لما ترغب حماس في الاتفاق عليه اليوم. والثاني هو الإطاحة بحماس، سواء عن قصد أم لا، تاركاً فراغاً في الحكم في غزة من شأنه أن يؤدي إلى فوضى قد تعيد إسرائيل إلى قطاع غزة.

توصيات للسياسة الإسرائيلية

كانت المشكلة الفلسطينية ولا تزال على عتبة إسرائيل. إن عواقب المحنة الاستراتيجية في النظام الفلسطيني لا تفيد إسرائيل، وتزيد من احتمال التصعيد في قطاع غزة والضفة الغربية. ومع ذلك، فإن الوضع الحالي يمكّن إسرائيل من تشكيل بنية أكثر ملاءمة للعلاقات مع الفلسطينيين، حتى من دون اتفاق شامل، من خلال تعزيز الفصل السياسي والإقليمي والديمغرافي وكيان فلسطيني مستقل ومميز في الضفة الغربية، إلى جانب خطوات محدودة من أجل ترتيبات في قطاع غزة من شأنها أن تتيح على الأقل تأجيل الصراع في المستقبل. تحقيقًا لهذه الغاية، يجب على إسرائيل أن تعمل على قناتين:

الأولى، هي تقوية السلطة الفلسطينية ككيان شرعي وحيد لاتفاق مستقبلي، مع تعزيزها كسلطة مسؤولة وعاملة ومستقرة وتعزيز النمو الاقتصادي. يجب على إسرائيل أن تضع هدفًا سياسيًا لتحقيق ترتيبات انتقالية من شأنها تشكيل الانفصال وتحديد الظروف لواقع مستقبلي لدولتين، على أساس خطة معهد INSS، إطار استراتيجي للساحة الإسرائيلية الفلسطينية.

والثانية هي رؤية حماس كيانًا مسؤولًا مؤقتًا عن قطاع غزة وتحقيق وقف إطلاق نار مطول معها، في مقابل تخفيف الحصار بشكل كبير؛ وبالتوازي مع ذلك، الحفاظ على التنسيق الوثيق مع مصر والأمم المتحدة أو المجموعة الرباعية لدفع المشاريع الإنسانية الحيوية في غزة، بمساعدة المجتمع الدولي.

صاغت إدارة ترامب حلاً مختلفًا عن الحلول التي أثارتها الإدارات السابقة، بما في ذلك انخفاض في مركزية حل الدولتين وتغيير النهج نحو عدم شرعية المستوطنات. ليس من الواضح ما إذا كان سيتم إعلان الخطة ومتى سيتم الإعلان عنها، ولكن على أي حال، من المحتمل أن ترفضها القيادة الفلسطينية والأردن، وستقابلها شكوك وتحفظات من قبل بقية الدول العربية.

في المقابل، من المرجح أن تقبل الحكومة الإسرائيلية مبادئ الخطة. يخدم الأساس المنطقي

للخطة، التي تنص على أنه لا يمكن تجاهل الواقع على أرض الواقع، مصالح إسرائيل كدليل للمفاوضات المستقبلية ولتشجيع الاعتراف الفلسطيني بحقيقة أن الوقت ليس في صالحهم.

يجب على الحكومة الإسرائيلية استخدام الخطة من أجل المساعدة في خلق واقع لكيانين سياسيين متميزين – ليس عن طريق وصف السلطة الفلسطينية بأنها معارضة للسلام، ولكن من خلال دمجها كشريك ضروري في عملية الانفصال التدريجي في الضفة الغربية.

بالإضافة إلى ذلك، في السنوات الأخيرة، تم إعداد أرضية تشريعية في إسرائيل لضم المستوطنات في الضفة الغربية، للانضمام إلى وعد رئيس الوزراء نتنياهو بضم وادي الأردن. يشير ضم الضفة الغربية بأكملها أو جزء منها إلى تغيير في الرؤية الأساسية لدولة إسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية آمنة وأخلاقية ذات حدود معترف بها وشرعية دولية. من المرجح أن تواجه خطوات الضم الإسرائيلية معارضة فلسطينية ودولية شديدة. بالإضافة إلى ذلك، من المرجح أن تضر الخطوات في هذا الاتجاه بعلاقات إسرائيل بالأردن ومصر، وتؤدي إلى تصاعد العنف والإرهاب، وإلى إنهاء التعاون الأمني مع السلطة الفلسطينية. لذلك، يجب تجنب خطوات الضم، حتى لو تم تسهيلها بواسطة خطة ترامب.

فيما يتعلق بالعلاقات مع الأردن، تعتبر المملكة إسرائيل مسؤولة عن الجمود السياسي وخطة ترامب المنحازة لصالحها. معظم الجمهور الأردني مقتنع بأن اليمين الإسرائيلي يرى أن الأردن وطن بديل للفلسطينيين. التقدم في الضم يشجع هذه الفكرة، وبالتالي يهدد مستقبل العلاقات السلمية. التحدي الآخر هو الحفاظ على الوضع الراهن على جبل الهيكل، وعجز الأردن المحتمل عن أداء دورها كحارس للأماكن المقدسة. لذلك، إلى جانب تقديم رؤية سياسية للنزاع الإسرائيلي – الفلسطيني، ينبغي للحكومة الإسرائيلية تقديم مساعدة اقتصادية للأردن، وتنمية ثمار السلام، وتعزيز الحوار الثنائي الاستراتيجي.

خيارات السياسة لإسرائيل تجاه حماس في قطاع غزة

ادارة النزاع	قطع الاتصال بين غزة وإسرائيل والضفة الغربية	شروط ودعم المصالحة الفلسطينية الداخلية	اتفاق وقف إطلاق النار طويل الأجل بين إسرائيل وحماس	حملة لإسقاط الجناح العسكري لحماس

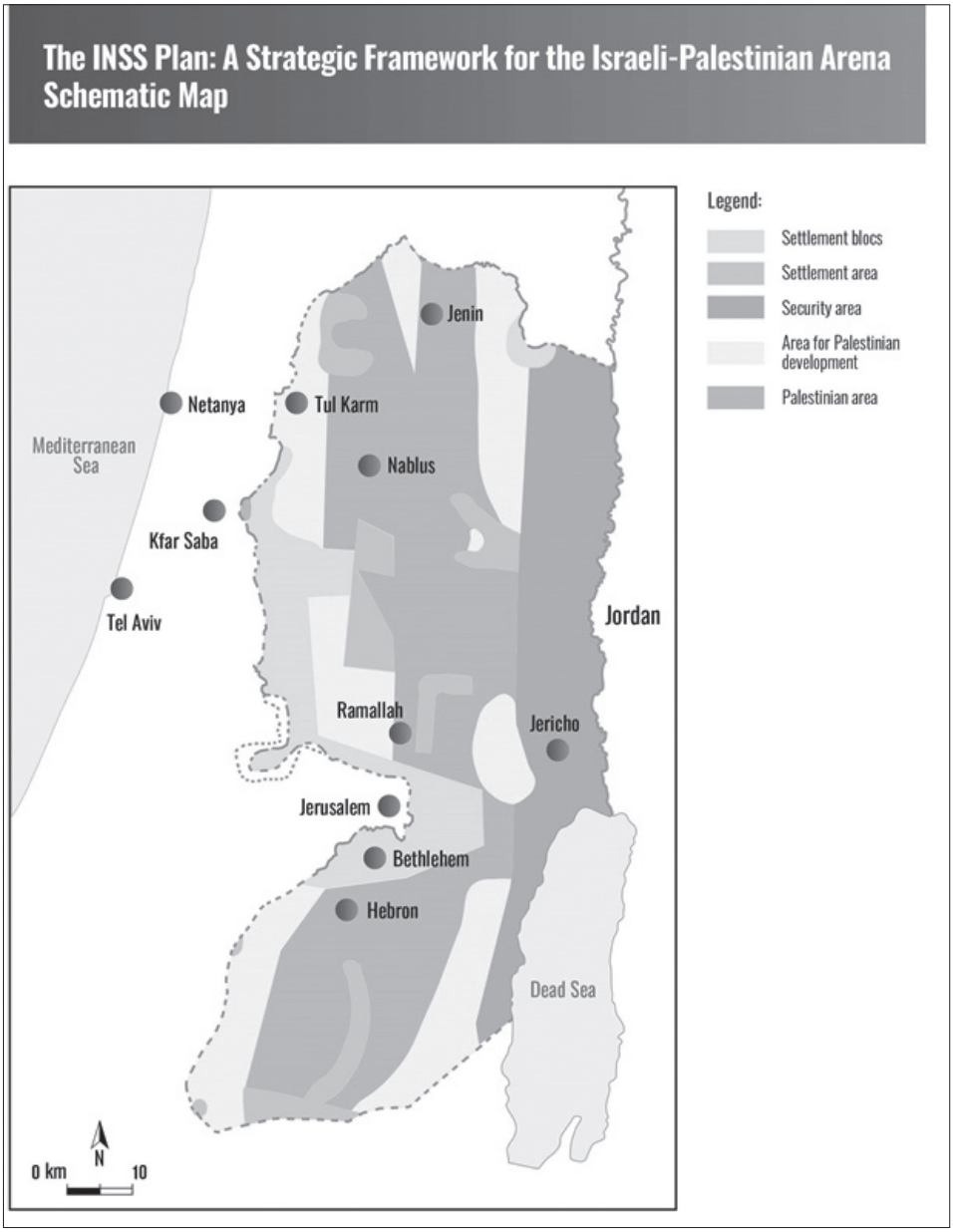

المجتمع الإسرائيلي: تحديات الصمود الاجتماعي

يناقش الفصل السادس المجتمع الإسرائيلي في عام 2019، والذي تميز أولاً وقبل كل شيء بالآثار واسعة النطاق للأزمة السياسية المستمرة بعد جولتين من الانتخابات الوطنية والتحضيرات للجولة الثالثة في آذار/ مارس 2020.

تضمـن هذا المأزق الانتخابي عدم القدرة على تشـكيل حكومة ائتلافية، وقيد الأداء المنتظم للمكاتـب الحكوميـة وقدرة الحكومة الانتقالية على اتخاذ القرارات بشـأن القضايا الحرجة. بالترادف، تميز عام 2019 بتوسـيع الخلافات العامة الناجمة عن وجهات نظر عالمية متنوعة، خاصـة فيـما يتعلق بالتـوازن الضروري بـين القيـم الوطنية والدينيـة، والمثـل الديمقراطية والليبرالية والعلمانية.

وشـهد العـام الماضي أيضًا إضعافًا إضافيًـا لحسّ التضامن داخل المجتمـع الإسرائيلي. ويتضح ذلـك مـن خـلال الفجـوات الاجتماعيـة والاقتصاديـة بـين الأغنيـاء والفقـراء وبين الوسـط والأطـراف. بشـكل عام، يبدو أنه حتى لـو كانت إسرائيل دولة ذات متانـة داخلية كبيرة، فقد شـهد العام الماضي علامات أكثر إثارة للقلق تشير إلى اتجاه متسارع يتمثل في إضعاف التضامن الاجتماعي داخل الفئات الاجتماعية، وبين الفئات الاجتماعية والدولة، وبين الفرد والدولة.

في ظل ظروف النزاع العسـكري واسـع النطاق، من المتوقع أن تتـم تعبئة الجمهور وإظهار الدعـم لجيـش الدفاع الإسرائيـلي، كما كان الحال في المـاضي. ومع ذلك، فـإن النزاع طويل الأمـد والعـدد الكبير من الإصابـات والأضرار بالجبهـة الداخلية، دون الاسـتعداد المدني الـكافي، قـد يقوض القـدرة المجتمعية عـلى الصمود. يمكـن أن ينعكس هـذا في القدرات الاقتصاديـة والمدنيـة للدولة على إدارة الحيـاة اليومية بنجاح في أوقـات الطوارئ والحفاظ على الاستمرارية الوظيفية أثناء النزاع، بل ويمكن أن يعطل عملية التعافي اللاحقة. لذلك، يجب على إسرائيل أن تستثمر في جهود الإعداد على نطاق المنظومة، وفقًا لخطة بعيدة المدى، مـن أجـل تعزيز اسـتعداد الجبهة المدنية في إسرائيـل من خلال بناء وتمكـين آليات الصمود الجديدة والحالية.

الأقلية العربية

شـهدت العلاقـات الحساسـة لدولـة إسرائيـل مـع الأقليـة العربية العديـد مـن التقلبات والتغيرات العميقة.

تتشـكل العلاقـة من خـلال ثلاثة اتجاهات رئيسـية، محفوفـة بالتناقضـات الداخلية: أولاً، الطمـوح الواضح بـين العرب في إسرائيل، وخاصة بين جيل الشـباب، مـن أجل التكامل المـدني وحتـى السـياسي، إلى جانب رغبتهـم في الحفـاظ على هويـة وطنية منفصلـة. الثاني يكشـف العداء والمسـافة مـن جانب جزء كبير مـن الجمهور اليهودي تجـاه الأقلية العربية.

الاتجاه الثالث هو التنفيذ الناجح نسبيًّا لقرار الحكومة بشأن التنمية الاقتصادية لسكان الأقليات في إسرائيل 2016 – 2020 (القرار 922)، مما ساعد بالفعل في تسريع اندماج المجتمع العربي في النسيج الاجتماعي لإسرائيل. سيكون الاختبار الجوهري لعلاقات الدولة الحساسة مع القطاع العربي هو كيفية معالجة العنف المتزايد والجريمة داخل المجتمع. يعتمد النجاح المحتمل في هذا المجال الحاسم إلى حد كبير على الجهود المشتركة – التي لا تزال في مراحلها المبكرة – بين مؤسسات الدولة والمجتمع العربي وقيادته.

البيئة التشغيلية: قدرات جديدة للمحور الشيعي الراديكالي

الفصل السابع يناقش البيئة التشغيلية ويركز بشكل أساسي على القدرات العسكرية المحسنة لأعداء إسرائيل – خاصة أولئك الذين ينتمون إلى المحور الشيعي المتطرف – كما أكد هذا العام الهجوم الإيراني على المنشآت النفطية في المملكة العربية السعودية.

هذا التحسن ناتج عن العديد من جهود التعزيز العسكري المترابط: زيادة عدد الصواريخ والقذائف، من أجل تحسين قابلية البقاء التنظيمي ولإرباك أنظمة الدفاع الجوي الإسرائيلية؛ محاولة للتسلح بالصواريخ الموجهة بدقة والصواريخ التي يمكن أن تضرب المواقع المدنية الضعيفة (الكهرباء والغاز وغيرها من البنى التحتية الوطنية) والمواقع العسكرية الضعيفة (قواعد القوات الجوية ومواقع القيادة العسكرية)؛ الطائرات دون طيار وغيرها من المركبات دون طيار، أيضًا لغرض الضربات الدقيقة؛ تحسين تدابير الدفاع الجوي من أجل تحييد تأثير سلاح الجو الإسرائيلي، بالنظر إلى دوره المركزي المعروف في عقيدة إسرائيل القتالية؛ تحسينات في أنظمة الدفاع الساحلي والحرب البحرية؛ تطوير القدرات السيبرانية؛ وخطط لتشغيل القوات البرية في الأراضي الإسرائيلية، بما في ذلك مع أنفاق مهاجمة (تم الكشف عن بعضها وتحييدها هذا العام)، من أجل تعطيل القدرات الهجومية والدفاعية لجيش الدفاع الإسرائيلي وزيادة الأضرار التي لحقت بالجبهة الداخلية الإسرائيلية.

يبدو أن هذه الجهود العسكرية المتراكمة مرتبطة بتغيير أساسي أكثر في الفكر العسكري لأولئك الذين يرتبطون بالمحور الشيعي المتطرف. يقودهم هذا التغيير من عقيدة النصر القائمة على استنزاف السكان الإسرائيليين ("النصر من دون هزيمة") إلى عقيدة مختلفة تسعى أيضًا إلى إتلاف البنية التحتية الوطنية الإسرائيلية والقدرات العسكرية الأساسية من مختلف المناطق (لبنان، سوريا، العراق، وربما اليمن) من أجل تقويض النظام الإسرائيلي وإفقاده توازنه.

تتمثل التوصيات الرئيسية لهذا الفصل في وضع الصيغة النهائية لخطة متعددة السنوات للجيش الإسرائيلي وتمويلها؛ الاستعداد لحرب متعددة المجالات كسيناريو مرجعي أساسي؛ غلق الثغرات في توقعات الجمهور بالحرب في العصر الحالي، وتكلفتها، ونتائجها المحتملة؛ ومن منظور الخطة متعددة السنوات لجيش الدفاع الإسرائيلي ومنظور وطني أوسع، تعميق النقاش حول مفاهيم النصر والقرار العسكري في العصر الحالي – كل ذلك في إطار الإمكانيات التي توفرها التقنيات المتقدمة.

ديناميات التصعيد

هل يمكن جرّ طرفين غير مهتمين بالتصعيد إلى صراع واسع وحتى حرب؟ على الرغم من أن الاحتمالات منخفضة على ما يبدو، إلا أن التصعيد غير المقصود من الناحية العملية هو حقيقة تاريخية أدت حتى إلى بعض حروب إسرائيل (أحدثها "عملية الحافة الواقية"). يمكن أن ينتج التصعيد غير المقصود عن سوء تقدير للعدو، والتعريف الخاطئ لعتبة التصعيد، والانحرافات المفاهيمية في عملية صنع القرار. ترتبط هذه الصعوبة المتزايدة بالتمييز بين الأعمال الهجومية والدفاعية ومعضلة استخدام أو فقدان الأصول الأساسية. إن الطبيعة الدائرية للنشاط، الاستجابة والرد المضاد، قد تولد مثل هذا التصعيد، حتى لو كان يتعارض مع سياسات ومصالح الطرفين. يمكن أن يحدث هذا النوع من الديناميكية في عام 2020 في الساحة الشمالية وقطاع غزة.

ملخص الوضع الاستراتيجي لإسرائيل 2019 - 2020

التوجهات الإيجابية

من ناحية، يبدو الوضع الاستراتيجي لإسرائيل قويًا ومستقرًا. الردع الإسرائيلي للحرب راسخ وقوي، واحتمال وقوع هجوم واسع النطاق ومتعمد من قبل مختلف الأعداء لا يزال منخفضًا؛ لا توجد تهديدات وجودية جديدة ولا يزال التهديد التقليدي محدودًا؛ والتحالف مع الولايات المتحدة قويًّا ومتناميًا (خاصة في ضوء مقتل سليماني)، بينما تنجح إسرائيل في الحفاظ على علاقات جيدة مع روسيا والصين؛ نجحت إسرائيل في تأخير بعض الجهود الإيرانية للتوغل في الشرق الأوسط (ومقتل سليماني قد يزيد هذا الاتجاه)؛ التعاون مع الدول العربية البراغماتية راسخ، يتطور، وفي بعض الحالات علني؛ "إدارة" إسرائيل للقضية الفلسطينية من خلال فصل الضفة الغربية عن قطاع غزة لا تقيد حرية عملها

السياسية والعسكرية؛ مستوى الإرهاب الفلسطيني في الضفة الغربية منخفض نسبيًّا، وحماس ممنوعة من إظهار قوة كبيرة في قطاع غزة؛ الاقتصاد الإسرائيلي مستقر. وأصول إسرائيل في التكنولوجيا والعالم السيبراني ومكافحة الإرهاب معترف بها في الشرق الأوسط وفي جميع أنحاء العالم.

التوجهات السلبية

من ناحية أخرى، لم تنجح إسرائيل في ترجمة قوتها إلى إنجازات سياسية، وتفتقر إلى استراتيجية كاملة ومتماسكة لمواجهة التحديات الكثيرة وخصائصها المتنوعة. المحور الشيعي الراديكالي قوي، عدواني، ويستخدم مجموعة متنوعة من الوسائل ضد إسرائيل.

أظهرت إيران الجرأة في نشاطها العسكري وبرنامجها النووي؛ انخفض الاهتمام الدولي بالشرق الأوسط، ومعه، الاستعداد للمساعدة في حل المشكلات الإقليمية؛ هناك الكثير من التقلبات في النظام الفلسطيني، ويعزى ذلك جزئياً إلى الجمود السياسي تجاه السلطة الفلسطينية، والأزمة العميقة في قطاع غزة، والقيود المفروضة على الترتيبات مع حماس.

تقدم مشروع الصواريخ الدقيقة بقيادة إيران على الرغم من الجهود المبذولة لمنعه؛ زاد احتمال التصعيد على مسارح متعددة في أعقاب النشاط الإسرائيلي في الحملة بين الحروب، وفي هذا السياق بدأت إيران وحزب الله بالفعل في استخدام القوة العسكرية ردًا على النشاط الإسرائيلي؛ إن الصمود الاجتماعي الإسرائيلي في تراجع، والجبهة الداخلية ليست مستعدة لأضرار واسعة النطاق في نزاع عسكري؛ والأزمة السياسية المستمرة في إسرائيل تشل وتمنع إمكانية اتخاذ قرارات جادة.

التطورات المحتملة في عام 2020

وصول إيراني (أو "زحف بطيء") نحو الحالة النووية يقلل من الوقت الذي تحتاجه إيران للحصول على أسلحة نووية؛ بدء المفاوضات وربما حتى إبرام اتفاق محسّن ظاهريًا بين الغرب وإيران حول القضية النووية؛ "ديناميكية تصعيدية" غير مقصودة مقابل إيران وفي الساحة الشمالية بعد نشاط إسرائيلي أو أميركي في الحملة بين الحروب، مما قد يؤدي إلى صراع واسع النطاق وحتى إلى حرب؛

التقدم في مشروع حزب الله الصاروخي الدقيق، إلى حد بدء الإنتاج الصناعي على الأراضي اللبنانية؛ ممارسة القوة العسكرية ضد إسرائيل تحت إشراف إيراني من سوريا أو العراق أو اليمن؛

ممارسة القوة العسكرية الإيرانية من الأراضي الإيرانية ضد إسرائيل؛ انسحاب إضافي للقوات الأميركية من المنطقة، وزيادة في وجود روسيا ونفوذها؛ استمرار إعادة بناء النظام العسكري السوري، بما في ذلك في مجال الأسلحة الكيميائية؛ ترتيب مع حماس في غزة من شأنه الحد من ممارسة القوة الإسرائيلية، ويمكن أن يخلق أزمة مع السلطة الفلسطينية؛

زيادة إضعاف السلطة الفلسطينية إلى درجة الفوضى الحكومية في الضفة الغربية، مع مسألة خلافة عباس المعنية؛ أزمة إنسانية في قطاع غزة يمكن أن تقود حماس إلى ممارسة القوة غير المقيدة ضد إسرائيل؛ والتصعيد والنزاع على نطاق واسع ضد غزة في أعقاب نشاط الجماعات المارقة، على عكس موقف حماس.

خاتمة

من المعتاد افتراض أن الردع الإسرائيلي ضد النزاع واسع النطاق أو الحرب لا يزال مستقراً. في الواقع، فإن جميع الدول والمنظمات حول إسرائيل تدرك جيدًا قوتها والأضرار التي قد تتعرض لها في حالة حدوث مثل هذا الصراع. وبالتالي، يفضلون الامتناع عن الصراع على نطاق واسع مع إسرائيل وبالتأكيد من الحرب.

ومع ذلك، تشير بعض العوامل إلى أن مثل هذا الصراع يمكن أن يحدث مع ذلك في عام 2020: المبادرات الإشكالية من قبل بعض الأطراف (مشروع صواريخ حزب الله الدقيقة، والتوغل الإيراني في مختلف المجالات، وجهود حماس لفرض ترتيب على إسرائيل وفقًا لشروط المنظمة) قد تقود إسرائيل إلى الإجراءات الوقائية التي يمكن أن تؤدي إلى التصعيد؛ زيادة المخاطر في الشكل التشغيلي الحالي لإسرائيل في الحملة بين الحروب والتغيير في سياسة استجابة إيران وغيرها على الأعمال الإسرائيلية؛ صراع محتمل بين إيران والولايات المتحدة قد يشمل إسرائيل؛ والسنوات التي مرت منذ حربي عام 2006 (في لبنان) و 2014 (في غزة) التي تؤدي بشكل طبيعي إلى إضعاف عوامل التقييد والردع.

إلى جانب هذه التهديدات، يجب على إسرائيل مواجهة تحديات التأثير الأجنبي في العمليات السياسية؛ صعوبة توضيح الواقع واتخاذ القرارات في عصر "ما بعد الحقيقة" و"الأخبار المزيفة"؛ وحماية رأس مالها الفكري والتكنولوجي من التأثير الأجنبي.

لذلك تواجه إسرائيل العديد من الساحات النشطة وسلسلة من القضايا الاستراتيجية والتشغيلية الصعبة. يُظهر التقييم الاستراتيجي الحاجة الملحة لإستراتيجية إسرائيلية شاملة

ومكتملة معدلة تمكن من عرقلة التهديدات القائمة والناشئة دون التصعيد إلى صراع وحرب على نطاق واسع. تصف فصول التقييم السبعة، التي كتبها باحثون في المعهد، المواقف المعقدة في مختلف المجالات وتتضمن توصيات بشأن الإجراءات التي يجب على إسرائيل اتخاذها. يقدم الفصل الأخير، الذي أعده مدير المعهد اللواء (متقاعد) عاموس يادلين، سلسلة من التوصيات لتمكين إسرائيل من التعامل مع الصورة المعقدة، وتشكيل بيئتها التشغيلية، وتعزيز قدرتها على الصمود الداخلي، من أجل تحقيق أهدافها الأمنية الوطنية.

خاتمة: تقييم صافي وتوصيات السياسة لعام 2020
بقلم: عاموس يادلين

فجوة القوة

مع دخولها لعقد جديد، تمتلك دولة إسرائيل قوة عسكرية وسياسية وتكنولوجية واقتصادية مثيرة للإعجاب. ومع ذلك، فإن إسرائيل تعاني من ضغوط شديدة لترجمة هذه المزايا إلى تأثير استراتيجي وتحقيق أهدافها الرئيسية في الأمن القومي: التخفيف من التهديدات، دفع عجلة السلام، بناء التحالفات، وإملاء الشروط لإنهاء النزاعات بطريقة مرضية. ينتج هذا الواقع عن الفائدة المحدودة التي يمكن أن يوفرها العمل العسكري لإسرائيل ضد خصومها الرئيسيين، فضلاً عن حساسية إسرائيل العالية للضحايا والتكاليف الاقتصادية والاجتماعية الباهظة للحرب.

حتى عندما تحدد إسرائيل التحدي وتعرفه بشكل صحيح، فغالبًا ما تواجه صعوبة في صياغة استراتيجية فعالة وذات صلة، لأن النصر العسكري الساحق لا يترجم بالضرورة منجزات الحرب إلى أهداف سياسية. وبالمثل، فإن التعامل مع عواقب الحرب في "اليوم التالي لها" عمومًا لا يقل تعقيدًا عن إدارة العمليات العسكرية. إن التباين في أهداف الحملة وتوقعات الجمهور المعني (بالنسبة إلى خصوم إسرائيل، عدم الخسارة هو النصر، بينما يتوقع الجمهور الإسرائيلي انتصارًا حاسمًا) وكذلك الاختلافات في قواعد الاشتباك تجعل من الصعب تحقيق أهداف الحملة، أو على الأقل تتطلب تعيينهم بشروط الحد الأدنى.

الآثار المترتبة على مقتل سليماني

تم الانتهاء من التقييم الاستراتيجي لمعهد INSS للفترة 2019 – 2020 مباشرة بعد القتل

المستهدف لقاسم سليماني. هذا التطور يخلق سياقًا جديدًا ولديه القدرة على إثارة تغيير استراتيجي لم يتم تحديد نطاقه ومعلماته بعد.

فيما يتعلق بالولايات المتحدة، هل هذا التطور دليل على حدوث تغيير جوهري في السياسة الأميركية، يشير إلى تحرك نحو حملة عسكرية استباقية ضد النشاط الإقليمي لإيران؟ أم أنه كان إجراءً ملموسًا تم اتخاذه للأغراض الوقائية والردع من خلال فرض خسائر فادحة على أنشطة العناصر الموالية لإيران، تحت إشراف سليماني، والتي بلغت ذروتها بوفاة مواطن أميركي (27 كانون الأول/ ديسمبر 2019) واقتحام السفارة في بغداد بعد أربعة أيام.

لقد اضطرت إيران إلى تقييم خياراتها رداً على الخطوة الأميركية دون مشاركة من سليماني، الذي كان مسؤولاً عن التفكير التحليلي والتخطيط لأنشطة من هذا النوع في الساحة الإقليمية. إن رد إيران المحدود والموزون على مقتل سليماني يشهد على فهم طهران بأن الرئيس ترامب لا يمكن التنبؤ به؛ إدراكها لضعفها العسكري التقليدي بالنسبة للولايات المتحدة؛ وتفضيلها لتحركات سياسية لطرد الولايات المتحدة من العراق بدلاً من الإجراءات العسكرية. وفي الوقت نفسه، من المبكر للغاية تقييم تأثير القضاء على سليماني على صلات إيران بوكلائها الإقليميين وعلى العزم والوقاحة الإيرانية في الأشهر الأخيرة.

التوازن الاستراتيجي

كانت إسرائيل مشغولة بحملتين انتخابيتين في عام 2019 وبالكاد بدأت في اتخاذ أي تدابير لتحسين موقعها الاستراتيجي. انخرطت الحكومة في خطوات مثل الاحتفال باعتراف إدارة ترامب بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان – بعد اعترافها بالقدس عاصمة لإسرائيل في أواخر عام 2017 – ولكن كان هناك ركود وحتى تراجع كبير فيما يتعلق بقضايا جوهرية للأمن الإسرائيلي. في الصورة الإستراتيجية الشاملة، تغيرت عناصر كثيرة نحو الأسوأ.

أحد التطورات السلبية هو تضييق الفجوات التكنولوجية وتآكل ميزة إسرائيل النوعية على أعدائها. أوضح تعبير عن هذه الظاهرة هو مشروع الصواريخ الإيرانية الدقيقة، الذي أنشأ قدرات للإنتاج والترقية؛ حزب الله لديه بالفعل عشرات الصواريخ الدقيقة تحت تصرفه.

يمكن وصف الساحة الفلسطينية بأنها مأزق سياسي، يتضمن عدم وجود اتصال تام بين القدس ورام الله. في هذه الأثناء، في غزة، تواصل حماس والجهاد الإسلامي تعزيزهما العسكري. تتحمل

المجتمعات الإسرائيلية القريبة من حدود غزة حصيلة النزاع المستمر؛ والمنظمات الإرهابية تهدد بشل الحياة اليومية لأكثر من نصف سكان إسرائيل، بما في ذلك منطقة تل أبيب.

يشير المنظور الأوسع إلى أن علاقات إسرائيل مع العالم العربي السني لا تتقدم – وربما حتى العكس هو الصحيح. لم يتحقق أي تقدم دبلوماسي مع دول الخليج في عام 2019؛ التدهور التدريجي للعلاقات مع الأردن مستمر؛ تعاني ميزانية إسرائيل من عجز كبير، والحاجة إلى زيادة ميزانية الدفاع بسبب تدهور الوضع الاستراتيجي لإسرائيل تؤدي فقط إلى تفاقم المشكلة. أخيرًا، نظرًا إلى الداخل، فإن المجتمع الإسرائيلي منقسم والحكومة مشغولة بحملات انتخابية غير حاسمة، مما يؤدي إلى إهدار الموارد، والشلل المؤسسي، وعدم القدرة على صياغة الإستراتيجية واتخاذ القرارات بشأن القضايا المركزية.

ومع ذلك، هناك بعض التغييرات الإيجابية في البيئة العالمية والإقليمية التي لديها القدرة على تحسين حالة الأمن القومي لإسرائيل. ظهرت علامات موجة ثانية من الاضطرابات في الشرق الأوسط في عام 2019، خاصة في الأشهر الأخيرة، وهذه المرة بشكل رئيسي في الدول الموجهة نحو إيران (العراق ولبنان) وحتى في إيران نفسها. يمكن أن يؤدي الضغط الاقتصادي المستمر على إيران إلى تخفيض الموارد المتاحة لأنشطتها النووية والإقليمية.

لم تنسحب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط بالكامل (بقيت القواعد والجنود في الخليج قائمة، وتم نشر قوات إضافية في المنطقة بعد مقتل سليماني)، وفي هذه المرحلة تستمر إسرائيل في التمتع بعلاقات مع إدارة ودية التي ترى الأمور بشكل متشابه إلى حد كبير بالنسبة للأحداث في المنطقة وتؤيد المصالح الإسرائيلية.

إن العزلة الجزئية التي تحتضنها الولايات المتحدة، على الرغم من مخاطرها على إسرائيل، قد ترفع في نهاية المطاف مكانة إسرائيل وقيمتها في أعين القادة في الولايات المتحدة وكذلك الدول العربية البراغماتية. بالإضافة إلى ذلك، وضعت إسرائيل نفسها كلاعب أساسي في المسرح السوري، وتوصلت إلى اتفاق من حيث المبدأ مع الولايات المتحدة وروسيا فيما يتعلق بضرورة إزالة القوات الإيرانية من سوريا – على الرغم من أن الاتفاق لم يترجم حتى الآن إلى واقع عملي.

أخيرًا، يبدو أن هناك علامات على تفاهمات ناشئة في النظام الفلسطيني. يبدو أن السلطة

الفلسطينية في الضفة الغربية تدرك أن حل النزاع لن يفرضه النظام الدولي، وأن حماس، التي تسيطر على قطاع غزة، استوعبت أن الإرهاب لن يحل النزاع.

تقييمات

عند النظر في ومقارنة التطورات الإيجابية والسلبية في العام الماضي، تظهر العديد من الأفكار.

الأولى هي الوعي بأن الارتباك الاستراتيجي الإسرائيلي يمنع الخطاب السياسي البناء على مستوى القيادة الوطنية. أدت حملتان انتخابيتان في عام 2019 وعدد كبير من المفاوضات لتشكيل الحكومة إلى الفشل في صياغة مفاهيم أمنية حديثة.

الثانية هي الفهم الواضح بأنه بعد استنفاد الحملة بين الحروب في الساحة الشمالية، يشير السلوك الإسرائيلي الحالي إلى التصعيد. يتطلب ذلك ضبط الأدوات والأساليب والساحات وسرعة العمليات، مع التعديلات المطلوبة في إعداد الموارد وتخصيصها.

ثالثاً، تتطلب ظروف اليوم مناقشة مبدئية لمدى أهمية الهجوم الوقائي، لاسيما ضد مشروع الصواريخ الإيرانية الدقيقة في لبنان وسوريا.

مفاهيم الأمن القومي الأساسية: القواعد الإرشادية لعام 2020

الردع – بالنظر إلى ديناميات التصعيد والتحديات المتعددة "تحت عتبة الحد"، هل ما زال هذا المفهوم قابلاً للتطبيق أم لا؟ هل تم بالفعل إضعاف عناصر الاستقرار؟

التصعيد – هل السياسة الحالية تؤدي إلى التصعيد؟ ما هي صورة التصعيد (أيام من العراك، الصراع واسع النطاق، الحرب)؟ ما هي الاختلافات والحدود بين الساحات المختلفة؟ ما الذي يمكن أن ينتج عن التصعيد؟

الهجوم الوقائي – هل الهجوم الوقائي ضروري بالنظر إلى التهديد الناشئ على الجبهة الشمالية؟ ما هي المتطلبات الأساسية لمثل هذه الخطوة؟ ماذا سيكون الوقت الصحيح؟ ما الإنجازات التي يجب أن تنتج؟ ما الآثار المترتبة على ذلك؟

الترتيب – هل هناك طريقة لإبطال التهديدات دون نزاع؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو الشكل الصحيح لكل مسرح؟ ما هي التكاليف الفورية وطويلة الأجل المبررة للترتيب؟

القـرار – مـاذا يعني هذا؟ هـل القرار الواضح والمطلق ممكن في عـالم اليوم؟ كم من الوقت سوف يستغرق؟ بكم التكلفة؟ كيف يمكن تحقيق ذلك؟

الحاجة إلى استراتيجية إسرائيلية كبرى جديدة

بعـد عقد ونصف من الركود في التفكير الاسـتراتيجي، يجب تحديث اسـتراتيجية إسرائيل الكـبرى. يجـب على الحكومـة الإسرائيليـة الجديدة أن تقـود عملية تجديد مفهـوم إسرائيل الأمني وسياستها الدفاعية، مع التركيز على النقاط التالية:

إدراك الشـد والجـذب بين الأهمية والإلحـاح: يجب أن تكـون الأمور العاجلـة (قطاع غزة والتراكم الإيراني في سـوريا) ذات أولوية أقل من الأمور المهمة – المشروع النووي الإيراني ومشروع الصواريخ الدقيقة في لبنان.

في أي حالة من التدهور أو التصعيد، يجب أن يكون من الواضح مَنِ الذي يجب استهدافه: قوات الوكلاء الإيرانيين، أم الدول المضيفة، أم إيران نفسها.

مـن الضروري تحليـل النجاحات والإخفاقات على مـدار العقدين الماضيـين؛ لدمج البعد السـياسي وبعـد الشرعيـة في التفكير الاسـتراتيجي؛ لصياغـة آليات التواصـل قبل اندلاع النزاع؛ لوضع استراتيجيات وآليات الخروج؛ وللتعامل مع قضايا الحشد العسكري.

فيـما يلي عشر توصيات مركزيـة للحكومة الإسرائيلية الجديدة مسـتمدة مـن النظرة العامة أعلاه – بعضها يتطلب مناقشة فورية والبعض الآخر أقل إلحاحًا، وإن كان ربما أكثر أهمية. قبل كل شيء هي التوصية الأساسية للحاجة إلى صياغة استراتيجية كبرى محدثة لإسرائيل. يجب توضيح المفاهيم الأساسـية مثل الردع والقـرار والتصعيد والهجوم الوقائي والترتيب السـياسي. يجب أن تقود حكومة جديدة في إسرائيل عملية تجديد المفهوم الأمني والسياسـة الأمنية.

1. برنامج إيران النووي

اسـتند انسـحاب الولايـات المتحـدة مـن الاتفـاق النـووي الإيـراني (JCPOA) وتجديـد العقوبـات إلى توقـع حـدوث أحـد السـيناريوهات الثلاثة التاليـة: انهيار النظـام الإيراني؛ تغيير في سـلوكها؛ أو هجوم أميركي على إيران رداً على التقدم الإيراني نحو العتبة النووية. لم تتحقـق هـذه السـيناريوهات الثلاثة ومن غـير المرجح أن تتحقق في المسـتقبل، حتى بعد سلسـلة من الاسـتفزازات الإيرانية في المجال التقليدي أدت بالولايات المتحدة إلى مهاجمة

قواعد الميليشيات الشيعية في العراق وسوريا وقتل قاسم سليماني.

يجب على إسرائيل أن تستعد لسيناريوهات أكثر واقعية – تجدد المفاوضات (الآن أقل احتمالاً بعد مقتل سليماني)؛ اتجاه إيران نحو العتبة النووية؛ والتصعيد بين إيران والولايات المتحدة، خاصة بعد القتل المستهدف، والذي قد يشمل إسرائيل. تتطلب هذه الاحتمالات تنسيق التفاهمات الوثيقة واستراتيجية مشتركة بين إسرائيل والولايات المتحدة.

في حالة المفاوضات بين الولايات المتحدة وإيران، من الضروري أن تكون إسرائيل متفقة مع واشنطن بشأن محتوى صفقة نووية محسنة مع إيران مقارنة باتفاقية عام 2015، إلى جانب التوصل إلى "اتفاق موازٍ" بشأن سياسة مشتركة ضد إيران وعلى استراتيجية للتعامل مع التقدم الإيراني التدريجي نحو الأسلحة النووية. بالترادف، من المهم أن ندرس مع الولايات المتحدة كيفية مساعدة الشعب الإيراني الذي يثور ضد النظام.

ومع ذلك، يجب على إسرائيل أن تستعد لاحتمال أن تكون الولايات المتحدة غير مهتمة أو مشتتة وأن تترك وحدها للتعامل مع القضية النووية الإيرانية، وبالتالي يجب عليها أن تضمن وجود خيار عسكري موثوق به. يعد بناء مثل هذا الخيار عملية صعبة تتطلب تحويل الموارد عن الأمور المهمة الأخرى وتخصيصها لتعزيز قدرات الضربات الهجومية.

2. تعزيزات إيران في سوريا ومشروع الصواريخ الدقيقة

نجاح إسرائيل في منع تعزيزات إيران في سوريا في 2018 و2019 هو نسبي ومؤقت وليس نهائيًا. من الخطأ أيضًا الحفاظ على نفس الإطار الاستراتيجي بينما يتغير الواقع. لقد تم تحويل التعزيز الإيراني إلى حد كبير إلى العراق ولبنان، حيث الساحات التي يصعب على إسرائيل العمل فيها، وقد دعمتها سياسة رد أكثر وضوحًا وسرعة من جانب طهران (على الأقل حتى اغتيال سليماني).

من المهم الآن إدراك الأهمية المتناقصة للحملة بين الحروب ووضع حل عملي ضد العناصر الأساسية للتعزيزات في لبنان والعراق، ومن أهمها مشروع الصواريخ الدقيقة. اتخاذ خطوات لتحقيق هذه الغاية ينطوي على احتمال تصعيد كبير.

يشكل تهديد مئات أو آلاف الصواريخ الدقيقة من لبنان وسوريا والعراق وإيران تهديدًا استراتيجيًا من الدرجة الأولى، إذا لم يتم التعامل معه في الوقت المناسب، فقد يتطور إلى تهديد وجودي. هذا هو نوع التهديد الذي يتطلب دراسة متعمقة وتجب معالجته بواسطة

مفهوم إسرائيل الأمني. هناك خمس استراتيجيات محتملة للتعامل معها:

استمرار الحملة بين الحروب – التشويش والتأخير، وفيها يكون منع التصعيد أولوية، ومفهوم أن هذا يعالج المشكلة جزئياً فقط مع تقلص العائدات والنتائج.

استراتيجية دفاعية نشطة وسلبية – تحسين الفعالية وشراء بطاريات وأجهزة اعتراضية إضافية: أنظمة (Arrow وDavid's Sling وIron Dome)؛ وتحسين مرونة وصمود البنية التحتية الحيوية. العيب الواضح هو التكلفة والحقيقة أنه لا يقدم حلًا شاملًا أو فعالًا بالكامل.

الردع – تهديد واضح وصريح بأن إسرائيل سترد بكل قوة على أي هجوم على بنيتها التحتية وجيش الدفاع الإسرائيلي. النقطة الضعيفة في هذه الاستراتيجية هي قدرة العدو، بعد تجميع مئات أو آلاف الصواريخ المتقدمة، على المضي في استراتيجية "الضربة الأولى" لتدمير مكونات قوة جيش الدفاع الإسرائيلي التي تشكل جوهر الردع الإسرائيلي.

ضربة وقائية – هجوم قائم على أساس الفهم أن حزب الله يستعد في المدى القريب لمهاجمة إسرائيل. عيب هذه الاستراتيجية هو ضباب المخابرات واستعداد حزب الله العالي للحرب في تلك المرحلة.

الهجوم الوقائي – هجوم مفاجئ فعال ومباشر على الأصول التشغيلية والإنتاجية والتخزينية للعدو، مما يهدد بالتصعيد إلى حرب واسعة النطاق. ينبغي مناقشة شرعية هذه الخطوة.

كل هذه الاحتمالات ليست حصرية، وضرب المزيج الصحيح منها يمكن أن يوفر استجابة مناسبة لأخطر تهديد يمثله مشروع الصواريخ الدقيقة.

3. "الحرب الشمالية الأولى"

يجب على جيش الدفاع الإسرائيلي ضمان الاستعداد لحرب متعددة المجالات ("سيناريو إطلاق النار على جميع الجبهات") كإطار مرجعي. انتهى العصر الذي ستواجه فيه إسرائيل خصمًا واحدًا في ساحة واحدة. تبعًا لذلك، يجب على جيش الدفاع الإسرائيلي إعادة تقييم وربما إعادة تحديد مفاهيم مثل "القرار"، "النصر"، وإنكار قدرات العدو. يجب أن تمكن القيادة السياسية من تعزيز القوة الإسرائيلية والاستعداد للقتال ضد ثلاثة كيانات في الشمال – حزب الله وإيران وسوريا – بالتزامن مع الكفاح ضد المنظمات الإرهابية من غزة في وقت واحد.

يتطلب سيناريو "إطلاق النار على جميع الجبهات" التفكير في الأولويات والربط بين الساحات والواجهات المعنية والإنجاز المطلوب على كل جبهة. يشارك معهد INSS في البحث حول هذه القضية، وسيقدم نتائجه وتحليلاته إلى صناع القرار في النصف الثاني من عام 2020. بالإضافة إلى ذلك، يجب توجيه الجهود لتحديث توقعات الجمهور فيما يتعلق بالتهديد الذي تواجهه إسرائيل، وحتى أكثر من ذلك – فيما يتعلق بالردود الممكنة.

4. السلطة الفلسطينية

لا تزال خطة معهد INSS، التي نُشرت لأول مرة في تشرين الأول/ أكتوبر 2018، هي الطريقة المثلى للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني. ويشمل محاولة إضافية للمفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية، وفي حال فشلها، السعي إلى اتخاذ خطوات مستقلة للحفاظ على شخصية إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية وآمنة وأخلاقية. من الأهمية بمكان الاستعداد لليوم الذي يلي انتهاء حكم محمود عباس، مع الاستمرار في تشجيع التنمية الاقتصادية في السلطة الفلسطينية.

إن نشر خطة ترامب، التي ستحاول وضع معايير جديدة للاتفاق والاعتراف بالواقع الذي تم إنشاؤه على مدار الخمسين سنة الماضية، أمر مهم للغاية.

5. المنظمات الإرهابية في غزة

كما لاحظ المعهد في عام 2018، أنه قد يكون من الممكن التوصل إلى ترتيب مع حماس. في تخطي القتال في عملية الحزام الأسود بين إسرائيل والجهاد الإسلامي في تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، أبدت حماس اهتمامها بترتيب كجزء من حراكها لإعطاء الأولوية للوضع الاقتصادي والاجتماعي في غزة فوق خلاف آخر مع إسرائيل. ومع ذلك، فإن المنظمة تتحدى إسرائيل في كثير من الأحيان بمستويات منخفضة من إطلاق الصواريخ والاحتكاك على طول السياج الحدودي، بسبب الاعتبارات المحلية ولغرض استخراج تنازلات من إسرائيل.

لا يمكن وقف إطلاق النار على المدى الطويل إلا إذا تمت تلبية المطالب الاستراتيجية (وليس الإيديولوجية) لكلا الجانبين. ستحصل حماس على فتح غزة أمام العالم وإعادة بنائها وتطويرها، وستحصل إسرائيل على استعادة الهدوء في الجنوب، وآليات لضمان

منع التعزيز العسكري والتهريب للجماعات الإرهابية، والحل المعقول لمسألة الأسرى والمفقودين الإسرائيليين.

إذا لم يتم التوصل إلى أي ترتيب، فإن توصية المعهد منذ عام 2012 كانت لتخطيط وإجراء حملة عسكرية تختلف اختلافًا جوهريًا عن حملات العقد الماضي. يجب أن تفاجئ، وتناور، وتركز علي الجناح العسكري لحماس – وتنتهي بعملية سياسية من أجل التوصل إلى ترتيب من موقف القوة.

6. الولايات المتحدة الأميركية

يمكن أن تغير الانتخابات الأميركية الواقع الحالي عن طريق استبدال إدارة صديقة لإسرائيل بإدارة لديها مشاكل معها. في مواجهة تجاه الانعزالية الأميركية، التي تعبر خطوط الأحزاب، يجب على إسرائيل التأكيد مرارًا وتكرارًا على أنها لا تريد من الولايات المتحدة أن تقاتل وتسفك الدماء دفاعًا عن إسرائيل؛ وبصفتها حليفًا استراتيجيًا موثوقًا لواشنطن، من مصلحة الولايات المتحدة دعم إسرائيل عسكريًا وسياسيًا.

يجب على إسرائيل أن تبذل قصارى جهدها للعودة إلى وضعها كقضية توافق واسع في الآراء بين الديمقراطيين والجمهوريين على حد سواء. يجب على إسرائيل أيضًا بذل جهد كبير لاستعادة العلاقات الوثيقة مع شريحة كبيرة من السكان اليهود الأميركيين الذين أصبحوا معزولين جزئيًا نتيجة للسياسات الإسرائيلية غير المهتمة بمجموعة متنوعة من الطوائف اليهودية في الولايات المتحدة.

7. روسيا والصين

روسيا ليست عدوًا لإسرائيل، ويجب مواصلة الحوار الاستراتيجي بينهما لمنع حدوث أي تصادم في الأماكن التي تعمل فيها القوات العسكرية للبلدين على مقربة وتتباين فيها مصالحهما. كحليف لاثنين من أعداء إسرائيل، إيران وسوريا، تغض روسيا النظر عن تعزيزات حزب الله. إن متابعة وعد روسيا بإزالة القوات الإيرانية من سوريا يمكن أن يدل على احتمال قيام علاقات أوثق بين روسيا وسوريا، مما قد يؤدي إلى مزيد من القيود على حرية إسرائيل في العمل في سوريا. في أي حال، كما هو الحال مع الصين، يجب على إسرائيل أن تعمل بصراحة وبالتعاون الوثيق مع الولايات المتحدة في المسائل المتعلقة بروسيا.

في الواقع، يتطلب تطوير إسرائيل للعلاقات الاقتصادية مع الصين تنسيقًا عميقًا مع

واشـنطن، حتى لا يُسـمح للأولى بإحداث احتكاك في علاقة إسرائيـل المهمة والخاصة مع الأخيرة. في السنوات الأخيرة، أشار المعهد إلى أزمة متنامية مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بعلاقات إسرائيل مع الصين والحاجة إلى تعزيز آليات إدارة المخاطر.

8. النظام الإقليمي

لكسر السـقف الزجاجي في علاقاتها مع العالم السـنّي البراغماتي، خاصة دول الخليج، يجب على إسرائيل أن تكيف جهدين متوازيين: الأول هو تسـويق قدرات إسرائيل التكنولوجية والاقتصادية والدفاعية التي يمكن أن تسـاعد هذه الدول في نضالها ضد العوامل المزعزعة للاسـتقرار مثل إيران وفي مواجهة التحديات الاقتصاديـة وتحديات الابتكار في تحولهم إلى القرن الحادي والعشرين. والثاني هو إحراز تقدم كبير في القضية الفلسـطينية، مما سـيمكن هذه الدول من تطوير علاقات أعمق وأكثر عمومية مع إسرائيل.

بالتوازي مع هذا الجهد ومما له الأهمية القصوى أن تتم إعادة تنشيط العلاقات مع الأردن. هنا أيضًا، تتطلب "ثمار السلام" (المياه والأمن والغاز والمشروعات المشتركة) تقدمًا سياسيًا مع الفلسـطينيين. سـتكون هذه الخطوات مفيدة في التغلب على أدنى نقطة في العلاقات بين الدولتين منذ توقيع اتفاقية السلام في عام 1994.

9. زيادة استعداد جيش الدفاع الإسرائيلي وزيادة ميزانية الدفاع

بالنظـر إلى الوقاحـة المتزايـدة لإيـران واسـتمرار توغلهـا في سـوريا والعراق ولبنـان، من الضروري تحسـين اسـتعداد جيش الدفاع الإسرائيلي للصراعات في جميع المسـارح – إيران وحزب الله وسوريا والجبهة الفلسطينية – والتي كلها متقلبة بدرجات متفاوتة.

مـن المهم وضع اللمسـات الأخـيرة على خطة جيـش الدفاع الإسرائيلي المتعددة السـنوات وتمويلهـا، وبـدء عمليـات الاسـتحواذ باسـتخدام أمـوال المعونـة العسـكرية الأميركيـة (التـي تأخـرت لمـدة عامـين)، لتعزيز القـدرات للقضـاء على البرنامـج النـووي الإيراني، ولتعزيـز التدريـب وملء المخزونـات، وعلى وجه الخصـوص، العمل عـلى صياغة خطط واسـتراتيجيات تشغيلية مناسـبة فيما يتعلق بالقدرات وأسـاليب العمل التي طورتها إيران وحزب الله وحماس.

10. الحفاظ على التفوق

يتمثـل العنـصر التقليـدي الأسـاسي في عقيدة الدفـاع الإسرائيليـة في الحفاظ عـلى التفوق

الاستخباراتي والجوي والتكنولوجي على أعدائها. يجب أن تواصل إسرائيل تعزيز ميزتها النسبية على خصومها في الأمن السيبراني وتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، كطريقة لتعزيز التفوق العسكري النوعي لإسرائيل وكعنصر أساسي في تعزيز الردع والقوة الناعمة والاقتصاد والمكانة الدولية.

خاتمة

بعد عدة سنوات من التحسن في الوضع الاستراتيجي لإسرائيل، يبدو أن "نافذة الفرصة" الاستراتيجية، التي لم يتم استغلالها بما فيه الكفاية، قد أغلقت. تتطلب التهديدات المتزايدة إعادة التفكير في مفهوم إسرائيل الأمني، وسياسة الدفاع، وتخصيص الموارد، والاستراتيجيات الحديثة.

هناك طريقتان محتملتان لاستراتيجية إسرائيل: إحداهما حذرة ومستقرة – التأكيد على الحوار والترتيبات والتعامل مع التهديدات القائمة والنامية، من أجل تحييدها حتى لا تتحقق؛ والثانية استباقية ووقائية هجومية، وتواجه التهديدات وتزيلها ولكن يمكن أن تؤدي إلى الحرب في ساحات متعددة.

إن الشرط المسبق لاختيار النهج الصحيح هو وجود أساس داخلي متماسك داخل إسرائيل، مع التركيز على التضامن الاجتماعي والوطني والصمود. في نهاية عام من الخطاب الانقسامي والتحريض وزيادة المسافة بين قطاعات المجتمع الإسرائيلي، حان الوقت لسياسة مختلفة.

يجب أن يكون هناك تركيز على العمل لاستعادة الثقة في مؤسسات الحكم، وتضميد الخلافات، والجمع بين مختلف المعسكرات، وزيادة التضامن، وإطلاق جهد منظم لتعزيز آليات الصمود والمرونة الاجتماعية القائمة وبناء آليات جديدة.

يجب على الحكومة الإسرائيلية المقبلة صياغة نهج متكامل يعالج ظهور تهديدات كبيرة وفي الوقت نفسه يعمل علي إطلاق عمليات سياسية والتوصل إلى ترتيبات لتخفيف التوترات. هذا سيجعل من الممكن الاستعداد للتحديات الكبيرة التي تهدد أمن إسرائيل وازدهارها في المستقبل.

Editors

Brig. Gen. (ret.) ItaiBrun, INSS Deputy Director for Research and Analysis

Col. (res.) ItaiShapira, independent researcher

INSS Authors (in alphabetical order)

Dr. Yehuda Ben Meir, senior research fellow

Remi Daniel, Neubauer research associate

Brig. Gen. (ret.) UdiDekel, Managing Director

ShaharEilam, research fellow

Brig. Gen. (ret.) Dr. Meir Elran, senior research fellow

Dr. OdedEran, senior research fellow

Dr. Shmuel Even, senior research fellow

Dr. Sarah Feuer, research fellow

Dr. YoelGuzansky, senior research fellow

Brig. Gen. (ret.) Dr. SasonHadad, senior research fellow

Ari Heistein, research fellow

Dr. Zipi Israeli, senior research fellow

Dr. AnatKurz, Director of Research

Dr. Emily B. Landau, senior research fellow

Dr. Gallia Lindenstrauss, senior research fellow

Orna Mizrahi, senior research fellow

RotemOreg, research assistant

Brig. Gen. (ret.) Assaf Orion, senior research fellow

Dr. CarmitPadan, research fellow

Yoram Schweitzer, senior research fellow

Col. (ret.) Adv. PninaSharvit Baruch, senior research fellow

Col. (ret.) EldadShavit, senior research fellow

Sima Shine, senior research fellow

NoaShusterman, research assistant

Dr. CarmitValensi, research fellow

Dr. Ofir Winter, research fellow

Maj. Gen. (ret.) Amos Yadlin, Director

Dr. RazZimmt, research fellow

أنا والقدس وما حولي وحولها

مقاطع من سيرة الكاتب والروائي المقدسي «محمود شقير»[1]

كانت لي في البيوت التي سكنتها أثناء عملي في التدريس حياة موزَّعة على النشاط السياسي الذي تزايدت وتيرته بعد انتسابي للحزب، وعلى القراءة والكتابة؛ وإنْ كان ذلك بنسبٍ متفاوتة خاصَّة بكلِّ بيتٍ من هذه البيوت.

عام 1966م - سكنتُ في بيت قريب من دوَّار المنارة.

كان ذلك العام قاسيًا جرَّاء حملة الاعتقالات الواسعة التي قامت بها أجهزة الأمن الأردنيَّة ضدّ الشيوعيِّين والقوميِّين العرب والبعثيِّين. كنتُ أحرص لدى خروجي من البيت لحضور اجتماع حزبيّ على تجنُّب المشي في الشوارع الرئيسة في المدينة، حيث يكثر رجال المباحث الذين يرصدون كلّ حركة من حركات الناس. كنتُ أختار الشوارع الفرعيَّة للسير فيها، أمضي مسرعًا إلى الاجتماع في بيتٍ منعزل في أحد أحياء رام الله.

أمكثُ في الاجتماع الذي كان يقوده الرفيق عبد الحليم شتات ساعة أو ساعتين؛ ثمَّ أعود ومعي أعداد من جريدة الحزب السريَّة: «**التقدُّم**» (كان اسمها في السابق «الجماهير»، ولمّا لاحظت قيادة الحزب أنَّ ثمَّة تنمية ظاهرة للعيان في الإعمار وغيره طرأت على الأردن في

(1) من كتاب سيصدر قريبًا عن دار نوفل في بيروت.

النصف الأوّل من ستينيَّات القرن العشرين، صار اسمها «التقدُّم»، وحين وقع انشقاق في الحزب في العام 1970، قال جناح الأكثريَّة إنّ تلك التنمية كانت شكليَّة ولا يعوَّل عليها). أقوم بإخفاء الجريدة في مكان آمن في البيت ريثما أوزِّعها على أصدقاء؛ أتوقَّعُ أنَّني سأضمّهم إلى صفوف الحزب بعد وقتٍ قد يقصر وقد يطول.

كان محمّد البطراوي يأتي لزيارتي بصحبة زوجته عايدة كي لا تثير زيارته شبهات رجال المباحث. يوصل الرفيق وزوجته لي رسالة ما من الحزب ثمَّ يغادران.

وكنت أخشى أن تطولني حملة الاعتقالات في تلك السنة؛ إلا أنَّني نجوتُ من الاعتقال، ولربّما كانت تلك مسألة حظّ، أو ربّما لم يكن لي ملفٌّ حتّى ذلك الوقت في دوائر المخابرات.

***

أنظرُ من بعيد إلى تلك السنوات.

كانت حافلةً بالآمال وبالتطلُّعات، وبالإقبال على الحياة رغم كلّ شيء.

كان رجال المباحث آنذاك يرتدون كوفيَّات بيضاء أو حمراء، وجاكيتات عريضة، وتحت الجاكيتات مسدّسات.

وكنتُ أنا أيضًا أرتدي بدلات لها جاكيتات عريضة.

كان أوَّل عهدي بالبدلات عندما عُيِّنت معلّمًا في عام 1959م. اقتنيتُ بدلتين؛ الجاكيت في كلّ منهما عريض ملتفٌّ بأزرار، والبنطال له من أسفله ثنيتان.

كان هذا يعني توديع بناطيل الكاكي والمخمل التي لازمتني طوال سنوات المدرسة، وكنتُ أتباهى بارتداء البدلة وأكسر من باب التنويع المنطق الخاصّ بتناسق الألوان، فأرتدي بنطال البدلة وفوقه جاكيت البدلة الأخرى، غير مكترثٍ لعدم انسجام لون الجاكيت مع لون البنطال.

الآن؛ مع بدايات الألفيَّة الثالثة لم أعد أطيق ارتداء البدلات.

أشعرُ بأنّ البدلة تضطرّني إلى ارتداء ربطة عنق، وهي تجعلني رسميًّا أكثر ممَّا ينبغي؛ لكنَّني لا أستطيع التخلّي عن الجاكيت حتّى في عزِّ الصيف؛ لأنَّني في هذا العمر لا أشعر بارتياح لدى خروجي إلى أيِّ مكان وأنا أرتدي القميص ذا الكمّ القصير، أو حتّى الكمّ الطويل، وفي أغلب أيّام الصيف أرتدي السترة الخفيفة فوق القميص.

الآن؛ أحرصُ على أناقةِ ملابسي.

أحبِّذ ارتداء الجاكيت السبور والبنطال الذي له لون مقارب للون الجاكيت.

ولا أفكِّر في امتهان الجيوب الخارجيَّة للجاكيت.

في زمنٍ سابق كنتُ أستخدمُ هذه الجيوب بوصفها مستودعات للنقود المعدنيَّة وللأوراق، حيث تترهَّل الجيوب مع الزمن وتصبح الجاكيتات مثيرة للشفقة والرثاء. أمَّا الجَيْب الذي عند الصدر جهة اليسار فقد كان مكرَّسًا لأقلام الحبر السائل والحبر الناشف؛ أو لمنديلٍ أبيض يطلُّ جزءٌ منه على شكل مثلَّث من طرف الجيب العلويّ في بعض الأحيان.

الآن؛ أترك الجيب العلويّ للجاكيت عاطلًا من وظيفته السابقة، وأترك الجيبين الجانبيّين على حالهما، فيظلُّ الجاكيت مشدود الهيئة متناسق القوام.

وكم أشفق على من أراهم من الناس بجاكيتاتٍ متهدِّلة الجيوب؛ منتهكة، مُهانة على نحوٍ فظيع!

***

وكنت؛ شأني في ذلك شأن غيري من الناس، أستخدمُ مناديل من قماش لمسح العرق عن الوجه والجبين، وللتمخّط أو لتنشيف اليدين بعد غسلهما بالماء. للمنديل (المَحْرَمة) شكل مربّع وله ألوان شتّى. كنتُ أحتفظ على الدوام بمنديل في جيب البنطال، وآخر من باب الاحتياط في البيت.

وكنتُ أشعر باستياء حين أرتدي بنطالًا آخر غير الذي كنت أرتديه؛ ناسيًا التوفّر على منديل نظيف، فأغدو كمن أضاع شيئًا لا يمكن الاستغناء عنه، وأظلُّ غير مستقرٍّ على حال كلَّما لامستُ جيب البنطال ووجدته فارغًا.

الآن لم أعد أستخدم مناديل القماش، بل المناديل الورقيَّة.

وذات مساء؛ كنت عائدًا عبر الجسر إلى القدس من رحلةٍ إلى الخارج. اجتزتُ بوابة الفحص الإلكتروني، وبعد دقائق شكّت مجنّدة إسرائيليَّة بأنَّ في جيب بنطالي شيئًا ما. سألتني عنه، قلت: «إنها مناديل ورقيَّة».

كنت أملأ جيب بنطالي دومًا بالمناديل.

ولم تكن تلك المناديل شائعة في زماني الأوَّل.

لم تكن شائعة في زمن الآباء والأجداد.

***

جـدِّي لأبي اسـمه عليّـان عـلي شـقير (والـده عـلي عليّان محمّد شـقير مـات قبـل أن أولد بسـنوات، قيل لي إنَّه كان رجلًا شـجاعًا، تزوَّج بامرأة من عائلة مشـعل، التي تنتسـب إلى عشـيرة الشـقيرات، اسـمها صبحا عطا الله مشـعل، أنجبت جدِّي عليان وأربع بنات هنّ: مشايخ، وتمام، وغالية، وعلياء، وتزوَّج بامرأة ثانية من عائلة صبيح التي تنتسب إلى عشيرة الشقيرات، اسمها علياء صبيح، أنجبت أخوين لجدّي هما: علّان ومحمّد).

كان جدِّي مختار عشـيرة الشـقيرات لسـنوات عديدة، وما زلت أذكره بشعر لحيته الأبيض، وعلى رأسه الكوفيَّة البيضاء والعقال، ولا أذكر أنّه كان بشوشًا معي أو مع غيري من أطفال العائلة، كان يأمرنا بألا نُحْدث ضجيجًا ونحن نلعب في البرندة المقابلة لغرفة نومه، أو قريبًا من نافذة الغرفة.

وكان عندمـا يغضـب منّا يحبسـنا في ركن الغرفة. نجلس في الركـن بصمتٍ فيما هو ممعن في قراءة القرآن. يستمرُّ الحبس نصف ساعة أو أكثر، ثمَّ يطلق سراحنا بعد أن نتعهَّد بألا نسبِّب له أيّ إزعاج.

كان مُهابًـا بـين الرجال وله صـوت صارم. حين ملَّ من نكـد الدنيا اعتزل الناس، وانشـدَّ بصره وبصيرته نحو الدار الآخرة.

كان مشـهودًا له بالكرم وإطعام الضيوف؛ وما زال بعض أبناء العائلة يحتفظون بنسـخة من مقالـة نُشرت في إحدى صحفنا المحلّيَّة، كتبهـا صحافيّ مقدسيّ عن قيام جدِّي بإطعام عددٍ كبير من الجنود الأتراك الذين قصدوا بيته في البرّيَّة؛ وهم منسحبون من أرض المعركة أثناء الحرب العالميَّة الأولى.

ولطالما سـألَنا بعضُ كبار عشـيرة الشـقيرات عن هذه المقالة للتأكُّد من أنَّها تخصّ جدّي من دون لبـس أو إبهـام، وللتأكُّد من وجود اسـمه فيها، كما لو أنَّهـا عجيبة من عجائب الزمان، وكنَّا نشعرُ بالفخرِ والاعتزار بهذا الجدّ صاحب المروءة والكرم.

تزوَّج جدّي عليّان بامرأتين: جدَّتي حلوة، وهي من عائلة علاء الدين التي تنتسـب لعشيرة

الشقيرات، وضرّتها شيخة؛ وهي ابنة عمّه، وقد أنجبت كلًّا من عمر وسلمى، وعامر وعمير اللذيْن ماتا قبل أن أولد.

أنجبتْ جدَّتي حلوة من جدِّي كلًّا من علي، عبد الحافظ، محمّد، وصبحا، وكانت أنجبت من زواجها الأوّل كلًّا من: عايد وفاطمة. ظلّت طوال عمرها نحيلةَ الجسدِ خافتةَ الصوت، مسالمة إلى أبعد حدّ، ولطالما أغضبتني وأثارت حفيظتي وهي تكوي بطني بالنار كلَّما شكوتُ من ألم. ماتت في العام 1958 وهي طاعنة في السن، وماتَ جدِّي عليّان بعدها بثلاث سنوات وهو في الخامسة والثمانين.

تزوَّجت شقيقاتُ جدِّي برجالٍ من عشيرة الشقيرات: تمام تزوَّجت ابن عمّها عيد، وغالية تزوَّجت كبير عائلة مطر، وعلياء تزوَّجت كبير عائلة صبيح، ومشايخ تزوَّجت إبراهيم حسن شقير، وهو أحد أبناء عمومتها، استشهد في العام 1933 في الطريق بين القدس ورام الله بعد أن صدمت سيّارة لجيش المحتلِّين الإنكليز فرسه وهو على صهوتها. كان كبير العشيرة ومختارها، وقد تولَّى جدّي المَخْترة بعده، ثمَّ نقلها بعد سنوات إلى أبي أواخر الأربعينيّات من القرن العشرين، وفي أواسط الخمسينيّات عادت المَخترة إلى ابن عمّة أبي؛ حسين إبراهيم حسن شقير الذي أصبحَ كبير العشيرة لسنواتٍ طويلة؛ ومن مآثره أنَّه رمى ختم المخترة في مكتب الحاكم العسكري الإسرائيلي بعد هزيمةِ حزيران 1967 تعبيرًا عن عدم انصياعه لرغبات المحتلِّين.

***

اعتدتُ أن أرافق أبي في العطلات الصيفيَّة لاشتغل في ورشات شقِّ الطرق التي كان يشرف عليها.

في العطلة الصيفيَّة للعام 1957، ذهبتُ معه إلى قرية «أرطاس» القريبة من مدينة بيت لحم. وكنت مسجّلًا في الورشة بصفة كوني أحد عمّالها.

أقمنا طوال شهرين في غرفةٍ من غرفِ المدرسة المحاذية لمدخل دير أرطاس الذي تنتشر من حوله البساتين بأشجارها المثمرة. كان منظرهُ في وسطِ الأشجار مثيرًا للبهجة.

كانت الغرفة واحدة من ثلاث غرف متجاورة، وأمامها برندة مستطيلة مزنّرة بدرابزين من حديد. تعرَّفتُ في ذلك الصيف إلى أصنافٍ من البشر من أهل القرية ومن العاملين مع أبي في الورشة.

في الليل، قبل أن نخلد إلى النوم، كنت أستمعُ إلى أحاديث أبي وبعض الرجال الذين يسمرون معه؛ بعضها عن الحياة اليوميَّة وهمومها، وبعضها الآخر عن نكبة العام 1948، يرويها بعض الأشخاص الذين اكتووا بنارها واضطرُّوا إلى مغادرةِ بيوتهم وقراهم.

أحاديث أخرى كانت عن النساء.

عن جمالهنّ وعن ثيابهنّ المطرَّزة وعن رشاقة مشيهن، وعن رقصهنّ في الأعراس وغنائهنّ الذي يضفي بهجةً على ليالي الأعراس.

كان أبي قليل الكلام، يصغي للآخرين باهتمام؛ يبتسمُ باعتدال، ويتلفَّظ بتعليقات مختصرة؛ كنت أصغي لما يقال حينًا، وأسرحُ نحو البعيد حينًا آخر.

***

وكنت مع أبي في قرية بيت أكسا القريبة من القدس، وفي مخيَّم عين السلطان القريب من أريحا، وفي قريتيّ عين قينيا وعين عريك وهما من قرى رام الله، وفي الطيرة القريبة من رام الله، وفي زعترة القريبة من بيت ساحور.

في كلِّ هذه القرى والأماكن، كنت أقيم مع أبي في بيوت مستأجَرة أو في خيام الورش، وكنتُ أكتسبُ خبرات جديدة وأتعرَّف إلى نماذج بشريَّة عديدة.

وثمّة تراتبيَّة صارمة في الورشة؛ أبي هو الرئيس، كان يتقاضى في خمسينيَّات القرن العشرين واحدًا وعشرين دينارًا في الشهر، يأتي بعده كاتب الورشة الذي يسجِّل في دفتر خاصّ أيّام الحضور والغياب لعمَّال الورشة، ويتقاضى ثمانية عشر دينارًا في الشهر، وهناك مساعد رئيس الورشة والعامل الفنّي والغفير المسؤول عن الفؤوس والمعاول والمهدّات والقُفف وبقيَّة لوازم الورشة من أدوات. وفي آخر تلك التراتبيَّة يأتي العمَّال الذين يقبض الواحد منهم ستَّة دنانير في الشهر.

كنتُ أحد أفراد هذه الفئة الأخيرة.

***

لم تكن لي صلات قويّة بالمخيَّمات الفلسطينيَّة.

أوَّل مخيَّم دخلته هو مخيّم الدهيشة القريب من بيت لحم. من وسطه كنَّا نمضي إلى الورشة في قرية أرطاس. بيوته مكوّنة من غرف صغيرة مشيّدة من الطوب أو اللبِن، وهي متلاصقة على نحو يحرم ساكنيها من فضاء خاص.

فيما بعد؛ عندما انتميت إلى الحزب الشيوعي، كنت أشارك ببعض اجتماعات حزبيَّة تُعقد في بيت إبراهيم يوسف في المخيَّم (كنيته أبو محمد أو أبو مايك، كان من المناضلين الأوائل الذين انتموا للحزب وأمضى في سجن الجفر الصحراوي ثماني سنوات، وكان أحد قادة فرع الحزب في الأرض المحتلة)، وكنت في بعض الأحيان إذا تعذّرت عليّ العودة إلى جبل المكبّر أنامُ في هذا البيت.

دخلتُ مخيَّم عين السلطان القريب من أريحا بصحبة والدي. كنَّا نذهب لتناول طعام العشاء في بيوت بعض أبناء المخيَّم العاملين في الورشة.

ولدى نقلي من المدرسة الهاشميَّة إلى مدرسة عقبة جبر الثانويَّة، تعرَّفتُ على مخيَّم عقبة جبر القريب من أريحا، ولم أستمرّ في هذه المدرسة إلا بضعة أيّام، نُقلتُ بعدها إلى مدرسة الملك غازي الثانويَّة في قرية بدّو؛ وهي من قرى شمال غربيّ القدس.

دخلتُ مخيّم قلنديا لزيارة بعض أصدقاء أبي الذين كانوا يعملون معه في ورش شقِّ الطرق، ثمّ دخلتهُ غير مرَّة لزيارة زميلي في المدرسة الهاشميَّة عمر الساريسي، علاوة على مروري الدائم المستمرِّ حتّى الآن من وسط المخيّم أثناء الذهاب من القدس إلى رام الله وبالعكس؛ واحتمال المعاناة الشديدة جرَّاء ازدحام السيَّارات عند الحاجز العسكري. لمخيّميّ الدهيشة وقلنديا صيت بارز في مقاومة الاحتلال وفي تقديم الشهداء.

لم تكن علاقتي بالمخيّمات ممتدَّة متشابكة؛ ولهذا السبب لم يظهر المخيَّم في قصصي إلا على نحوٍ محدود؛ لأنَّني لا أجيد الكتابة عن مكانٍ لا أعرفه جيِّدًا ولم أعش فيه.

نشرتُ قصَّةً في مجلّة «الأفق الجديد» المقدسيَّة في النصف الأوّل من ستينيّات القرن العشرين، موسومة بـ«أهل البيت»، ولمّا صدرت مجموعتي الأولى «خبز الآخرين» لم أنشر هذه القصَّة في المجموعة؛ لاعتقادي أنَّ مستواها الفنّي لا يرقى إلى مستوى قصصي الأخرى، وهي منشورة في آخر هذا الكتاب بعد إجراء تعديلات طفيفة عليها، لعلَّها تكون شاهدة على زمن الكتابة؛ كتابتي في ذلك الزمان.

***

وما زلت أتذكّر بيوتًا دخلتُها في مدينتيّ بيت لحم وبيت ساحور.

كان زميلٌ لنا في المدرسة الهاشميَّة في مدينة البيرة؛ دعانا أنا وزميلين آخرين في العام 1964، لتناول طعام العشاء في بيتِ أهله الواقع في مدينة بيت لحم، ولقضاء الليل فيه.

كانَ البيتُ مكوّنًا من غرفةٍ عتيقة واسعة في الحيِّ القديم من المدينة.

بعد تناول الطعام؛ خرجنا للتمشِّي في شوارعِ بيت لحم وأسواقها التي تنطوي على وداعة مرهفة، وكانت الأضواء المنبعثة من نوافذ البيوت تضفي رونقًا على فضاء المدينة.

بعد ساعتين من التجوال عدنا إلى بيت زميلنا لكي ننام. كانت والدته وشقيقته الشابَّة ووالده ينامون في ركنِ البيت القصيّ، نمنا نحن الضيوف في الركن القريب من الباب؛ وكنَّا كما لو أنَّنا أفراد أسرة واحدة، يعمر قلوبهم الصدق والوفاء.

في تلك الفترة كان فايز صيّاغ (ابن مدينة الكرك الأردنيّة وأحد الشعراء البارزين في مجلّة «الأفق الجديد» المقدسيّة) يعملُ مدرّسًا في مدرسة بيتَ لحم الثانويّة، وكنّا أنا وزملاء آخرون نزوره في بيته في بيت لحم، يمتدّ بنا السهر إلى ما بعد منتصف الليل، وفي الصباح المبكر نمضي إلى الوظيفة. كان فايز في تلك الفترة خارجًا للتوّ من صفوف حزب البعث، منصرفًا إلى كتابة الشعر.

بعد ذلك بسنوات قليلة، وإثرَ هزيمة حزيران 1967 سيشهد بيت عبد المجيد حمدان وزوجته عطاف العاروري في بيت لحم اجتماعات حزبيَّة عديدة؛ كان يقودُها في أغلبِ الأحيان سليمان النجّاب أثناء اختفائه عن أنظار أجهزة الأمنِ الإسرائيليّة، وكنتُ أحد حضور تلك الاجتماعات. كنتُ أنامُ في ذلك البيت كلّما تأخَّر الوقت ولم يعد بوسعي العودة إلى بيتي في جبل المكبّر. هنا أيضًا مثال مجسّدٌ على الصدق والوفاء.

وكنَّا نعقدُ اجتماعاتنا في بعضِ الأحيان في بيت الدكتور أحمد حمزة النتشة، الواقع بمحاذاة الشارع قريبًا من قبَّة راحيل في أوَّل بيت لحم.

وثمَّة بيت آخر في مدينة بيت ساحور المجاورة لبيت لحم.

بعد هزيمة 67 بخمس سنوات، كلَّفتني قيادةُ فرعِ الحزب بعقدِ اجتماع للجنةِ المحليَّة للمدينة. انعقدَ الاجتماع في المساء في بيت أحد أعضاء اللجنة. كان البيتُ مكوَّنًا من غرفةٍ عتيقة واسعة. استمرَّ الاجتماع ما يقرب من ثلاث ساعات.

كان سليمان النجّاب قد زار هذه اللجنة قبل زيارتي لها بأسابيع، وأبدى ملاحظات على حالةِ التنافر الماثلة بين أعضائها. تأكَّدتْ ملاحظات سليمان لدى زيارتي للجنة، حاولتُ تقليص الخلافات التي تتمحور حول أساليبِ العمل الحزبيِّ بين الناس، ولربّما حقَّقتُ نجاحًا جزئيًّا في ذلك.

بعـد الاجتـماع؛ عادَ الرفاقُ إلى بيوتهـم، ونمتُ في ركنٍ من أركان ذلك البيـت، فيما كان الرفيق وزوجتـه وأطفالهما ينامـون في ركنِ البيت القصيّ. تأكّد لي وأنا في ذلك البيت الشـعور ذاته عن الصدق والوفاء.

***

وكنـت انتسـبتُ إلى الحزب الشـيوعي الأردني عـام 1965م (أصبحـت الضفَّة الغربيَّـة بما فيها القـدس جـزءًا من المملكـة الأردنيَّة الهاشـميَّة منذ العـام 1950م)، كنتُ في تلـك الفترة أعملُ مدرِّسًـا للغـة العربيّة والتاريخ في المدرسـةِ الهاشـميَّة الثانويّة. كان النشـاطُ الحـزبي محاصرًا من أجهزة الأمن، والأحزابُ محظورة.

بعد سبع سنوات من انتسابي للحزب أصبحتُ عضوًا في لجنة قيادة الضفَّة الغربيَّة التابعة للجنة المركزيَّة، وكنتُ أعمل مدرِّسًا للغة العربيَّة والفلسفة في مدرسة دار الأيتام الإسلاميَّة الثانويّة في القدس. درَّستُ طلابًا من القدس ومن القرى المحيطة بها: جبل المكبّر، وصور باهر، وسلوان، والطور، والعيزريَّة، وأبو ديس، وبيت حنينا وشـعفاط. كنت معنيًّا بالتأثير على وعي الطلاب، حيث أجتذبهم إلى النشاط السياسي وإلى النضال ضد الاحتلال، وأعتقد أنّني حقّقت نجاحًا في ذلك إلى جانب نجاحي في التدريس على أفضل وجه ممكن.

وكان لي في هـذه المدرسـة زملاء مدرِّسـون أفاضل، ماتَ بعضهم ومـا زال بعضهم الآخر على قيد الحياة.

كان فيصـل العفيفـي؛ زميـلي منذ أيّام التلمذة في المدرسـة الرشـيديّة، يدرِّسَ اللغـة الإنكليزيَّة في مدرسـة دار الأيتـام، ولطالما التقينا؛ أنا وفيصل، في متجرٍ في سـوق بـاب خان الزيت لزميلنا في المدرسـة الرشـيديَّة؛ فـاروق السـلفيتي (شـقيق فهمي السـلفيتي؛ أحد أبرز قـادة الحزب في خمسـينيّات وسـتينيّات القرن العشرين)، نتداولُ معًا بعض أخبار السياسـة وبعض ممارسـات المحتلِّـين التعسـفيَّة في المدينـة، ثمَّ نمضي نحو المدرسـة عبر الأسـواق المسـقوفة؛ بعضها مكتظٌّ بالناس وبعضها الآخر يكادُ يخلو منهم.

***

بعـد هزيمـةِ حزيـران 1967؛ كانت لي عودات مؤقَّتـة، أو زيارات خاطفـة إلى الجزء الغربي من القدس؛ وإلى شفا عمرو والناصرة وحيفا ويافا والرملة واللدّ وعكّا وباقة الغربيَّة ومجد الكروم وسخنين؛ وهي من مدنِ فلسطين وقراها المحتلَّة منذُ العام 1948. عَوْدات أو زيارات نابعة من

فضول مشروع، فالوطن السليب الذي لطالما تغنَّينا بمدنه الجميلةِ في المدارس والجامعات، وفي النوادي والمنتديات أصبحَ مُتاحًا الآن؛ وإنْ على نحوٍ منقوص، مثيرٍ للمرارة في النفوس، بل إنَّنا نحن الفلسطينيِّين الذين عادوا مؤقَّتًا إلى تلك الأمكنة تحت جنح الهزيمة؛ كنَّا نمارسُ نوعًا من العقوبة على أنفسنا حين نرى مدنًا لا نملكُ فرصةً للبقاءِ فيها إلا بإذنٍ من المحتلِّين؛ ومن خلال إجراءاتهم المفروضة علينا شِئنا أم أبينا.

***

عام 1968؛ زرنا؛ أنا وزميلان آخران، بلدة شفا عمرو الواقعة في شمال فلسطين. انبهرنا بوجود فلسطينيّين يحيون حياتهم بتصميم وثبات هناك؛ وعرفنا كم كابدَ هؤلاء الفلسطينيون من ويلات لكي يبقوا في وطنهم أثناء نكبة 48 وبعدها! وكم تعرَّضوا لأذى ولاحتمالات القتل أو الاعتقال ومن ثمّ الطرد خارج الحدود! لكنَّهم احتملوا الأذى ولم يغادروا بيوتهم؛ أو غادروها مؤقَّتًا وعاشوا تحتَ الأشجارِ في العراء، ثمَّ عادوا بهذه الوسيلة أو تلك إليها.

كان مجرَّد بقائهم في وطنهم يملأ نفوسَنا بالأمل.

زرنا الناصرة التي ظلَّت، برغم القهر والعسف وبرغم الغزو المسلَّح، مدينة عامرة بأهلها الفلسطينيِّين. شعرنا كما لو أنَّنا في الجزء الشرقي من القدس أو في غزّة أو في خان يونس أو في رام الله أو نابلس أو بيت لحم أو الخليل. ثمَّة نساء فلسطينيَّات ورجال فلسطينيُّون يملؤون الأسواق؛ وثمَّة بيعٌ وشراء ومكتبات وكتب وجمعيّات ثقافيَّة ومنتديات.

زرنا حيفا، وسأزورها بعد ذلك مرَّات ومرّات.

في كلِّ زيارة كان يتلبَّسني شعورٌ بالفقدِ والخسران؛ وسأتوقَّف ذات مرَّة عند قبر إميل حبيبي، الكاتب الشهير الذي ماتَ في الناصرة ودُفِن في حيفا، وكُتِبَت على شاهدةِ قبره تنفيذًا لوصيَّته، جملةٌ تلخِّصُ تجربته وتجربة من بقوا في وطنهم من الفلسطينيِّين: باقٍ في حيفا.

***

بعد الهزيمةِ بعامين؛ سأكون قريبًا من حيفا؛ بعيدًا منها في الوقتِ نفسه.

ففي ليلةٍ من ليالي صيف العام 1969 طوَّقَ الجنودُ الإسرائيليُّون بيتنا في جبل المكبّر، وكان معهم أحد ضبَّاط المخابرات. انتشروا في البيتِ مثل الجراد وفتَّشوا كلَّ ركنٍ فيه، خافت أمّي وارتعبت، استعان أبي بقدرته على الإقناع، لعلّ الضابط يؤجل أمر الاعتقال، ولكن من دون جدوى.

اقتادني الجنود وضابطهم إلى سجن المسكوبيَّة في الجزءِ الغربي من القدس، وإلى سجن صرفند

العسكري وسجن الدامون الواقع على مقربة من حيفا. أمضيتُ في الزنارين وفي غرفِ السجون عشرة أشهر عدتُ بعدها إلى البيت.

بعد ذلك بثلاث سنوات أُجبرتُ على مغادرةِ البيت.

ففي ليلةٍ من ليالي خريف 1973 طوَّق الجنود الإسرائيليُّون بيتنا؛ ولم أكن في البيت. كانت حربُ تشرين تدقُّ أبواب المحتلِّين وتبشِّرُ بأملٍ ما. اختفيتُ في نابلس وفي رام الله؛ ولم أعد إلى البيت إلا بعد أسابيع من انتهاء الحرب.

ولم يطل الوقت حتّى ألقوا القبض عليَّ بعد شهرين، ولم أمكث في المكتب التابع للمخابرات سوى ساعة من زمن، وبعد أشهر معدودات اعتقلتُ من جديد، وبقيت في السجن عشرة أشهر، ثمّ أبعدت إلى الحدود اللبنانيّة مع أربعة رفاق.

استضافتنا منظَّمة التحرير الفلسطينيَّة في فندق «البوريفاج». كانتِ المنظَّمة في أوجِ نشاطها على مختلفِ الأصعدة، ولها مكاتب ومؤسّسات كثيرة في الجزءِ الغربيِّ من بيروت.

جدَّدتُ علاقتي مع أصدقاء كنتُ أعرفهم من قبل، وتعرَّفتُ إلى آخرين من كتَّاب وأدباء ومثقَّفين، ومن قيادات التنظيمات الفلسطينيَّة وكوادرها.

جاءَ والدي من القدس لزيارتي؛ كانَ يحاولُ إخفاءَ همومه عنّي، وقد خمّنتُ من نظراتهِ ومن شرود ذهنه بعض هذه الهموم. حدَّثني عنه وعن والدتي وعن زوجتي وأطفالي وعن العائلة. أبدى ارتياحَهُ لأنَّني غادرت السجن، لكنَّه تمنّى لو أنَّني عدتُ من السجنِ إلى البيت.

كانت غرفةُ الفندق متَّصلة بشرفةٍ مطلَّة على البحر، اعتدتُ أن أجلس فيها بعد العصر في بعض الأحيان، أراقبُ زُرقة مياه البحر وأتذكَّر أيّامي في السجن الإسرائيلي، أتذكَّرُ الرفاقَ والزملاءَ الذين ظلُّوا هناك.

انتقلتُ بعد مغادرة الفندق إلى بيوتٍ عدَّة كان آخرها بيت واقع خلف مبنى جامعة بيروت العربيّة.

عملتُ بضعة أشهر محرِّرًا في مجلَّة «فلسطين الثورة».

عشتُ في بيروت أقلّ من سنة، وفي عمّان إحدى عشرة سنة، انتقلت بعدها إلى براغ وعشت فيها ثلاث سنوات، لأعود مجدّدًا إلى عمّان للإقامة فيها ثلاث سنوات قبل العودة إلى القدس في العام 1993.

وآنذاك؛ كان اتفاق أوسلو يُطبخ بالسر.

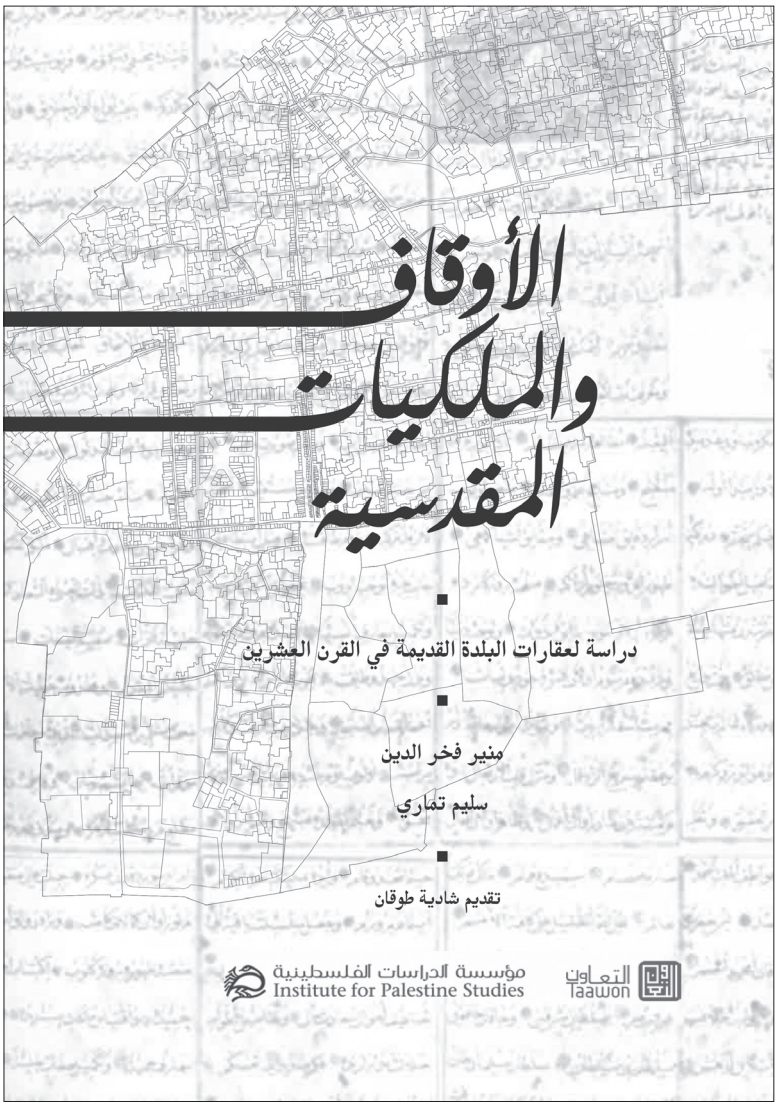

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي - فردان
ص. ب.: 7164 ـ 11
الرمز البريدي: 2230 - 1107
بيروت - لبنان
هاتف: 804959 - 814175 - 868387 1 (961+)
فاكس: 814193 1 (961+)
ipsbeirut@palestine-studies.org

د. عايدة عارف النجار في الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني

د. فيحاء قاسم عبد الهادي[1]

حين يذكر اسم د.عايدة عارف النجار؛ يذكر بارتباطه بقريتها لفتا/ القدس، وبارتباطها بنشاطها المتميز في رابطة الطلاب الأردنيين في القاهرة في الستينيات، ثم رابطة الطلاب العرب في أميركا في السبعينيات، وبالكتابة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والدراسات الأكاديمية، وبإنتاجها عددًا من الكتب التي وثّقت للصحافة الفلسطينية، ولقريتها لفتا، ولِمدينة عمّان: "صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن: 1948 – 1900"، و"بنات عمان أيام زمان"، و"القدس والبنت الشلبية"، و"عزوز يغني للحب؛ قصص فلسطينية من ألف قصة وقصة" و"لفتا يا أصيلة: خرّيفية قرية»، وعبر عدد من الأبحاث والدراسات والمقالات، التي نشرت في صحف ومجلات عربية.

(1) – كاتبة وشاعرة، وناشطة مجتمعية نسوية، ومحاضِرة. هي المؤسِّسة والمديرة العامة، لمؤسسة «الرواة للدراسات والأبحاث»، وهي عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، وفي المجلس المركزي الفلسطيني، وهي عضو مجلس المفوضين (نائب المفوض العام)، في الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، في فلسطين.
وهي المنسقة الإقليمية للمنظمة النسوية: «نساء من أجل السلام عبر العالم». عملت كمستشارة بحثية، لدى «اليونيسيف»، في مصر، و»إدارة تخطيط وتطوير المرأة/ وزارة التخطيط والتعاون الدولي»، ومركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق/ اليونيسكو، في فلسطين، بالإضافة إلى تجارب غنية ومتنوعة طويلة، في مجالات بحثية متعددة، في الدراسات النقدية الأدبية، وفي التاريخ الشفوي، وفي قضايا المرأة، وفي الكتابة السياسية. صدر لها أربعة عشرَ كتاباً، وعشرات الدراسات والمقالات المنشورة، بالعربية والإنكليزية.

هـي الباحثة والصحافية والكاتبـة؛ د.عايدة عارف النجار، التي ولـدت في لفتا، وهُجِّرت منها إلى عمّان – الأردن عام 1948، واستقرّت فيها حتى رحيلها يوم 5 شباط 2020.

*****

تحدثت د.عايدة النجار عن ذكرياتها حول مشاركة المرأة السياسية منذ الثلاثينيات – ضمن مشروع التأريخ الشـفوي، نهاية التسـعينيات، الـذي بادرت إلى تنفيـذه إدارة المرأة/ وزارة التخطيط والتعاون الدولي.

روت عن نشأتها في بيت جميل، يطلّ على قرية لفتا الجميلة، التي تبعد عن القدس كيلو مترًا واحدًا، وعن تشرّبها الحسّ الوطني منذ نعومة أظفارها، في ظلِّ أسرة علم منفتحة؛ لا تفرِّق بين امرأة ورجل:

«كنّـا سـاكنين في بيت حلو كثير، بِيطِـلّ على القرية نفسـها. تحت القرية كانـت تقريبًا بلدية القدس، وكان بيتنا جنب حرش شنلر، من شان هيك أنا باحِبّ كثير كثير الطبيعة والزهور والشجر والألوان، أعتقد أنه إلُه تأثير على شخصيتنا، من الحرش اللي كان جنبنا، كنا نلعب فيه، وكنا نمشي من بيتنا، ونروح على مدرسة المأمونية في طفولتنا.

عيلتنـا كانت كبيرة، إحنا سـبع خَيّـات وأخ وَحداني، وبعدين أمي كانت سـت فاضلة، من السِّـتات الفلاحـات القرويات قَدّ حالهـم، بَاذكُرها زَيّ مـا بَاذكُر أبوي. أختـي الكبيرة أنا تأثّـرت فيها كثـير «عريفة النجار»، كانت متخرّجة من مدرسـة السـليزيان، وكان بيتنا كله تطريز، إشي حلو، كله تطريز من شغلها، ومن شغل اللفتاويات قرايبنا، وكان عندي أختي الكبـيرة، هذول كانت بمدرسـة الشـميدت بالقـدس، فإحنا صَـحّ ب لِفتا، لكن عايشـين بالقدس تقريبًا، جدي الحاج إسـماعيل النجار، شيخ مشايخ القرى، وأبوي كان إلُه مركَزُه، وخالي «يحيى حمودة» كان محامي، ومناضل عريق، كنت أروح مع أمي وخالتي على السجن نـزور الخـال، ونآخذ لُه معنا الجرايد والمناشـير، يخَبّوهـا معنا، وإحنا نعطيـه إياها لَمّن نروح نزوره ونآخذ له الأكل.

وأنـا طفلة، كنت لِسَّـه بالصفوف الأولى من الابتدائي، بس جَوّ البيت كنت أشـعر إنُّه كثير وطنـي، مثلًا أمي «فطوم حمودة»، وخالتي «عيوش»، هذول أختين، فكانوا دائمًا كيف المرأة الفلاحـة القرويـة؟ فَتّحنـا عِينينا ودارنا كلها ملآنـه رجال على طول، مثـلًا أبوي ما يكُنش موجـود، جدي ما يكُنش موجود، عماتي، وخالتي وأمي وكله، هُمِّه اللي يسـتقبلوا الرجال.

وكان بيتنا مفتوح، بحكم مركز جدي الحاج إسماعيل، وأبوي «علي النجار»، وأخوي، كان من أوائل المتخرجين من الجامعة الأميركية، هذا أثَّر علينا، إنُّه بيتنا كان بيت علم، فكان بيتنا فيه كثير، باتذَكَّر هيك أودَة كبيرة، كان لما يكون واحدة تِحرَد من القرية من لفتا، الطنايب يقولوا لهم، يِجوا عند أبوي يِحِلّ لهم المشاكل، لّما واحدة تِتّطلّق، لما واحدة بدها تتجوّز، بيتنا كان مجتمع بحد ذاته.

وإحنا بيتنا قريب على بيت سيدي، فكان بيتنا وبيت سيدي زَيّ مجتمع بِحَدّ ذاته، كل أهل القرية والقرى الثانية يلِفّوا عليه بالأعراس والأتراح والأفراح».

كما تحدَّثت الكاتبة عن تهجيرها وأسرتها عام 1948، وتؤكد أن دير ياسين كانت نقطة البداية للتهجير القسري:

«دير ياسين كانت السبب، لأنه دير ياسين ولفتا قراب على بعض. كل أهل لفتا كانوا ملاكين مشهورين، واللي إلُه ارض بيكون متمسّك فيها، فلما صارت دير ياسين، حملوا السماعات الكبيرة اليهود وقالوا: يا أهل لفتا، إذا ما طلعتوا بِصير فيكم زَيّ ما صار بـ(دير ياسين)، الهاغانا حطوا القنبلة بالقهوة، على أثرها تركوا الناس القرية.

إحنا كان عنا بيانو أختي وأخوي، وبيتنا كله مفروش مودرن، وتحف؛ غطيناهم بالشراشف، على أساس راجعين، أخذنا الضروري ورحنا على الطوري، لجأنا أول مرّة على أساس نرجع، بعدين لما حِميَت الشغلة طلعنا وإجينا على عمان».

وتذكر د.عايدة دور نساء العائلة الإيجابي في تشكيل شخصيتها، حيث كنَّ يشجِّعنها وأشقاءها على نبذ الخوف، والتصرف بشجاعة. روت عن الإرهاب الصهيوني، وعن دور والدها وأهل القرية في الاستعداد لردّ الاعتداءات عليهم:

«إحنا طلعنا سنة الـ48. كنت بِصَفّ خامس ابتدائي، وبعدين طبيعي واعية، باتذَكَّر اليهود، وإحنا كنا كيف نُمرُق من حارتهم، ومَرّات لما تتأزَّم الحالة، نطلع من طريق ثانية بالباص، بس كنا نحِبّ نِمشي بـ موشارم، ونروح على المأمونية قريبة، نقول: بدنا نروح المرَّة هذه بالباص، وإللاّ بالسيارة؟ فتقول أمي: إصحوا تخافوا، كانوا يشجّعونا إنُّه نكون شجاعات، وهذه الأرض إلنا، وهذا البلد إلنا. فلَمّا بَلّشت الحوادث – في لفتا كان فيه قهوة في روميا، إلنا دار كبيرة بـ روميا، وهي شنلر وروميا قراب، إحنا هناك كنا ساكنين حَطّوا قنبلة على قهوة لفتا، فانقتل وقتها حَدّ من أهل لفتا، فكُنّا نشوف كيف عَمايِل اليهود من البداية، وأنا

صغيرة، كنت أشوف سلاح عِنّا، بيت تحت الدرج.

وبعديـن لمـا تأزّمت كثير، شـفت كل أهل الحارة إجوا عند أبوي، وبَلّشـوا يوزّعوا سـلاح، كاينين يجمعوا فلوس، علشـان يشتروا سـلاح لوقت معين. أتذَكَّر أنا أوَّل مَرَّة كنت أشوف البارودة بالشكل هذا من الدار.

منِرجَع لَتأثير العيلة، هذا أخوي كان من أوائل المتخرجين من الجامعة الأميركية، مهندس، أهل لفتا مشهورين بالتعليم لأنه كلهم كان بينهم مهندسين ودكاتره وأطباء ومحامين، وكان أول دكتـور الدكتـور (عـلي عاقلة) وموجـود. وأخوي مـن أوائلهم، فلما بِتشـوفي خواتك الكبـار، وأخـوك، كلهم متعلّمين مدارس حتـى أجنبية، بتتأثري إنّك بِـدِّك العلم. كان عِنّا العِلم كثير مهم».

*****

تحدثـت الكاتبـة أيضًا عن تأثـير عائلتها على تكوينهـا الثقافي، وعبر شـهادتها نلمس تأثرها الكبير بنساء العائلة:

«أخـوي كان من أوائل المتخرّجين مـن الجامعة الأميركية مهندس، وكان يشـتغل بالإذاعة الفلسطينية بالقدس، على أساس عنده برنامج اسمه: «برنامج القرية»، يأخذنا، ونمثِّل عمر بـن الخطاب، ونمثِّل التمثيلات الوطنية. أختي الكبيرة عريفه، إلها دور كبير لعبته في مجتمع أهل لفتا بشـكل خاص، أنشـأت أول مدرسـة للبنات، اسمها مدرسـة لفتا للبنات، أظن. وهـي من بعد مـا إجينا على الأردن، كانت نشـيطة في مسـاعدة الفلسـطينيين في المخيمات، اشـتغلت في الوكالة لفترة طويلة، وأسَّست أول مدرسة بالزرقاء، سنة الـ49 أو 50 ومشّتها من الصفر للتوجيهي. ونفس الشيء أختي «رفقه» اشتغلت في وزارة التربية والتعليم.

أختي «عريفة» بالحركة الوطنية، (سـافرت) مع اللي راحوا من الاتحاد النسائي على مصر في الثلاثينيات (1938)، للمشاركة في المؤتمر برئاسة «هدى شعراوي».

أمـي وخالتي كانوا مسيَّسـات، بيجوز بتأثير خالي «يحيي حمـودة»، ما كانوش يحكوا عن أي إشي إلاّ بالسياسـة. خالتي «عيوش حمودة» كانت تألِّف أشـعار، كانت جميلة، وتلبس أجمل ثياب في المنطقة، وتسـوّيهن عند «نجمة» بالقدس. أمي وخالتي وعماتي كان إلهن شـخصية لأنه تربّوا في جو منفتح.

اللفتاويات أو الفلاحات عنا بفلسطين كان إلهم دور، والفلاحات شخصيتهن قوية، الجندر

مارسـوه قبل موضة الجندر الحالية، كانوا: منها سـت ومنها رجال قَـدّ حالها. بأتذكر أختي «عريفة»، مع مجموعة من سـتات القرية، كلهم قاعديـن في البرندة الكبيرة بتاعتنا، وكان في سلة، عَمّالهم يجمعوا الذهب منشان المجاهدين.

فعلًا تأثرت كثير، لما كنت أقرا الجريدة ألاقي إسم سِتّ؛ أفرَح، وأشوف حالي فيها».

*****

تحدَّثـت الكاتبـة حول ما تذكره عن أهمية الصحف للفلسـطينيين بشـكل عام وللمناضلين بشكل خاص، في الثلاثينيات:

«كان عمري أربع سـنين، في الـ39، كان محبوس خالي في عتليت. حبسـوه على مقالة نشرت بجريـدة الدفـاع، بيرفض الانتداب وبينادي للثورة. حطّـوا الجرايد في صدري، ولما وصلنا هناك بَتذَكّر حطيتهم بين الخبز، كان خالي يقول: هذول أبدى إلي من الخبز. الحرّاس العرب كانوا يسهّلوا من تحت لتحت الجرايد، فأنا باتذَكَّر كلمة خالي، كتبتها بالأطروحة بتاعتي إنه الجرايد بالنسبة إلي أهم من الأكل».

*****

ضمن شهادتها؛ تؤرخ الكاتبة لأول مشاركة نسائية في المظاهرات السياسية في الأردن:

«أتذكّـر قِبيـا، هذه المظاهـرة الكبيرة اللي أوّل مرّة في الأردن سـتات بتِشـترِك فيها، بـ14/ 3 أظني سنة 54.

كنت ألقي أحاديث الصباح في المدرسـة؛ حرَّضـت البنات. كنت في اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة، وكنت أوّل بنت مَثّلت البنات، فاتّصلت مع الشباب بالمدرسة الإسلامية، ومدرسة الحسـين، وقلـت: خلّينا نطلع مظاهرة. بنات المدرسـة تَحَمَّسـوا، كتبت لهـم الهتافات، ضدّ الصهيونيـة، وضـدّ الاحتلال، منشـان قرية قبيـا، بَتذَكّر هذه المظاهـرة، وبعدين مظاهرات كثيرة، فكان إلها صدى كبير».

*****

روت د.عايـدة عـن بدايـات عملهـا في العمـل الصحـافي منـذ صغرها، ثم عـن تخصصها ودراسـتها الأكاديمية، ويتبين من خلال شـهادتها الشفوية؛ ارتباط كتابتها بالسياسة بشكل وثيق:

«كنت وأنا صغيرة أراسل جريدة الحوادث، وجريدة الأخبار، بعدين جريدة الدفاع، الأخبار كنت أنشر فيها وأنا صغيرة، كانت كتابتي وطنية كثير، يحَسّبوني أكبر من سني، مَرَّة كتبت مقالة عنوانها: «سجّل أيها التاريخ»، حطّوا لي إياها بالجريدة جنب مقالة دكتور «إبراهيم بكر»، فلما شافني رئيس التحرير قال لي: إنتِ عايدة النجار؟ إحنا لازم نحُطِّك مع قسم الأطفال، حَطِّناكِ مع «إبراهيم بكر» والكبار.

بعد ما تخرَّجت رجعت للأردن، اشتغلت فترة صغيرة، ورجعت كَمَّلت بأميركا صحافة، كنت من المؤسِّسين لرابطة الطلاب العرب في الجامعة، كَمَّلت للدكتوراة، كتبت الأطروحة شو بيتعلق بالحركة الوطنية اسمها: The Arabic Press & Nationalism in Palestine under the British Mandate

شفت تاريخ الحركة الوطنية من خلال الصحافة، كنت أول واحدة كاتبة عنها، وساهمت في الإنسيكلوبيديا الفلسطينية، الجزء المكتوب عن الصحافة. ساهمت في حوالي 90 اسم من الصحافيين.

*****

العزيزة د.عايدة النجار،

حفرتِ اسمك ليس في قلوب أحبّائك فحسب؛ بل في ذاكرة لفتا، وبنات عمان، وجامعة القدس، وندوة اليوم السابع، والمقهى الثقافي في القدس، وجمعية لفتا الخيرية في رام الله، وجمعية أبناء لفتا المقدسية، وهيئة حماية الموروث الثقافي، ورابطة الكتاب الأردنيين، ومنتدى الفكر العربي، ومنتدى بيت المقدس.

مكانتك يا ابنة فلسطين المخلصة؛ مستقرّة في الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني.

كلمة حق لذكرى ألبرت أغازريان [1]

ألقاها د. برنارد سابيلا في مراسيم الجنازة في كنيسة الأرمن الأرثوذكس في القدس بتاريخ 1/ 2/ 2020

علّمنا ألبرت كيف أن الهوية تلتصق بالمكان، وكيف أن القدس تجمعنا رغم تعدد هوياتنا. ومثلما نعشقها فإن القدس تعشقنا. هكذا كان ألبرت متيّمًا بالقدس قديمها وجديدها. فعرف أماكنها وحاراتها وأزقتها وحكايات حجارتها وقصصها وآثارها الشعبية والبشرية على اختلافها. وقد كان دومًا يقرأ القدس وتقرأه فكان المؤرخ والراوي/ الحكواتي والمترجم، وأصبح وجهًا من وجوه القدس لا يمكن التفكير فيها دون أن يكون ألبرت فيها.

لم يتوقف ألبرت عند القدس، إذ أعطى أحلى سنوات عمره لجامعة الوطن، جامعة بيرزيت. فكان صاحب العلاقات العامة فيها وناطقها الإعلامي. ورأى في جامعته امتدادًا للقدس ولتنوعها، وأحبَّ بشكل خاص طلبتها الوافدين من قطاع غزة، كما لم يبخل بوقته وعطائه لكل الكتل والفئات الطلابية بغض النظر عن الخلفيات السياسية والاجتماعية والدينية. وكانت له المواقف المشهود لها مع الحكم العسكري، هو والمرحوم غابي برامكي، دفاعًا عن الطلبة والجامعة وحفاظًا عليها.

ولم يبخل ألبرت بمساهمات فكرية وأدبية عن القدس، كما وعمل في مجال الترجمة وأبدع

(1) نقلاً عن: نشرة "القدس بتجمعنا". تصدر عن جمعية الكتاب المقدس. القدس. العدد (14). ص: 14.

فيهـا. وخـلال الانتفاضـة الأولى كان ضمن وفـد فلسـطيني زار كلًّا من المملكـة المتحدة، بريطانيا، وشـمال إيرلندا للتشـبيك مع المؤسسـات الكنسـية هناك ومع غيرها في الخطوات المتطلبة لدعم شـعبنا المنتفض. كـما وكان من أعضاء الوفد الفلسـطيني إلى محادثات مدريد في العام 1991، حيث كان منسقًا للإعلام والتواصل مع وسائل الإعلام التي كانت تغطي المحادثات.

ولم يبخل ألبرت يومًا في تأكيد الموقف الفلسطيني حول القدس والذي تأثر ليس فقط بانزراعه الشخصي في المدينة وفي حارة الأرمن وفي هذا الدير العامر تحديدًا، بل لإيمانه بالموقف الذي دعا له رؤساء كنائس القدس بمن فيهم بطريرك الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في أكثر من بيان تاريخي أكدوا فيه أن القدس مدينة للديانات الثلاث وللشـعبين اللذين يعيشـان فيها. وكان هـذا الموقـف هو الذي دفعه للتأكيد للرئيس أبي عمار – رحمه الله – في محادثات كامب دافيـد بـأن الحـي الأرمني هو جـزء لا يتجزأ من القـدس العربية مثله مثل حـارة النصارى وحـارة الواد. وكان ألبرت يذكر دومًا بأن الأرمن لم ينزلوا بالبراشـوت في القدس القديمة وبأنهـم منزرعـون في المدينة منذ القـرن الخامس الميلادي ومحافظون عـلى تقاليدهم وإرثهم الحضاري والديني والثقافي.

لا يمكـن التفكـير بألبرت دون التفكير بدير الأرمن وحي باب الخليل، فقد التصق الاثنان بشـخصيته. فالقـدس دون الحي الأرمني هي غير القدس ولا يمكـن التفكير بها دون باب الخليـل وبـكل ما حمل من تاريخ وذكريات للشـباب الفلسـطيني الأرمنـي منهم وغيرهم. ويذكّـرني أصحـاب ألبرت بالجلسـات الكثيرة التـي كانت في زوايا ومحـلات باب الخليل، حيـث كانـوا يلملمـون أنفسـهم لـشرب فنجـان مـن القهـوة أو أكل بعض الحلـوى، بينما يتسـامرون عن القدس وتاريخها وأصحابها وحكاياتها التي لا تنتهي، والتي تشـدهم إليها وإلى جذورهـم. وكان ألبرت مثل المايسـترو الذي كان يشـارك باسـتمرار بـما في جعبته من قصـص ومعلومـات وحكايات عن هذا الحي أو ذاك، أو عن هذه العائلة أو تلك، أو يسرد معلومـات تاريخيـة عن العلاقات الاجتماعية التي يجهلها الكثيرون. ولا يملّ من الاسـتماع لألـبرت والاسـتمتاع بما يعرضه من كنوز مقدسـية تاريخيـة تربط المـاضي بالحاضر وتؤكد جذور المقدسيين وتعاضدهم عبر العقود.

في المدة الأخيرة، وأثناء مرضه، قمت بزيارته في المشـفى وقد كانت زوجته ورفيقة دربه مع ابنتيه وابنه بقربه ليل نهار؛ للعناية به ولإعطائه الدعم اللازم في مرضه الصعب. وقد تابعتُ

أخبار ألبرت والتي لم تكن تبشر بالخير إلى أن عادت روحه الطاهرة إلى باريها.

تعـازيّ القلبيـة وتعـازي القدس وأهلهـا الذين أحبوا ألـبرت وقدّروا وجوده بمسـاهماته وبشـهادته للحياة المشـتركة في هذه المدينة المقدسـة للسـيدة مادلن أرملـة الفقيد ولكل من ابنتيه أليز وآردا وابنه آرسـن ولأخواته وعائلاتهن. أشـد على أياديكم جميعًا طالبًا من العلي القدير أن يمنحنا الشـجاعة والقوة لتكملة مشـوار ألبرت ولجعل ذكره مؤبدًا بحسن أعماله وثبات مواقفه ونبل عواطفه. الله يرحمه برحمته الواسـعة والرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب ممجّدًا إلى أبد الآبدين.

صَدَر حديثاً

عن دار أبعاد للنشر

دار أبعاد للطباعة والنشر
لبنان - بيروت- الجناح
00961-71-841086
abaaddar@gmail.com

السكاكيني والنشاشيبي:
مدرستان في النقد الأدبي الصحيح

جهاد أحمد صالح
كاتب وباحث

خضعت فلسطين، هذا القطر الصغير للسيادة التركية، ووقع في ظلام نظام إقطاعي بغيض، وامتدّ الركود الذي أصاب حياة أهله قرونًا[1] حتى جاء في نهاية الحكم العثماني أيام السلطان عبد الحميد، حيث «التقى العرب والأتراك على هدف واحد الغاية منه تحطيم الحكم الحميدي ممثل الإقطاعية الاستبدادية المطلقة حتى يتاح للعناصر البرجوازية التركية كسر شوكة السلطان المستبد. وكان العرب يرمون من وراء ذلك إلى إيجاد مقوّمات خاصة بالشعوب العربية تضمن لهم السيادة القومية السياسية والاقتصادية»[2] وبدأت طلائع التنبيه واليقظة تظهر على الناس... ولكن بعد إسقاط الحكم الحميدي الإقطاعي داخل تركيا، ورجحان الكفة بجانب الاتجاه البورجوازي، عاد الاتحاديون المنتصرون إلى التمسك بنظام السلطنة الإمبراطوري، إذ رأوا فيه النظام الذي يضمن لهم النهب والاستمرار، فنتج عن ذلك فقدان التقارب التركي العربي، وظهر للعرب أن اضطهادهم انتقل من يد السلطان ممثل الاستبداد الإقطاعي المطلق إلى يد العناصر البرجوازية التركية التي آزرها أول الأمر، وهذا ما دفع العرب إلى مكافحة كل أشكال السيطرة التركية متخذين أهدافًا تتناسب ومختلف الأوضاع التاريخية... لأن النزعة القومية (الطورانية) التي انتهجها الاتحاديون الأتراك استفزت الشعور القومي في شعوب الإمبراطورية جميعًا. وقد صاحب ذلك ظهور

الرأسمالية في التربة العربية، تلك البذور التي نثرها ازدهار الاستعمار الغربي في مطلع القرن العشرين، حيث أخذ يندسّ في الأقطار العربية، وقد رأى في هذه البلاد أخصب الأسواق للرأسمال الغربي[3].

وكما كان العرب ينتهزون فرصة التناقض بين المصالح التركية والمصالح الأوروبية ويجدون في ذلك منفذًا لدعم صفوفهم وتنظيم حركاتهم، كانت الدول الأوروبية ترقب التناقض بين المصالح التركية والمصالح العربية، وتتخذ الحيطة لتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحها الاستعمارية، وأغراضها الاستثمارية[4].

ومنذ أن أنفرد الإنكليز بفلسطين، وهم يحاولون إيهام العالم بأن القضية الفلسطينية قضية معقّدة، ويحاولون أن يوجدوا فيها أطرافًا متعددة، ولقد دخل العالم معهم في دوّامة، وكاد العالم العربي يدخل في الدوامة نفسها، مستغلّة الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. ركّزت، مثل غيرها في الغرب، في صورة الفلسطيني «باعتبارها الأرض المقدّسة نتاج النصوص التاريخية على الفترات التوراتية والصليبية والحديثة (ولا سيما بعد الاحتلال البريطاني سنة 1917م) لأنها عُدّت ذات صلة مباشرة بالتاريخ الأوروبي في الوقت نفسه، ساد تجاهل مئات الأعوام من الحكم العربي الإسلامي»[5].

ولهذا لن نتطرق إلى البحث المعقّد الذي أراده الإنكليز للقضية، ويكفي أن نؤكد «أن تكون قضية نزاع بين شعب أصلي يطالب بحقه الطبيعي في الحرية والاستقلال، وبين سلطة استعمارية مستبدة تسيطر على جميع مقدرات البلاد وتضعها في أوضاع وظروف سياسية واقتصادية تسبب لها الارتباكات والاظطرابات، وقد خلقت السياسة الاستعمارية البريطانية – تدعمها في ذلك السياسة الأميركية – سلسلة من التعقيدات في الحياة العربية الفلسطينية، فجعلت من الولايات المتحدة طرفًا رسميًا في القضية، واتخذت من اليهود وسيلة لترسيخ سيطرتها على البلاد ولخدمة الإستراتيجية الاستعمارية، وجعلت توهم الناس بأنها تعالج القضية وتبغي حلها[6].

وهكذا خرجت فلسطين من قيود الحكم العثماني الاستبدادي الإقطاعي، ووقعت في شباك الاستعمار الإنكليزي وصنيعته الاستعمار الصهيوني، ومن وراء ذلك كلّه الاستعمار الأميركي، لتكون نقطة ارتكاز يحافظون بواسطتها على مراكزهم الاستعمارية في الشرق الأدنى[7].

يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي: «وكل هذه الأدوار التي مرّت بالبلاد العربية، شارك هذا القطر (فلسطين) بنصيبه الوافي: فكان له في الأدوار الأولى ممثلون في عهد التنظيمات، وكان له من يمثّله في كل حزب أو جمعية أو مؤتمر، وكان له نواب في مجلس (المبعوثان) العثماني، يرفعون أصواتهم جريئة في النقد والاحتجاج والمعارضة، ولم يعرف هذا الوطن الصغير طعم الاستقرار السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، في هذه العهود، سواء أكان ذلك في عهد الحكم العثماني أم عهد الانتداب الإنكليزي الصهيوني، وقد صبغ ذلك كلّه نضال بلون خاص، ووجّه حياته الأدبية والثقافية وجهة معينة[8].

وقد ترافق ذلك، في نهاية الحكم العثماني، وبداية الاستعمار الغربي لغالبية الأقطار العربية، ظهور العوامل المباشرة للنهضة الفكرية والأدبية التي ساهمت في تطوّر المجتمعات العربية، من تطوّر التعليم الوطني والتبشيري، وظهور المطابع وبروز الصحافة وطباعة الكتب، وانتشار الجمعيات المبكرة للبحث العلمي والآثار والتحقيق، والإذاعة، والنوادي والجمعيات الأدبية والرياضية والتمثيليات، بالإضافة إلى ظهور الترجمة وقراءة تجارب الشعوب وتطور مجتمعاتها[9]. وكان نصيب قطرنا الفلسطيني ما يزيد من فعالية هذه العوامل، أو يقل، إلاّ أن تصديه لتبعات الصراع العربي الإسرائيلي وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين قد أثّر تأثيرًا مباشرًا على المجتمع بشكل عام، وعلى طبيعة التحديات التي حملتها النهضة الفكرية والأدبية، وما شهدته الساحة الثقافية من تجاذبات فكرية واتجاهات أدبية.

وكما كان التقاء في السياسة، في نهاية الحكم العثماني بين البرجوازية العربية وبين الأرستقراطية العربية»، «كان في فلسطين، لقاء بين البرجوازي الصغير خليل السكاكيني»[10]. في الثقافة وبين سليل الأرستقراطية إسعاف النشاشيبي»[11] وكما كانت هناك ظروف طبيعية دفعت بالأستاذ السكاكيني إلى أن يتلقى ثقافته في (مدرسة الشبان)، فقد كانت ظروف طبيعية مماثلة دفعت بالأستاذ إسعاف النشاشيبي إلى أن يتلقى ثقافته في دار الحكمة – بيروت، الأول أستاذه نخلة زريق، والثاني أستاذه عبد الله البستاني المشهور بولعه بالتعريب والأساليب القديمة.

ويلتقي إسعاف الوارث، والسكاكيني الكادح، بعد أن عاد الأول إلى القدس من بيروت «يحمل قصيدة من نظمه ودّع بها مدرسته، وقد طبعها بماء الذهب وجعل يوزّعها على أدباء ذلك الزمان مفتخرًا بها. وحقّه أن يفتخر لأنه لا ينتظر ممن كان في سنّه أن يعمل مثلها... وحاول أن يتصل بالطبقة المثقفة في ذلك الزمان وقد تخرّجوا فيما كان في زمانهم من المدارس

الأجنبية الإفرنسية أو الإنكليزية، وتولّوا أعمالًا مختلفة... فمنهم من أعجب به وقابله بالتشجيع، ومنهم من تبرّم به فلم يعره جانب الالتفات[12]. أما أنا – يضيف السكاكيني: فشجعته وأثنيت عليه فلزمني في ليله ونهاره[13].

ويقول أيضًا: سافرت إلى أميركا فلما أعلن الدستور (العثماني 1908م) رجعت إلى القدس، وعاد إسعاف إلى ملازمتي في الليل والنهار، وجعلنا نكتب ما توحيه الظروف، وجاء المرحوم حنا عيسى من يافا إلى القدس.. وكنّا نحن الثلاثة على اتصال مستمر، وكان إسعاف مولعًا ببديع الزمان الهمذاني ينسج على منواله في كتابته، وكنت أنا مولعًا بأبي الطيب المتنبي، وكان حنا عيسى مولعًا بالأصمعي، فتوزّعنا كنى هؤلاء الثلاثة. أما إسعاف فكنّيناه أبا الفضل، وأما أنا فكان نصيبي كنية المتنبي وهي أبو الطيب، وأما حنا عيسى فكنيناه أبا السعيد وهي كنية الأصمعي، وعرفنا من ذلك الحين بهذه الكنى وشاعت على الألسن.

ثم أعلنت الحرب العالمية الكبرى، ومما أذكره لإسعاف بالشكر والإعجاب أنه كان إذا عرف أننا لا نجد خبزًا يحمل شيئًا من الطحين على ظهره ويأتي به إلينا[14].

لقد جمعت الصداقة بين خليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي، فهل كانت كفيلة بتوحيد رؤيتهما الثقافية والفكرية، وهل توثقت بها عراها؟

وكان نظم الشعر ميدانه الأول، وقد «أصبح للشعر أغراض أوثق اتصالًا بالحياة من الأغراض التي راجت في المرحلة الأولى... فأصبح الدستور والحرية غرضًا من أغراض الشعر، وكذلك الوظائف وعشاقها، والاستعمار والخطر الصهيوني، والعلم والكدح، ووصف الطائرة، والموضوعات الاجتماعية بأنواعها، والبنات وما يتمنى لهن، والسجون والوطنيات بأنواعها، والحرب والدعاية.. وما إلى ذلك من الأغراض.

ومن هذه الأغراض يتبين لنا أن الشعر قد زجّ في معركة الحياة، وأنه سلك في ذلك سبيلين: شعر يمثل التيار الصاعد، أو اللون المشير إلى مستقبل جديد.. وشعر يجاري الواقع المعاش، ويخضع لمقاييسه الفكرية والأدبية»[15].

«ولعله كان من الخير لحياة الشعر في هذه المرحلة أن يتصل إسعاف النشاشيبي الأرستقراطي الوارث بالبرجوازي الصغير ابن معلم النجارة خليل السكاكيني، وأن يربط حياته بحياته، فيكسب التيار الصاعد لسانًا قويًا كلسان إسعاف، ويخسر التيار الجامد قوة من قواه الكبيرة[16].

لقد بدأ السكاكيني شعره بميزات المدرسة الرومانسية أو الرومانتيكية في الغرب، فقال عام 1907م، رسالة إلى حبيبة قلبه سلطانة:

إلى اليوم لم أدر الصبابة والهوى

فما سرني قرب ولا ساءني بعد

حفظت من هوى كل غادة

فلم تصبني سعدى ولم تُلهني هند[17]

وفي قصيدة أخرى يرسلها إلى «سلطانة» يقول:

وهبت فؤادي فلا أرجعه وإن هان عندكم موضعهْ

ونطت بكم حبل ودي فمهما أسأتم إليّ فلا أقطعهْ

ويختمها بقوله:

فماذا ترى كان ذنبي ومن ذا تراه بذنبي أستشفعه[18]

أما إسعاف النشاشيبي، فقد كان ثمن اتصاله بالشعر في بدايات نظمه له، قصيدة من أربعة وعشرين بيتًا يقول فيها:

العرب مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا

ولّى فولّى بعده أنسي وساء مآليا

قد كنت أطمح أن أرى وطني بهيجًا زاهيا

فوجدته من كل علم أو علاء خاليا[19]

وقد أخذ الإحساس بالكيان العربي يملأ نفوس الناس وكان إسعاف من أوائل الذين استجاب إحساسهم لما رجوه من منح الدستور، فقال في قصيدته «في ذكرى فتاة مكدونيا» يقول:

اخطري اليوم في الربوع اختيالا لا تخافي من العدو اغتيالا

لا تخافي من كيده لا تخافي إنّ كيد العدو ولّى وزالا[20]

ومن أغراض الشعر في مرحلة التحول من نهاية الحكم العثماني إلى بداية العهد الاستعماري

الغربي البريطاني، يقول خليل السكاكيني عندما سيق إلى سجن في الشام عام 1917م:

ذكّراني وإن أكن غير ناسِ بزمانٍ جمّ الولاء مؤاسِ

ذكّراني أيام كنت سعيدًا لا أقاسي من الجوى ما أقاسي

ذكّراني وإن تصدّع قلبي وتلطّخت من حرّها أنفاسي

ويختم قصيدته المكونة من اثني عشر بيتًا من الشعر بقوله:

كل خطب يهون عندي فإني إن تجل الخطوب طودُ رأسي[21]

وبسبب تفجر الصراع بين الفلسطينيين من جهة، والاحتلال البريطاني المنحاز إلى المشروع الصهيوني من جهة أخرى، وتغلغل الأحداث الثورية في حياة الناس أخذ الشعر يعالج القضايا العامة يمتزج فيها الحس بالفكر امتزاجًا تامًا لا أثر للازدواجية فيه، ومن هنا نشأت في حياة الشعر في هذه المرحلة معارضات أيديولوجية همّها المضمون الشعري أكثر من المعارضات الشكلية في اللغة والبلاغة.

وكان المهتمون بالشعر والنقد، وهم يراقبون المشهد، يتوقعون أن يمضي السكاكيني والنشاشيبي في هذا الاتجاه، ويدعمان موقفهما النقدي بإنتاج شعري متميّز. إلا أن الحقيقة كانت مغايرة تمامًا.

ففي الوقت الذي «كدنا نظفر بالأستاذ السكاكيني شاعرًا لهذا الاتجاه في حياة الشعر، إلّا أن مصابًا نزل به تجاوز طاقته، فصرفه عن المضي في هذا اللون من ألوان الشعر.... وقال ثلاث قصائد فائضات بالأسى والجزع والشجن (بوفاة زوجته سلطانة) وفيها يمتزج الحس بالفكر، وثار حتى على القضاء، فكتب تحت رسمه (لن نرضى)، فقد فَقَدَ من كان يخوض الحياة معها، وتشد من عزمه، حيث تعترض الخطوب، وتقوم العقبات»[22]. فيقول في الفصل العاشر عنوانًا في يومياته التي عنونها (تعالوا ننقرض!):

فيا لك من حلم جميل قد انتهى ويا لك من حزن طويل قد ابتدا[23]

وتحت هذا العنوان نظم قصيدة «قفا نبك» من اثنين وعشرين بيتًا من الشعر، يقول في مطلعها:

قفا نبك من ذكرى أذابت حشاشتي

ولا تبخلا بالدمع، فالدمع حاجتي

قفا أسعفاني في مصابي، فإنني

أراه مصابًا قد تجاوز حاجتي

ويختمها بقوله:

ألا: لا عزاء يا خليلي بعدها

ألا: لا عزاء فاتركاني وحالتي[24]

ويستهل قصيدته الثانية «أسعفاني بالبكاء» المنظومة في أربعة وعشرين بيتًا من الشعر بقوله:

أسعفاني بالبكاء ودعا كل عزاء

لا تقولا: الصبر يجدي حين يشتد البلاء

ويختمها بقوله:

آه! لو أن المنايا قبلت عنك الفداء

كنت أفديك بروحي أنت أولى بالبقاء[25]

كما يستهل القصيدة الثالثة، وهي بعنوان «سنتي الماضية» من اثني عشر بيتًا من الشعر بقوله:

لك الويلُ يا سنتي الماضية! لك الويلُ من سنةٍ جائية!

لقد كنت، مذ كنت بين السنين على بيتي الضربة القاضية

ويختمها بقوله:

فيا ليتني كنت في الذاهبين ويا ليتها كانت الباقية![26]

وهكذا توقف خليل السكاكيني من نظم الشعر، لأن فيه ما يثير أساه وشجونه، ولحسن الحظ أنه نقل هذا التيار من الشعر إلى النثر، فأبدع فيه.

أما صديقه إسعاف النشاشيبي، فقد أراد لنفسه أن يكون أديب العروبة من الطراز الأول: ولمّا لم يُحلّه شعره هذه المرتبة زهد فيه، وحقّق له النثر ما عجز عنه الشعر، غير أننا قد ظفرنا له بقصيدة تطفح عاطفة وشعورًا، وقد حررتها العاطفة الدافقة من قيدين: قيد القافية، وقيد وحدة البيت، فجاءت صورة عاطفية للجزع والهلع والنواح، وحين يقتضي النواح أنغامًا متشابهة تعود القافية للظهور»[27].

وهـذه القصيـدة قيلت في التأبين ليوم الأربعين في بيت المقدس، ونابلس وحيفا، حيث أقيم مأتم للشاعر أحمد شوقي، ويستهلها بأبيات لشوقي نفسه، ثم لأوس بن حجر، ثم لحبيب، فيقول:

إنما الدنيا شجون تلتقي وحزين يتأسّى بحزين

ضحك الدنيا احتشاد للبكا وأغانيها مُعدّات الأنين

وتبلـغ هـذه القصيدة امتدادًا وطـولًا، حيث تتجاوز عشر صفحـات[28]، توقف بعدها عن نظم الشـعر، وهكذا كان دور الصاحبين السـكاكيني والنشاشـيبي في الشعر ثم توقفا عنه، ومضيا يمارسان النثر حتى أصبحا زعيمين لا يجاريان، وصاحبي مدرستين كبيرتين في حياة الأدب.

مـن ناحية أخـرى، التقى الصاحبـان بمفهوم الدين، وبفكرة «الإنسـان الأعـلى» التي تأمر الإنسان بالأحلام الكبيرة، وتأمر إرادة الإنسان بتحقيق الحلم الذي راوده.

ولعل أفكار الحلم والعلو والإرادة والسمو هي التي دفعت خليل السكاكيني إلى الإعجاب بنيتشه والمتنبي والسيد المسيح، وإلى إكبار الثلاثة جميعًا، دون اضطراب أو ارتباك، فما أعجبه لـدى الفيلسـوف الألماني هو «فلسـفة القوة» كما فهـما، التي تفصل بين القـوي والضعيف، ولا تلتفت إلى معايير أخلاقية مجرّدة، مثل الحق والباطل وما شـابههما، وما جذبه إلى السـيد المسيح ماثل في المحبة والتسامح والارتقاء بالروح عن مفاسد الأرض ومغرياتها. أما المتنبي فقائمة في روح طموحه مشتعلة، تتطلع إلى مثال بالغ البعد لا يراه أحد. عثر السكاكيني عند الأسماء الثلاثة على صفات رفيعة كان يهجس بها»[29].

كان كارهًـا لـكل ألـوان التعصـب والانغـلاق، وخصمًا عنيـدًا لكل أشـكال الإكليروس، مسـيحيًا كان أم غير مسـيحي... ويذكـر في مذكراته بحزن ومرارة، آثـار التعصّب الديني، ذلك أنه ينقض فكرة «الله محبة». ويبدد الجهد الوطني ويترك العدو الصهيوني مرتاحًا[30].

وهكذا، خاض صراعًا مريرًا لتسـلّط رجال الدين اليونان على شؤون الطائفة الأرثوذكسية في فلسطين، وإصلاح أحوال الطائفة المعتزة بعروبتها والمتمسّكة بشرقيتها[31].

وفي الجانب الآخر، نجد أن إسـعاف النشاشـيبي كان مولعًا ببديع الزمان الهمذاني، وحديثًا أحمـد شـوقي معتبرًا أنهما حافظا عـلى اللغة العربية والأصـول الثقافية فيها، ونراه متمسـكًا بالقائد صلاح الدين الذي أعاد الاعتبار إلى القدس، أما مثله الأعلى في المحبة والدين، فهو

محمد ودينه السليم، البعيد عن التفسيرات والتعقيدات، وكان على رأس إنتاجه الصاعد في ذلك الوقت «كتاب الإسلام الصحيح»[32]. الذي جاء بحثًا وتحقيقًا وردًّا وحجاجًا وقراعًا فكريًا، كان ثمرة لتياره الذي مضى يهدر في تلك المرحلة، مبيّنًا روح التساوي والتسامح فيه «محمد دينه دين التساوي ودين العدل والنصفة، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير أو صغير، ولا أمير ولا مأمور، ولا قبيل أفضل من قبيل، ولا قوم خير من قوم»[33]. ويقول:

«إنما الإسلام دين التساوي فالصعلوك مثل الرئيس ومثل الملك، والملك والرئيس مثل الصعلوك في هذا الدين[34]. وبيّن أنه لا توجد طبقات في الإسلام، فيقول: «ليس في كلام الله متشبث يتشبث به مستعبدون ليثبتوا اختلاف الدرجات وتفاوت الطبقات في الإسلامية بين المسلمين. إن الآية تخذلهم ولا تنصرهم، هم منتفخون نفّاحون، وشقاقون مشعبذون من الهاشميين والقرشيين والعرب، وهم منافقون مراؤون يشايعون ذا السلطان وهم أغمار جاهلون – وفي العلماء جهلاء – تألبّوا على كتاب الله وتظاهروا على تحريف دين الله»[35].

وهكذا كان النشاشيبي يسير بمدرسته في تيار صاعد أيضًا! لم توهن من عزيمته متانة اللغة، ولم تثقله في سيره الصاعد تلك الزينات الرائعة التي كان يحلّي بها تعبيره![36]

وقد دخل إسعاف هذا (القراع الفكري) وهو الطابع المميز لهذه المرحلة، نورد خلالها فقرتين من مذكرات عجاج نويهض عن «الريحاني – وإسعاف والثعالبي» يقول فيها: «جعل إسعاف ينشر من حين إلى آخر فصولًا في صحف مصر، تدور حول موضوعات إسلامية دقيقة، لا يسلكها إلاّ مشيخة العلم... وابتدع إسعاف له طريقًا في إثارة الموضوع طردًا وعكسًا... بين كاتبين.. جعله يكتب ويرد على كتابته في نفس الموضوع، وسار على هذا الطريق، سنة أو أكثر»[37].

ويبدو الخلاف بين المدرستين جليًا واضحًا في قضية التعليم ورسالة المدرسة، والعلاقة بين الطالب والمعلّم، وما نتج عنه من صراع عنيف بين دعاة التجديد والمحافظين على القديم في اللغة ومختلف جوانب الحياة.

وقد عُرف أن السكاكيني وقف على رأس اتجاه التجديد في الأسلوب والموضوع، والتطوّر مع روح العصر، ومقتنيات الزمن في الكتابة الفنية في بداية عصر النهضة في فلسطين، وكان أصحاب هذا الاتجاه الجديد هم الذين يصنعون حياتهم بأيديهم، ويملكون زمام أنفسهم بأنفسهم، مجنحون إلى الواقعية المتماشية مع تطوّر العلم وروح الحياة العصرية[38].

ويشكّل التعليم في حياة السكاكيني، على الرغم من وجوهها النبيلة المتعدّدة، الوجه الأكثر وضوحًا وإشراقًا، إن لم تكن حياته كلّها هي جهده التعليمي الجليل من أجل فلسطين جديدة، فقد أسس «المدرسة الدستورية» في القدس عام 1909م، وأصبح في دائرة المعارف بلواء القدس من أجل إصلاح جهاز التعليم عام 1914م، وعيّن مديرًا لدار المعلمين في القدس عام 1919م، وهو العام الذي انتخب فيه عضوًا في المجمع العربي بدمشق، كما أسس بعد تقاعده «كلية النهضة».. أو» مصنع الرجال» كما قال عام 1938م. ذلك أنه اعتقد دائمًا «أن من المدارس الجديدة أن تعلّم الناس الثورة، لست أعني «ثورة السلاح» فإن ثورة السلاح أهون الثورات، وإنما أعني الثورة على كل قديم بالٍ، على الأخلاق الفاسدة، على النظم المعوجة...» على نقيض مدرسة تقليدية مستمرة حتى اليوم، تفصل بين التعليم وحاجات الإنسان الفعلية، فدعا إلى مدرسة توحّد بين المعارف وحاجات الإنسان، الاجتماعية منها والوطنية، وتعلّم التلميذ أن له حاجات كثيرة، إن أشبعها أصبح إنسانًا حقيقيًا ووطنيًا لا يباع ولا يشترى[39]. ويقول في رسالة لابنه سرّي:

«لا أزور مدرسة إلا بثثت فيها الحياة ونوّرت البصائر، وأرشدت إلى أحدث الأساليب في التربية والتعليم... وأهم ما أدعو إليه أن تكون الحياة في المدرسة حياة مرح وسرور ونشاط، وأن يكون التعليم صحيحًا يرهف العقل ويوسّع الإدراك...».

ثم يعود، في رسالة لاحقة، إلى تبيان هدفه، وشرح رسالته فيقول: «الشرق مريض فهو بحاجة إلى من يعتني به ويعالجه ويبث فيه الحياة، البلاد تحتاج إلى دم جديد وقد عاهدت نفسي أن أبثّ فيها هذا الدم الجديد لأطهرها من أولئك الزعماء الذين هم بقايا العهد الماضي... من الأفضل أن يذهب القديم في سرعة من أن يجيء الجديد في تأخر، فإن الخطر، كل الخطر أن يتعود الشباب انتظار الفرصة طويلًا، والصبر على القديم حتى الشباب نفسه قديمًا»[40].

وقد وقف إسعاف النشاشيبي على رأس المذهب القديم في كل نواحي حياته ونشاطه الأدبي، وكان شديد العصبية للقرآن الكريم واللغة العربية والحضارة الإسلامية ورجالاتها الأقدمين، وتبدو عصبيته هذه أوضح ما تكون في خطبته المطولة: «البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي».

ويبدو النشاشيبي في كل ما كتب وألقى من خطب مفتونًا بالقدامى، ففي مقدمته لكتابه «مجموعة النشاشيبي» الذي جمع فيه أقوالًا كلها للمتقدّمين، وكان قد أعدّ منهاجًا لتدريس

الطلبـة في صفوفهـم المختلفـة، يقـول: «... واعلم يا فتـى أن المتقدمين هـم الأعلون وهم المتقدمـون، وهم المجلّون في حلبة العلم العربي والأدب وهم الأسـبقون، وإنما دأبنا في هذا الزمان أن نسـتهديهم وهم هداة الحائر فيهدون، ونأتم بهم الأئمة فيرشدون، ونسألهم وهم الكرام فيحسبون، ونجدوهم الجود من شنآنهم فيجودون»[41].

ونـراه في التعليـم يؤكد على: اختيـار النصوص والتعليق عليها، ثـم الطلب من التلاميذ أن يحفظوها... وعليه كان يطالب أن تكون القراءة والسـماع وسيلتين من وسائله الأساسية في تعليم النشء وتثقيفه[42].

هـذه الحماسـة للقديم لدرجـة العصبية (والناريـة) واليقينيـة التقريرية المثـيرة في الكثير من جوانبها، يمكننا تلمّس أسـبابها من خلال البيئة الاجتماعية التي عاش فيها، والمنابع الأدبية التي تشرّب منها ثقافته.. هو ما جعل صوته هو الأعلى طبقة والأقوى نغمة والأشـد تأثيرًا (حسـب الدكتور حسـام الخطيب) ويضيف: «لقد اصطنع لنفسـه قضيتـين مترابطتين هما: «النهوض اللغوي، والنهوض الأخلاقي»، ووجّه لهما كل نشـاطه الأدبي، القولي والكتابي، وكذلك نشاطه التربوي: التعليمي التأليفي التفتيشي، لذلك كان اسمه كبيرًا جدًا في وجدان أبناء مرحلته، وبعبارة أكثر دقة كان ابن مرحلته البار»[43].

هكـذا، يمكننـا الاعتقاد، أن هذا الخلاف المنهجي في التعليـم والتربية والمدارس، هو الذي حمل لواء منهج المذهب القديم في مواجهة المذهب الطبيعي الحديث الذي حمل لواءه خليل السـكاكيني، الذي يختصره الدكتور إسـحق موسى الحسـيني، في كتابه «هل الأدباء بشر»؟ فيقـول: «إن النشاشـيبي حرص على إصلاح المنهـاج، فاختار منهجًا قويًـا، وعني بتحفيظ الطـلاب آيـات من القـرآن الكريـم وجنّبهم في مسـائل الفقـه المعقّدة، وعيّن معـه صديقه خليل السـكاكيني في شهر أيلول 1926م، مفتشًا آخر للغة العربية، وتخصص النشاشيبي في الإشراف على المدارس الثانوية، والسـكاكيني في التفتيش على المدارس الابتدائية. وبسبب اختلاف الصديقين في النظر إلى اللغة، وفي أسـاليب تدريسـها، وقع بينهما شقاق أخذ يتسع مع الأيام، النشاشيبي يدعو إلى الأدب القديم، ووضع نماذج بين أيدي الطلاب، وإلى العناية بقواعد اللغة عناية واسـعة، والسكاكيني إلى التحرر من أساليب القدامى، وإلى التعبير الحر الأصيـل، وإلى نبـذ القواعد جملة، أو الاقتصار على ما يعين منها على سـلامة التعبير والفهم الصحيح، ولم يكن ثمة سبيل إلى التوفيق بين المذهبين لبعد الشقة بينهما، وانصرف كل منهما في سبيله»[44].

ورافق ذلك، ظهور اختلافات نقدية بين السكاكيني والنشاشيبي في فلسطين، ظهور رائدين في لبنان هما: شكيب أرسلان وأمين الريحاني، اختلفا فيما بينهما بنفس المضامين النقدية بين الرائدين في فلسطين، فاندفع السكاكيني وأمين الريحاني يدافعان عن نهج المذهب الطبيعي الحديث في الكتابة والنقد، بينما اندفع النشاشيبي وأرسلان في التمسّك بالنهج القديم، وهكذا كان النشاشيبي يرد على الريحاني، بينما السكاكيني يرد على أرسلان، وبالعكس، في الأمور التي يتم الخلاف عليها، وبذلك ظلّ الصديقان محافظين على علاقتهما الشخصية على الرغم من اختلاف منهجيهما في الكتابة والنقد. فأسّسا مدرستين، لا بدّ من وجودهما في تلك المرحلة المبكّرة من عصر النهضة. وهكذا كتب السكاكيني كتابه «مطالعات في اللغة والأدب»[45] «والأصول في تعليم اللغة العربية»، وغيرها من الكتب والمقالات. وأضاف النشاشيبي كتاب «البستان»[46] إلى مجموعة النشاشيبي، وأصدر كتاب «كلمة في اللغة العربية»[47] «وقلب عربي وعقل أوروبي»[48] و«مجموعة: العربية وشاعرها الأكبر»، واللغة العربية والأستاذ الريحاني»، و«العربية في المدرسة»[49].

وفي ذلك كلّه، يعكس الخلاف بين المدرستين في الأمور التالية:

أولًا: اللغة في التعبير بما يتماشى مع النهضة الحديثة.

يقول السكاكيني في ذلك، «.. نصيحتي للكتّاب الناشئين أن يكونوا من أصحاب الكفايات قبل أن يكونوا من أصحاب الأقلام[50] ويقول في كتاب آخر»:

«... لم يكن هناك علم لغة أو أدب أو شعر. إذ لم يكن اللغوي لغويًا إلا على قدر ما يعي في صدره من ألفاظ اللغة وغرائبها وشواردها. فكان أشبه بالحفّاظ والرواة منه بالعلماء... ولم يكن الأديب أديبًا إلا على قدر ما كان يُغير على ألفاظ المتقدّمين فيسردها سردًا ويكيلها جزافًا. فكان أبرعهم في الأدب من إذا كتب في موضوع نسخ كل كلمة فيه من كلام متقدمي الأدباء والكتّاب، ولو سلخ في تفقد اللفظة والتفتيش عنها من مظانّها الأسبوع والأسبوعين..؛ بل كان من الأدباء ولا يزال منهم إلى اليوم من إذا أراد أن يستعمل كلمة بحث عن عمرها فإذا لم يربُ على ألفي سنة أو ألفٍ على الأقل فلا يستعملها؛ بل كان منهم ولا يزال كثيرون إلى اليوم من إذا جاء بكلمة أتبعها بمرادفاتها على غير اقتضاء ولا مناسبة، تبجحًا بكثرة محفوظه وسعة معرفته..

إن الأديب كان أشبه بالناسخ، بل الماسخ منه بالأديب..»[51].

ويقول في موضع آخر من الكتاب نفسه: «نحن في عصر تغلبت فيه روح الاقتصاد، فإذا لم يراع الكاتب الاقتصاد فيما يكتبه، في وقته ووقت القارئ، لم يجد من يقرؤه... إذا لم يرتكز الأدب فيه على العلم فلا قيمة له»[52].

ثم يقول في موضع ثالث من الكتاب نفسه: «إن الناس كانوا يميلون إلى التكلّف في الكتابة، فصاروا يميلون إلى الأساليب الطبيعية فيها. كما كانوا يتكلّفون في كل شيء، فصاروا طبيعيين في كل شيء. التطوّر ناموس عام... فما من عنصر من عناصر الحياة إلا خاضع له رضينا أم كرهنا. ومن لا يؤمن بهذا الناموس فقد جهل كثيرًا، واللغة خاضعة لهذا الناموس، وأنه ما من سبيل لإخراجها عن حكمه. إنّ الناس صاروا يميلون في كل مظاهر الحياة إلى الأساليب الطبيعية، وليس شيء أثقل على الروح في هذا العصر من التكلّف.

فالأسلوب الطبيعي للكتابة أن يكتب الإنسان كما يفكر، وكما يتحدث، فمن حاول أن يكتب ما لا يفكر فيه أو يتحدث فلم يحاول أن يكتب ما لا يفكر فيه أو يتحدث به، هو أو غيره، وما لا يلائم الحياة في شيء فقد تكلّف. قد يكون تفكيره أو حديثه شيئًا وما يكتبه شيئًا آخر... قد يترجم حديثه نفسه وأما كتابته فلا... إذا أراد الكاتب من أصحاب المذهب القديم أن يكتب فلا يستوحي عقله أو قلبه، ولا يستعمل من الألفاظ ما يؤدي مراده ويناسب المقام ويفهمه الناس، ولكنه يستوحي القدماء، يفتش عمّا قالوه في موضوعه، في كل مظنّه، فيستعير معانيهم وألفاظهم ويدّعيها لنفسه. لا تقرأ شيئًا لهؤلاء الكتّاب إلا أحسست أن كل لفظة فيه ليست لهم. كان القدماء يستحسنون (التضمين)... و(الاستعانة)... و(الإيداع)... و(الاقتباس).. و(التلميح)... و(العقد)[53] ويقول:

«وأما اليوم فإن أصحاب المذهب الجديد لايميلون إلى شيء من هذا، فإنّك لا تجد فيما يكتبونه آية أو حديثًا أو مثلًا أو شطرًا أو جملة من بيت؛ بل لا تجد كلمة ليست لهم أو لا يعنونها[54].

وبنفس الاتجاه يرد النشاشيبي على أمين الريحاني، فيقول:

«... وجدت الأستاذ االريحاني يعيب في مقاله التقليد والإعراب، ويهجّن (اصطلاحات واستعارات يشغف بها المقلّدون) ويعدّ الإنشاء فنًا – والتجاوز في الكلف بالفن خسران واللغة ذريعة – واتخاذ الذريعة غاية ضلال – ويرى أننا محتاجون جد محتاجين إلى الذي هو أنفع إلى العلم الغربي الحق، فلا يجوز أن يشغلنا الكلام المزوّق عنه، أجل إن في هذا العصر

من يقلّد المتقدمين، ومن يشمله اللفظ الغريب، ومن يستجيد الاستعارات ويستعملها، فتظلم فيها معانيه، ولكني (والحمد لله) لست كأحد منهم فما أنا بالمقلّد أديبًا قديمًا أو حديثًا؛ بل ممن ينعى على ذي التقليد تقليده»[55]. ويقول:

«وقد ألاقي الكاتب العظيم من المتقدّمين فلا يسيطر علي، ولا أمشي وراءه، وله قوته وطريقته ولي ضعفي، وطريقتي، وقد يكون متقدّمٌ بعد التحقيق ضعيفًا متأخرًا... وقد تكون طريقته مضلّة، فلست إذًا مقلدًا في القول أحدًا، وإنما هي ألفاظ عربية مضرية عرفتها، وأسلوب عربي مبين عقلته، وملكة جاءت، ثمّ كلام هو ذوب روحي وابن نفسي وخليقتي وطريقتي، وفي الخلق شدّة وفي النفس قوة، وفيها وضوح ظاهرها كباطنها وباطنها كظاهرها»[56]. ويضيف:

«فأنا أشنأ التزويق في الكلام وأشنأ هذه الاستعارات المخسرات، وأبغض بديع الجماعة فلا أعرج إلا على القول المبين ولا يجيء إلا الجملة البيّنة. وكرهي الغريب الذي ذمّوه ككرهي الاستعارة الممقوتة. وما هذه الألفاظ التي يطلبها مكانها ويحسبها بعض الناس غريبة (وما هي غريبة ولا تشبه الغريب)، إلا ألفاظ مضرية لا حميرية ولا يمانية، وليست من ألفاظ حضرموت أو الشحر فلا تذمنها (يا أخا العرب) ولا تنكر منها ولا ترينّها غريبة، واعرضها على السمع لا يمجّها، وحرك اللسان فهو لا يستثقلها، وما غرب مثلها إلّا تقهقر أمة، القارئ في بدوها وحضرها في الألف واحد. ولو كان لها حال كحال الأمم ما أنكرت معروفًا ولا استغربت غير غريب»[57].

هذه خلاصة لأصول هذا الاتجاه وخواصه، وقد كان حامل لواء هذا المسرب الأستاذ إسعاف النشاشيبي، ومن هنا، كانت حرارة الدفاع عن هذا المتّجه صادرة عنه... والحق يقال إن الأستاذ النشاشيبي كان بريئًا من التقليد. إنّه ورد تلك الينابيع العذبة الصافية وفتن بها وجعلها أساسًا ثابتًا قويًا لمبانيه الشامخة... وإنما هو علم كبير يُعدّ في طليعتهم، يجلس إلى جانبه بديع الزمان أو غيره. من الأعلام الكبار، فلا يتزحزح عن مكانته... إنّ فيه تلك الضخامة التي ورثناها عن الجاهلية وصدر الإسلام.. والمتانة التي انحدرت إلينا منهم بغير شوائب تشوبها. ولكلامه وقع في أعماق القلوب، ومستقر ثابت مكين في النفوس.. لا تحس فيه صناعة مجلوبة ولا حليّة مغصوبة ولا ركاكة ولا عوج..»[58].

ثانيًا: المقابلة بين الشرق والغرب في المدرستين.

هذه المقابلة بين المدرستين قد تطوّرت بحكم ظروف الحياة التي ألمت بهما، وأخذت مضامين جديدة، من بينها، أن الناس قد دهشوا أمام الغرب الذي يصنع المدنية وأخذوا يتلمسون موطئ أقدامهم، وكان الكتّاب من بينهم، وكانت أيضًا، دافعًا في تطوّر مضامين بين المدرستين. وحين سئل خليل السكاكيني: أيهما أسعد الغرب أم الشرق، والمقابلة بينهما، أجاب:

«نعم لست من أولئك المتشائمين وإن كثر عددهم، وكذلك لست من أهل الخيال الذين يهيمون في كل واد ويتصورون المستقبل، لا كما يجب أن يكون. التشاؤم مرض في الدماغ والإغراق في الخيال ضرب من الجنون... ولكني ممن يعتقدون بمذهب النشوء والارتقاء، وأنه لا يصح إلّا الصحيح، ولا يبقى إلّا الأنسب رضينا أو لم نرضَ...»[59]. ويضيف: «فإذا جاز لي أن أقول كلمتي في هذا الموضوع فإني أرى أن الشرق أسعد حالًا من الغرب... الفضل في كل ما نراه من مظاهر تمدّن أوروبا وترقيتها راجع أكثره إلى وسائط لا إلى مبادئ... وسائط تمنعهم من الإخلال بالأمن، وتمنعهم من أن يخرجوا عن العدل وتجبرهم على التعليم»[60].

وقد ذكر السكاكيني، أن هذه القناعة مصدرها «ما رآه من سفره إلى أوروبا وأميركا والمعيشة فيهما والاختلاط بالناس من مختلف الطبقات»[61].

وهكذا آمنت مدرسة السكاكيني النثرية بمذهب النشوء والارتقاء، وبناموس التطوّر، وبما يتبع الإيمان بهما من قيم التفاؤل، ونبذ الأوهام والخيالات وجنوح الواقع ومزج بين الحس والفكر.

وفي جانب آخر، آمنت كذلك مدرسة النشاشيبي بهذا المذهب، فنراه يقول:

«فالعربي الذي يُكرّه إلينا المدنية الغربية، ويثلّب علمها ونظامها، ويسخر من روّادها لا يروم كي وحياتكم – أن نجافي هذا الوجود أو أن نسود؛ بل يريد أن نبدأ أو أن نعود في الناس مثل العبيد... ثم يدعو إلى أن تحمل هامة العربي (عقلًا أوروبيًا) كما يقلّ صدره (قلبًا عربيًا). والنشاشيبي، منذ نهاية الحرب الكبرى الأولى، منصرف إلى التعليم ونشر رسالته في حب العرب والعربية بصوت عربي فصيح، وجرأة كانت على خصوم العربية كحد السكين[62].

ويقول في مقالة أخرى:

«عكف الآباء على علوم يونان عكوف الصوفي على أحزابه وأوراده، وطفقوا ينقلون إلى هذه اللغة ما ينقلون ويشرحون ويلخّصون، ويهذّبون، وينتقدون وقد تيمتهم ما اشتملت عليه من الآراء البارعة الباهرة، والمباحث الرائعة الساحرة، وأخلق بعاشق العلم أن يستهويه العلم. ولم يمقت الآباء آراء أفلاطون وأرسطو مقت الأبناء أقوال داروين وسبنسر وهيجل، ولم يعرض السلف عن الخير في ذلك الزمن أعراض الخلف؛ بل الخلف الخالف عنه في هذا العصر»[63].

ويضيف: «ولم يتولهم الإعجاب بأدبهم العربي فيصدهم عن الكلف بالعلم الإغريقي...

جفوا رسول الجهل ومقتوه، ولم يأبوا إلّا الذي هم محققون بأن يأتوه. والعلم الحق لن يلقاه في هذا العصر ناشده ولن يجده رائده إلّا في الإقليم الإفرنجي، فإن أهل هذا الإقليم قد هجروا الكرى منذ قرون والمشارقة هاجدون، وأقبلوا يفكرون ويحققون. حتى جاء «باكون» رب الطريقة الاختيارية في الفلسفة، و»نيوتن» الذي هدى العلماء بجاذبيته إلى ما هداهم إليه... و»سبنسر» البحاثة الاجتماعي وواضع فلسفة النشوء والمنعوت عقله بجبار العقول و»داروين» صاحب المذهب الذي ورد على كل ناد وولج كل بيت، وشرّق وغرّب وأقعد الإنسان في مقعده، وجاء البخار والكهرباء والصحيح من علمي الطبيعة والكيمياء... وجاء علم الإنسان وعلم الحياة.. وجاء الأستاذ (أرنست هيجل) الذي أدرك ما لم يعلم، والذي بثّ مذهب النشوء في ألمانيا وصارع خصومه فصرعهم، والذي قال بالوحدة، وكان رسول هذه النحلة إلى الناس»[64].

ثالثًا: السكاكيني والنشاشيبي مدرستان في حياة النقد

يمثّل السكاكيني حالة فريدة في ثنائية النقد الساخط والتفاؤل، فقد أخضع الظواهر كلّها إلى نقد شديد متواتر، لا مساومة فيه ولا ارتباك، واحتفظ داخله بأقساط من التفاؤل القلق، لا يتلاشى حتى في أكثر الأزمنة ضيقًا، ويعود هذا، بداهة، إلى «فلسفته الذاتية» التي تقول «إن على الإنسان أن يستمر في الحياة طالما أنه مستمر في خدمة أهله وخدمة الآخرين»[65] بيد أن التفاؤل لا يمنعه أن يكتب في يومياته عن وجوه السلب المختلفة في المجتمع الفلسطيني، فيقول: «عن تهافت الكثيرين على إرسال أولادهم إلى بلاد الإنكليز في طلب العلم، ولكن يخيّل إليّ، وأرجو أن أكون مخطئًا، أنهم لا يرسلون أولادهم إلى بلاد الإنكليز إلا طمعًا في أن ينالوا بعد رجوعهم منها الوظائف العالية، لا قيمة للعلم ولا للثقافة عندهم إلّا على قدر ما ينالون من الوظائف، فلولا الوظائف لما فكروا في إرسال أولادهم إلى المدارس العالية»[66].

ويضيف: «ما قيمة الإنسان إذا لم يكن على جانب من العلم والثقافة؟ بل أعتقد أن الإنسان لا يكون إنسانًا إلّا إذا كان مثقفًا ولو اضطر أن يكون سواقًا أو كناسًا»[67].

وفي مذكراته بتاريخ 7/ 1/ 1933م، يعتبر أن الثقافة هي معنى الحق والقوة اتكاء على منظور متحرر من القدرية الساذجة والبلاغة الموروثة والأوهام اللاهوتية المخدّرة، لم يكن السكاكيني، في ملاحظته، يشرح «فلسفته الذاتية» بقدر ما كان يواجه الوعي المتخلّف بوعي منفتح على الواقع والعالم وطبيعة العدو الصهيوني[68]:

«القوة القوة هذا هو التعليم الجديد الذي يجب أن نشربه، من الناس من يقول إن للحق قوة، ومنهم من يقول إن للقوة حقًّا، وإذا تأمّلنا قليلًا، رأينا أن الحق يجب أن يكون للقوة، بمعنى أن القوي في جسمه وعقله ونفسه أحق من الضعيف في جسمه وعقله ونفسه بالوجود. الأقوياء هم الذين يرثون الأرض، حق القوي حق مريح ثابت يستند على عقل صحيح وجسد صحيح ومبدأ صحيح. وأما حق الضعيف فهو حق مزعوم باطل يستند على عقل ضعيف ومبادئ منحطة وشعور مختل وجسد مستقيم..»[69].

وإذا كان السكاكيني قادرًا على النفاذ إلى الجوهر الصهيوني، لأنه لا يعرف «الشعور المختل»، وقادرًا على تحليل حسابات الضعفاء، لأنه يملك عقلًا صحيحًا، فقد كان واعيًا بدور السيطرة الاستعمارية الإنكليزية، التي كانت تقمع التمرّد الفلسطيني بعنف وبلا هوادة، وتواجه العدوان الصهيوني بلين وتباطؤ وتساهل، كما جاء في كثير من يومياته، كأن يقول:

«وإذا كنا ننعي على الترك ظلمهم وانحطاطهم واستبدادهم فقد رأينا من الإنكليز، من هذه الأمة الراقية، التي أنجبت كبار الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء، ما لا يذكر بجانبه ظلم الأتراك وانحطاطهم واستبدادهم، فكان شأننا شأن المستجير من الرمضاء بالنار... ما أشبه الإنكليز في فلسطين اليوم بالرومانيين في عهد المسيح فيها، سلّموا المسيح لليهود فأخذ هؤلاء يصبون عليه نقمتهم..»[70].

يضاف إلى هذا التصور، الذي يرى الحداثة الاجتماعية ولا يرى أسبابها، تصور رومانسي للثقافة، مؤمن بالفرد الطليق الذي يحرر المجموع المكبّل، ومؤمن أكثر أن «الثقافة في ذاتها» ارتقاء، كما لو كانت الثقافة لا علاقة لها بالمصالح والأهواء والطبقات الاجتماعية. وهذا ما جعله ينظر بغضب ومقت واحتقار إلى «حملة الشهادات العليا»، الذين يحلمون بوظيفة تقربهم من السلطة وتمدّهم بامتياز اجتماعي، علمًا أن «المعرفة»، في المجتمعات الفلاحية

جميعها، كانت ولا تزال أداة موائمة تجسّر المسافة بين «المتعلّم» و«المتسلّط» وتحوّل لزومًا، «المتعلم» إلى «متسلط» جديد»[71].

يصدر نبل خليل السكاكيني ومأساته عن إيمانه العميق «بالمثقف الراقي»، وذلك في مجتمع عضوي، مأخوذ بالعائلة والطائفة، لا يلتفت ولا يقبل به ولا يعترف بدوره، لأنه يرى في المثقف مساسًا بالتقليد المتوارث القديم وتعريضًا به. وهذا ما يفرض على «المثقف الراقي» في حال وجوده، إما الانسحاب من المجتمع والاكتفاء بالعزلة، أو الاندراج في تصورات المجتمع ومعاييره، التي تصيّر المثقف الحديث «كاتبًا سلطويًا قديمًا»[72].

بهذه القيم النقدية، وهذا المنهج الجديد شق السكاكيني طريقه في حياة النقد، وكان موقفه واضحًا بيّنًا وميزانه دقيقًا سليمًا.. تستطيع أن تحكم على ضوء هذه المقاييس ما يكون موضع رضاه من الآثار وما يكون موضع سخطه[73].

فحين جاءته دعوة من لجنة إحياء ذكرى أحمد شوقي في مصر... وطلبت أن يقول كلمة... قرر أن يعتذر، أولًا لأن الداعين إلى الحفلة حكوميون يقصدون من إحياء ذكرى شوقي معارضة خصومهم الوفديين الذين لأمر ما يؤثرون حافظ إبراهيم عليه، كأنهم إذا اختلفوا في السياسة لم يكن بد من أن يختلفوا في الأدب وغير الأدب، وهذا عجيب. «ومعاذ الله أن يشترك في حفلة ليس القصد فيها خدمة الأدب؛ بل خدمة أغراض سياسية، وقضاء شهوات وحزازات تبعثها الخصومة في السياسة، ثانيًا لأن له قياسًا للشعر إذا قاس به شوقي كانت كفّته مرجحة، ولم يبق له من هذه المزايا الشعرية التي يدعونها له وينحلونه إياها إلا الشيء القليل الذي لا يغني ولا يسمن، على حين أنهم ينتظرون إذا حضر حفلتهم أن يجاريهم في دعواهم فيكيل المدح كيلًا. تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا»[74].

«ولم نرض عن الأخطل لأنه قبل أن يبيع ضميره ولسانه فهو مثل كثيرين من أصحاب الصحف والأقلام والألسنة في هذا العصر الذين يشتغلون بنشر دعوة دون أخرى مأجورين، فلو كان الأخطل في هذا العصر لوضع لسانه في سوق المزاد... لذلك نادينا بأعلى أصواتنا: ليسقط الأخطل»[75].

وحين يتحدث عن الشاعر الشعبي (أبو دياب)... ويجد قيمه متخاذلة منقرضة رجعية، لا يرضى عن تلك القيم، ولكنه يرضى عن الشاعر لأنه مبتكر وليس من المقلّدين، فهو يصدر عن نفس صادقة في كل ما يقول، ولهذا كان موضع تقدير

الأستاذ السكاكيني لأصالته، بينما لم يرض عن قيمه»[76].

ومن هنا كان إعجابه بإبراهيم طوقان شاعرًا لأنه لم يعرف التقليد، فكل لفظة وكل معنى من خلقه هو، ومن ممتلكاته هو لا تجد وجهًا آخر يختفي وراءه غير وجه إبراهيم[77] والأستاذ السكاكيني من أوائل الذين حملوا على نظرية (النقد بالذوق الموهوب) حين عرض لنقد الدكتور طه حسين لقصيدة حافظ إبراهيم في الدستور سنة 1923م، فيقول: أجل، الأستاذ على أن يحيلنا في إدراك ذلك الجمال وتلك الروعة على الذوق، فإننا نعتقد أن هناك أصولًا للجمال وشروطًا لروعة الفن.[78]

تلك كانت قيم خليل السكاكيني النقدية، وطريقته في تطبيق تلك القيم، ونزاهته وأمانته في التطبيق، وثقته بنفسه وبمقاييسه[79].

يقول الدكتور إسحق موسى الحسيني: «ولقد دخل السكاكيني في مجالات ومجاذبات مع أصحاب الرأي الفني داخل فلسطين وخارجها، عمّقت من قناعاته، وحصّنت آراءه، وبلورت أفكاره، وكان من ثمراتها كتابه «مطالعات في اللغة والأدب» خرج فيه عن المألوف المتحجّر والجمود المعوّق، وكان أثر الاجتهاد فيه واضحًا ومثلًا قويًا على قدرة السكاكيني في البحث والمحاضرة، وهو في محاضرته اللغوية يجري بها على ناموس النشوء والارتقاء»[80].

نشير في هذا المجال، إلى أن نقاطًا كثيرة، ومواضيع متعددة طرحها السكاكيني في كتابه، الذي يعد أول كتاب يطرح موضوع الجمود والتكلّف حتى ذلك العهد، إلّا أنه يمكننا أن نستخلص خصائص الأسلوب الجديد الذي يدعو إليه من خلال ما اقتطفناه من فقرات بالخصائص التالية[81]:

1. المحل الأول للمعنى فهو الغاية. والثاني للفظ فهو وسيلة.

2. مواكبة العلم وتطور الحياة وروح العصر هما المعايير الأساسية لتطور اللغة والأدب.

3. الأسلوب الطبيعي للكتّاب، أن يكتب الإنسان كما يفكر وكما يتحدث، وليس كما فكّر ويفكّر الآخرون، وإلّا كان تقليدًا.

4. تجنب التطويل والتكرار واستخدام المترادفات، بل النزوع إلى الإيجاز والاختصار.

5. الكتابة للعامة لا للخاصة، بعد أن حلّت الديمقراطية محل الأرستقراطية في مختلف مناحي الحياة.

6. تجنب الاستعارات والتعبيرات الخيالية.. واستخدام الألفاظ المحددة الدلالات الواضحة المعنى.

ويصف الدكتور ناصر الدين الأسد هذا الأسلوب الجديد وحماسة السكاكيني في دعوته إليه: "وإذا ما نظرنا إلى حماسة السكاكيني في دعوته إلى هجر ذلك الأسلوب القديم واتباع الأسلوب الحديث على ضوء ما كان شائعًا في عصره من أساليب الكتابة – كان لا بد لنا أن نقدر دعوته قدرها، وأن نجد فيها خيرًا كثيرًا يعود على الكتابة وأساليبها ويزداد تقديرنا للسكاكيني ودعوته حين نعدها وسيلة من وسائل التربية والتعليم كان يأخذ بها تلاميذه وينشئهم عليها حتى يعتادوا الدقة في التعبير والتفكير، والتوفيق بينهما توفيقًا طبيعيًا لا تصنّع فيه[82].

ونشير أيضًا إلى أنه نشر مقالًا حول «تطور الصحافة» في جريدة السياسة بتاريخ 22 آب/ أغسطس 1932م، نشرها في كتابه «مطالعات في اللغة والأدب» تحدّث عن عناية الصحافة بالعلم والأدب، ومما يقول فيها:

«إنّ صحافة كل أمة تابعة لها، لا تجد صحافة راقية في أمة منحطّة، ولا تجد صحافة منحطّة في أمة راقية، ومن قابل صحافة اليوم لما كانت عليه إلى عهد قريب، رأى أنها دبّت فيها الحياة، وأخذت تترقى يومًا فيومًا تبعًا لنهوض الأمة وتطورها».

ويضيف: «جعلت الصحافة تعنى بالعلم والأدب عنايتها بالسياسة فكانت السياسة سببًا لترويج العلم والأدب، وكان العلم والأدب سببًا لترويج السياسة، فهي أول وهما المحل الثاني، أو هما أول وهي المحل الثاني».

ويضيف أيضًا: «ولا بد أن يقل عدد المتطفلين على الكتابة بعد اليوم، ولا بدّ أن يرتقي ذوق القراء فلا تقرأ جريدة لا يشترك في كتابتها صاحب كفاية... لن يكتب بعد اليوم في السياسة إلّا الاختصاصي في السياسة، ولن تكتب في الأدب إلّا الاختصاصي في الأدب، ولن يكتب في العلم إلّا الاختصاصي في فرع من فروعه، ولن يكون صاحب كفاية إلا مقدورًا قدرة»[83].

بهذه القيم والمعايير الأدبية النقدية واجه السكاكيني القيم والمعايير التي كانت سائدة في النقد الأدبي والفكري والسياسي، برزت بجلاء في محاورته مع الأمير شكيب أرسلان، وهو – في حد ذاته موقفه من دعوات إسعاف النشاشيبي الذي يدافع عن اللغة العربية في أصولها

وجذورهـا، فيقول: «فقد آثرت الطبيعة قطين منها في الريح باللغة العربية كما آثرت غيرهم مـن الأمم بغيرهـا، ولكن هذه اللغة لم تكن في أول يوم أنيقة مجوّدة كما حملها إلينا (الكتاب) المعجز وقصائد شـعرائها فقد كانت مثل شـقائقها، فشـذ بها الدهـر، وصقلها حتى عادت كالرذيلة المشـوّفة، وهذا صنع (الانتخـاب الطبيعي)[84]. وفي غضون ذلك يؤكد: «وكادت شيعة البديع تقوّض من أجل النكتة البديعية قواعد العربية تقويضًا»[85].

ويلقـي نظـرة إلى أصحاب المذهب الجديد فيقول: فماذا يرى اليوم المتسـمون بالمتجددين أو المجددين وفي أي سـبيل يهوون المسير؟ أيرون أن ننقلب إلى القديم فيجود القول ويستقيم. وتوقـى الوحـدة العربية بصون الأسـاليب العربية وتترجـل الأمة وتتفحّل مـن بعد خنثها وتأنّثها، باسـتظهار الكلام الفحل الجزل، ويتهذّب ذوقها، بمؤالفة الأقوال المهذبة المنتقاة، وتكـون هـذه الأمم العربية في الوجود شـيئًا مذكورًا. أيرون هـذا أم يضادوننا فيذهبون إلى غير هذا المذهب الهدوي وينبري لنا مدارهم قائلين، إن الزمان ليضيق عن الإحاطة بالعربية والتوغّل في آدابها، وإن سـنة ارتقاء اللغات تخالف شريعة المتمسـكين بالقديم، وأن المعوّل عليه هو المعنى ليس اللفظ، وما أمر اللفظ عند العلماء بذي بال»[86].

وعـلى الرغـم من أنه يوجّه انتقـاده في مقالته إلى أمين الريحـاني، إلا أن المقصود هو الرّد على السـكاكيني كما أسـلفنا. فنراه يؤكد: «وأقاويلهم هـذه (يا أخا العـرب) أضاليل وأباطيل، والباطل مضمحلّ فلا تغرّنك جولته. وللحق الحكم في كل حين فاسمع حكمه»[87].

ويتنـاول حجج هؤلاء المجدّدين، ومما أشـار إليه الردّ عـلى أولوية المعنى فيقول: وأما قولهم «إن المعـوّل عليـه هـو المعنـى لا اللفظ، وإن الثـاني ليس بذي بـال، فهو قـول أملاه الخبث والعجـز والجهـل»[88] ثم يعلن بعد ذلك كلّه: «وإن انبرى زنيـم في العلم فقال: إن الأمة لا تفقـه القـول إن اتصف بما يبغيـه منا، وإن المعاني لتعمى عليها، أجبنـاه إن كنت تعني بالأمة جهالهـا فهـؤلاء لا يعبأ بهم عاقل، وهؤلاء لا يبالون أصح القول أم سـقم. والجاهل خارج عن الدائرة لا يجري عليه حكم ولا يعدّ في الناس»[89]. لكنه يعترف بأن لكل دهر لغة، وأن لطبيعة العصر سلطانًا، ولكنه أيضًا يتخذ أزهى العصور مثالًا يهتدي بهديه فيقول: «إننا كلما ابتعدنـا عـن زمان القرآن ابتعدنا عـن جمال تلك اللغة المضرية العربية»[90]. ويورد إسـعاف النشاشـيبي أمثلـة متعددّة على الاختـلاف في الأدب ويبيّن وجوه اختلافهـا على ذلك بأدلة علميـة عقليـة وفنية آمن بها، وبينه وبين خليل السـكاكيني قدر كبير مشـترك جعل أحدهما يقـدر الآخـر، يرضى عن أصالته لمذهبه ومعاييره، فحرص النشاشـيبي عـلى عدم التكلّف،

وعـلى التأنق الأصيـل في الكتابة، وعلى قبول مبدأ الشـعر في اللغة، وسـخطه على الضعف والركاكـة، وطلبـه للأدب الذي يبعـث القوة في النفـوس حتى تترجل الأمـة وتتفحل من بعـد خنثها وتأنثها، كل ذلك جعل الاثنين، السـكاكيني والنشاشـيبي، راضين عن بعضهما ومتلازمين بحب بعضهما الآخر، ومضى كل منهما في معاييره وقيمتها النقدية، واقفًا أصيلًا شامخًا لإلى جانب مذهبه بقيمه ومعاييره.

ويبدو لنا، أن همّ الأديب والشاعر العربيين أن يحدّدا مقوّمات القيمة، وكذلك كان الاهتمام بالمعايـير مـن أهم مـا يدور في الصراعـات النقدية والأدبيـة في تلك المرحلـة، والأمثلة على ذلك لا تحصى في تاريخ النقد الأدبي، خاصة إذا انتقلنا إلى ما يمكن تسـميته (عصر النهضة العربيـة) الذي بـدأ فيه صراع القيمة والمعيار في الدول العربية التي تكافح ضد الاسـتعمار، ومـا قدّمناه جزء من ذلك الصراع في فلسـطين، وتطوّر إلى أن أصبح الصراع الأيديولوجي هو المهم، وكذلك الصراع الفني والبنيوي في النصف الثاني من القرن العشرين.

الهوامش

1. أحمد سامح الخالدي: الإعلام بفضائل الشام، القدس 1946م، ص 13 – 14.

2. محمد رفيق التميمي: ولاية بيروت – القسم الجنوبي، بيروت 1335هـ، ص 62.

3. "النفائس العصرية" جزء 4 مجلد 2، 1910، ص 242 – 244. نقلًا عن: الدكتور عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث (من أول النهضة – حتى النكبة)، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001م، ص 41.

4. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 57.

5. بشار دوماني: إعادة اكتشاف فلسطين – أهالي جبل نابلس، 1700 – 1900، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله 2011م، ص 14.

6. وصفي البنّي: حول القضية الفلسطينية (مقال)، مجلة "الطريق" مجلده، جزء 17، ص 4 – 5.

7. حسيب نمر: قضية فلسطين (مقال) مجلة "الطريق" مجلد 6، جزء 7، ص 41 – 49.

8. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 60 – 61.

9. راجع في هذا المجال: د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، الصفحات 62 – 118؛ د.محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1987م، الصفحات 21 – 28؛ د.كامل السوافيري: الأدب الفلسطيني المعاصر في فلسطين دار المعارف 1979م، الصفحات 30 – 60؛ د.عبد الرحمن الكيالي: الشعر العربي الحديث في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1975م، الصفحات 43 – 51؛ د.قسطندي شوملي: الاتجاهات الأدبية والنقدية في فلسطين: دار العودة، القدس 1990م، الصفحات 1 – 38؛ جهاد أحمد صالح: التشكيل الروحي والبيئة الثقافية في القدس، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م، الصفحات 47 – 113.

10. من مؤلفات الأستاذ خليل السكاكيني:

- "الاحتذاء بحذاء الغير"، القدس 1896م.
- "النهضة الأرثوذكسية في فلسطين"، القدس 1913م.
- "فلسطين بعد الحرب الكبرى"، القدس 1920م.
- "الجديد – بأجزائه الأربعة"، القدس 1924 – 1933م.
- "مطالعات في اللغة والأدب"، القدس 1920م.
- "سرى"، القدس 1935م.

- "الدليـل – جـزءان – القدس، 1934، 1936م، ثم جمعها في كتـاب واحد عنوانه "الأصول" في تعليم اللغة العربية، القاهرة 1952م.
- "حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد اللغة"، القدس 1938م.
- "لذكراك"، القدس سنة 1940م.
- "ماتيسر" جزءان – ، القدس 1943، 1946م.
- "وعليه قس"، القدس 1943م.
- "معالم التاريخ القديم" القدس، – بالاشتراك مع وصفي عنبتاوي وأحمد خليفة.
- "كذا أنا يا دنيا"، يوميات خليل السكاكيني، القدس 1955م.

11. من مؤلفات الأستاذ إسعاف النشاشيبي:

- كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه، القدس 1916م.
- مجموعة النشاشيبي، القاهرة 1923م.
- قلب عربي وعقل أوروبي، القدس 1924م.
- البستان، مصر 1924 ثم 1927م.
- كلمة في اللغة العربية، القدس 1925م.
- مجموعة: العربية وشاعرها الأكبر، العربية والأستاذ الريحاني، العربية في المدرسة، مصر 1928م.
- البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، القدس 1932م.
- مقام إبراهيم، القدس 1931م.
- الإسلام الصحيح، القدس 1936م.
- نقل الأديب، بيروت 1956م.
- أمثال أبي تمام الطائي – نشرها في النفائس العصرية.
- أمالي النشاشيبي.. (مخطوط).
- الأمة العربية.
- حماسة النشاشيبي.
- جنة عدن (الأرقام 14 – 15 – 16) لا يعرف ماذا فعل بها الزمان.

12. خليل السـكاكيني: كذا أنا يا دنيا: سلسـلة إحياء التراث الثقافي الفلسـطيني (8) الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – الأمانة العامة – بيروت 1982م، (ص 382).

13. المصدر نفسه.

14. المصدر نفسه: ص 182 – 183.

15. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 164.

16. المصدر نفسه.

17. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا: القصيدة "إلى سلطانة" وهي من تسعة أبيات، قالها في 1907/ 10/ 3 ص3.

18. المصدر نفسه: ص 30 – 31، وهي قصيدة من عشرة أبيات كتبها في 1908/ 7/ 11م.

19. إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر، بيروت 1950م، ص 74 – 75.

20. إسعاف النشاشيبي: قصيدة "في ذكرى فتاة مكدونيا"، من ثلاثة وثلاثين بيتًا من الشعر، نشرها في مجلة النفائس العصرية – الجزء الأول – تشرين الثاني 1909 – المجلد الثاني ص 50 – 52.

21. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، المصدر السابق، ص 115.

22. د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 221.

23. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، المصدر السابق، ص 303.

24. المصدر نفسه: ص 305 – 306.

25. المصدر نفسه: ص 307 – 308.

26. المصدر نفسه: ص 309 – 310.

27. د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 222.

28. إسعاف النشاشيبي: البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، بيروت 1956، انظر الصفحات 69 – 71.

29. فيصل دراج: مقدمته في الجزء الأول من "يوميات خليل السكاكيني – يوميات، رسائل – تأملات 1907 – 1912م، إصدار مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2003م، ص 12.

30. المصدر نفسه.

31. جهاد أحمد صالح: مصدر سبق الإشارة إليه، انظر الصفحات: 18 – 21.

32. إسعاف النشاشيبي: الإسلام الصحيح، القدس 1936م.

33. المصدر نفسه: المقدمة ص 4.

34. المصدر نفسه: ص 8.

35. حول موضوع "الطبقات في الإسلام" راجع: الإسلام الصحيح، الصفحات 260 – 272.

36. د.عبد الرحمن ياغي: مصدر سابق، ص 392.

37. عجاج نويهض: الريحاني – وإسعاف والثعالبي"، مجلة القلم الجديد، السنة الأولى عام 1952م، الصفحات 19 – 20.

38. جهاد أحمد صالح: المصدر السابق، ص 50.

39. انظر في هذا المجال:

- خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا (المدرسة الدستورية) المصدر السابق، ص 51 – 52.
- خليل السكاكيني: يوميات: الكتاب الأول 1907 – 1912، ص 347 – 348.
- فيصل دراج: مقدمة الكتاب الأول ليوميات السكاكيني، مصدر سابق ص 21.
- جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني، مصدر سبق الإشارة إليه، ص 40 – 50.

40. فيصل دراج: المصدر السابق، ص 20 – 21.

41. إسعاف النشاشيبي: مجموعة النشاشيبي (مقدمة الكتاب الأول) مصر 1925م، ص7.

42. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق.

43. د. حسام الخطيب: النقد الأدبي الفلسطيني الحديث (1900 – 1985) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الجزء الرابع.

44. د. إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر؟ انظر الصفحات 60 – 61.

45. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، القدس 1925م.

46. إسعاف النشاشيبي: البستان مصر 1927م.

47. إسعاف النشاشيبي: كلمة في اللغة العربية، القدس 1955م.

48. إسعاف النشاشيبي: قلب عربي وعقل أوروبي، القدس 1342هـ (1924م).

49. إسعاف النشاشيبي: مجموعة: العربية وشاعرها الأكبر، اللغة العربية والأستاذ الريحاني، العربية في المدرسة مصر 1928م.

50. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، ص 370.

51. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب ص 87.

52. المصدر نفسه: ص 99.

53. المصدر نفسه: ص 169.

54. المصدر نفسه: 176.

55. إسعاف النشاشيبي: اللغة العربية والأستاذ الريحاني، في المجاميع الثلاثة، ص33.

56. المصدر نفسه: ص35.

57. المصدر نفسه: ص37.

58. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص353.

59. خليل السكاكيني: كيف كنا وماذا صرنا؟ في ندوة نشرت في مجلة "النفائس" السنة 7، الجزء 18 سنة 1920م، الصفحات 264 – 267.

60. المصدر نفسه.

61. المصدر نفسه.

62. إسعاف النشاشيبي: قلب عربي وعقل أوروبي ص15.

63. إسعاف النشاشيبي: كلمة موجزة في سيرة العلم وسيرتنا معه، القدس 1916م، ص 11 – 13.

64. المصدر نفسه، ص 15.

65. د.فيصل دراج: مقدمته للكتاب الأول من مذكرات خليل السكاكيني. ص23.

66. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، ص256.

67. المصدر نفسه.

68. د.فيصل دراج: المصدر السابق، ص24.

69. خليل السكاكيني (اليوميات)، الكتاب الخامس (يوميات رسائل، تأملات) بين الأب والابن (1933 – 1934) تحرير: أكرم مسلم ص 16.

70. د. فيصل دراج: المصدر السابق، ص 24 – 25.

71. المصدر نفسه: ص26.

72. المصدر نفسه.

73. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 541.

74. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، ص 237 – 238.

75. خليل السكاكيني: ما تيسر ج1، ص 8 – 9.

76. المصدر نفسه: ص 23 – 28.

77. المصدر نفسه: ج2، ص 53 – 76.

78. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، ص 75.

79. د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 542.

80. د.إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر؟ المرجع السابق، ص 64 – 65.

81. جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني... مصدر سبق الإشارة إليه، ص 54 – 55.

82. ناصر الدين الأسد: الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى 1950 – إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000م، ص 11 – 12.

83. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، ص 110 – 114.

انظر أيضًا: نص المقالة:

جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني... ملحق رقم "2"، ص 75 – 79.

84. إسعاف النشاشيبي: كلمة في اللغة العربية، مصدر سابق، ص 8 – 9.

85. المصدر نفسه: ص 18.

86. المصدر نفسه: ص 20 – 21.

87. المصدر نفسه.

88. المصدر نفسه: ص 49.

89. المصدر نفسه: ص 53.

90. المصدر نفسه: ص 56.

المراجع

1) أحمد سامح الخالدي: الإعلام بفضائل الشام، القدس 1946م.

2) إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر؟ بيروت 1950م.

3) إسعاف النشاشيبي: كلمة في اللغة العربية، القدس 1925م.

4) إسعاف النشاشيبي: كلمة موجزة في سيرة العلم وسيرتنا معه، القدس 1916م.

5) إسعاف النشاشيبي: قلب عربي وعقل أوروبي، القدس 1924م.

6) إسعاف النشاشيبي: مجموعة العربية ومشاعرها الأكبر، العربية والأستاذ الريحاني والعربية في المدرسة، مصر 1928م.

7) إسعاف النشاشيبي: في ذكرى فتاة مكدونيا (قصيدة) النفائس العصرية الجزء الأول – تشرين الثاني 1909م.

8) إسعاف النشاشيبي: البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، القدس 1932م.

9) إسعاف النشاشيبي: الإسلام الصحيح، القدس 1936م.

10) إسعاف النشاشيبي: مجموعة النشاشيبي، مصر 1925م.

11) إسعاف النشاشيبي: البستان، مصر 1927م.

12) بشار دوماني: إعادة اكتشاف فلسطين – أهالي جبل نابلس (1700 – 1900م) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله 2011م.

13) جهاد أحمد صالح: التشكيل الروحي والبيئة الثقافية في القدس، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م.

14) جهاد أحمد صالح: إسعاف النشاشيبي (1882 – 1948م) علامة فلسطين وأديب العربية، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م.

15) جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني (1878 – 1953م) رائد التجديد الفكري والأدبي في فلسطين، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م.

16) د. حسام الخطيب: النقد الأدبي الفلسطيني الحديث (1900 – 1985م) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني الجزء الرابع.

17) حسيب نمر: قضية فلسطين (مقال)، مجلة لطريق 6، جزء 17.

18) خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، سلسلة احياء التراث الثقافي الفلسطيني (8)، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الأمانة العامة، بيروت 1982م.

19) خليل السكاكيني (يوميات) – يوميات، رسائل، تأملات (1907 – 1912م)، إصدار مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2003م.

20) خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، القدس 1925م.

21) خليل السكاكيني: كيف كنا وماذا صرنا، ندوة منشورة في نجلة "النفائس" السنة 7، الجزء 18 سنة 1920م.

22) خليل السكاكيني: (اليوميات)، الكتاب الخامس، بين الأب والابن (1933– 1934م)، تحرير أكرم مسلم، مركز خليل السكاكيني الثقافي، مؤسسة الدراسات المقدسية رم الله 2003م.

23) خليل السكاكيني: ما تيسر، الجزء الأول، القدس 1943م.

24) د. عبد الرحمن الكيالي: الشعر العربي الحديث في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1975م.

25) عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث (من أول النهضة... حتى النكبة) منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001م.

26) عجاج نويهض: الريحاني – وإسعاف والثعالبي، مجلة القلم الجديد، السنة الأولى، عام 1952م.

27) فيصل دراج: مقدمته في الجزء الأول: يوميات خليل السكاكيني – يوميات رسائل، تأملات (1907 – 1912م) إصدار مركز خليل السكاكيني ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2003م.

28) د. قسطندي شوملي: الاتجاهات الأدبية والنقدية في فلسطين، دار العودة، القدس 1990م.

29) د. كامل السوافيري: الأدب الفلسطيني المعاصر في فلسطين، دار المعارف، مصر 1979م.

30) محمد رفيق التميمي: ولاية بيروت – القسم الجنوبي، بيروت 1335هـ.

31) د. محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1987م.

32) د. ناصر الدين الأسد: الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى 1950، إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000م.

33) وصفي البنّي: حول القضية الفلسطينية (مقال)، مجلة "الطريق" مجلّد 5، جزء 17.

الرؤية الاستراتيجية لمواجهة تهويد القدس في ظل المتغيرات الدولية الجديدة

«للدكتور حسين سليمان فريد»[1]

إعداد طاقم التحرير

تحت هذا العنوان، أصدر الباحث الفلسطيني الدكتور حسين سليمان فريد ردّاد كتابه الأخير، ويتوافق هذا العمل مع خبرة الباحث الأكاديمية؛ إذ إنه يحمل درجة الدكتوراه في الدراسات الاستراتيجية، ويعمل باحثًا ومحللًا إستراتيجيًّا في معهد الأمن القومي الفلسطيني بمدينة رام الله. وقد أهدى الكاتب نسخة من كتابه لمجلة «المقدسية».

يصوغ الكاتب في مقدمة كتابه سؤال البحث على النحو التالي: «**هل يستطيع المقدسيون مواجهة تهويد القدس والحفاظ على هويتها التاريخية والحضارية والدينية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة؟**» (الكتاب، ص: 22). ويعالج الباحث هذا السؤال ضمن الفترة الزمنية من 1993 حتى 2019، بادئًا بتحليل مرتكزات وأبعاد المشروع الاستعماري الصهيوني لتهويد القدس، ومنتقلًا بعد ذلك لتحليل أدوار القوى الفاعلة والمتغيرات الدولية في تهويد القدس، وأخيرًا يحدد ركائز الرؤية الاستراتيجية الفلسطينية لمواجهة وإفشال المخططات الصهيونية لتهويد القدس. وذلك كله في **خمسة فصول، تليها خاتمة تلخص نتائج البحث وتوصياته، ومقترحات للبحوث والدراسات المستقبلية.**

(1) المؤلف: الدكتور حسين سليمان فريد – سنة النشر: 2020 – دار النشر: دار دجلة، عمان – حجم الكتاب: 354 صفحة.

يفترض الباحث في أن السند الدولي الذي قدمته الدول الفاعلة في العالم للكيان الصهيوني قد كان له دور بارز في تهويد القدس. وأن هذا التهويد قد ركز على الأبعاد الديموغرافية والجغرافية وعلى بعد الأسرلة، الذي يعرّفه الباحث على أنه يشمل «إضفاء البعد الإداري الديموغرافي والسياسي والقانوني الصهيوني على القدس»، فيما يعرف الباحث التهويد على أنه يشمل إما «التحول إلى الديانة اليهودية، أو إقامة المجتمع والدولة اليهودية كترجمة توراتية لتحقيق نبوءات دينية مزعومة حول مقولتيّ: «الأرض الموعودة» و«شعب الله المختار» (الكتاب، ص: 26). وأخيرًا يفترض الباحث أنه «يمكن بناء رؤية استراتيجية فلسطينية لمواجهة تهويد القدس من خلال توظيف العامل الديموغرافي في القدس كنقطة قوة في البيئة الداخلية، والقوة الناعمة وعولمة المقاومة كفرص في البيئة الخارجية» (الكتاب، ص: 24). وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، ومنهج التحليل الاستراتيجي للإجابة على سؤال البحث والتحقق من فرضياته. واعتمد وسائل جمع المعلومات على المصادر الثانوية، والملاحظة والمقابلات الشخصية (الكتاب، ص: 25).

يتضمن **الفصل الأول** إطارًا تمهيديًا للدراسة، وذلك في أربعة مباحث: الأول منها يتعلق بمفهوم التهويد سابق الذكر. أما المبحث الثاني فيعرف الكتلة الحيوية للقدس تاريخًا وموقعًا جغرافيًا ومساحة، فيما يتطرق المبحث الثالث لمفهوم الرؤية الاستراتيجية، والرابع لمفهوم التغيرات الدولية الجديدة وما تتضمنه من فواعل دولية (من الدول)، من غير الدول كالجماعات الراديكالية، والشركات متعددة الجنسيات، والمنظمات غير الحكومية، وحركات التحرر الوطني. كما يتطرق المبحث إلى ثوابت النظام الدولي ومن أهمها اعتباره «أن المشروع الصهيوني مشروع استعماري» (الكتاب، ص: 75)، وأن الفاعلين الغربيين في النظام الدولي يسعون لتثبيت وجود وتوسيع هذا المشروع، وهو ما يمنع تحقيقه صمود الشعب الفلسطيني على أرضه.

يكرس الكاتب **الفصل الثاني** لركائز استراتيجية تهويد القدس، وهي ركائز ثلاث ذات علاقة أولًا بالبعد الديموغرافي الساعي لتعظيم القوة البشرية «من خلال انتزاع الأرض من سكانها الأصليين وإجلائهم عنها وإحلال المهاجرين الجدد مكانهم عبر سياسة الاستيطان» (الكتاب، ص: 83). أما البعد الثاني فهو البعد الجغرافي المرتبط ارتباطًا وثيقًا مع البعد الديموغرافي، وذلك من خلال السيطرة على ما سُمّي بـ«أرض إسرائيل» والاستيطان فيها، وجلب كل «شعب إسرائيل» من شتى أرجاء الأرض إليها. وأخيرًا، فإن البعد الثالث هو

بعد الأسرلة الذي بُدئ بتسمية القدس بأورشليم، وإضفاء الطابع اليهودي عليها، وأسرلة الحكم والإدارة في المدينة، و«ربط قطاعاتها الصحية والتعليمية والصناعية والخدماتية بالكيان الصهيوني» (الكتاب، ص: 105)، والإمعان في التزوير الحضاري والتاريخي لتراث المدينة وتزوير أسمائها، وطمس آثارها العربية، وإطلاق أيدي الجمعيات الأثرية والتوراتية في هذا الإطار. وأخيرًا، الأسرة عبر قلب الحقائق عن القدس، وهو ما تقوم به الماكينة الإعلامية الصهيونية.

يستعرض **الفصل الثالث** المتغيرات الدولية الجديدة وتهويد القدس، ويقسمها الباحث إلى متغيرات سياسية، واقتصادية وتكنولوجية. وفي البحث بشأن المتغيرات السياسية يسرد الكاتب تطور المشروع الصهيوني بالعلاقة مع بريطانيا، ولاحقًا مع الولايات المتحدة وأثر هذه العلاقات على سياسات وممارسات المشروع الصهيوني في القدس، في المقابل يورد الكاتب سلسلة قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس، ثم يتطرق للصراعات الدولية والإقليمية التي أدت إلى اختلال موازين القوى لصالح الكيان الصهيوني وتعزيز سيطرته على القدس. أما بالنسبة للمتغيرات الاقتصادية فيناقش الكاتب علاقات إسرائيل الاقتصادية مع أميركا وأوروبا، ثم مع الدول العربية والإسلامية، بما وصل إلى عدة مليارات مع هذه الدول الأخيرة بمن فيها حتى سوريا ولبنان وإيران، كما يشير الكاتب (الكتاب، ص: 174). ويشير الكاتب إلى دخول إسرائيل مؤخرًا إلى نادي الدول المنتجة للغاز؛ مما غير دور الكيان الصهيوني من دور الحامي لمصالح الدول العظمى، إلى دور «يوظف معه الغاز لخدمة مشروعه» (الكاتب، ص: 176). ويختم الباحث هذا الفصل بأن يتطرق إلى نمو التكنولوجيا وشركاتها في الكيان الصهيوني، وسيطرة هذا الكيان على صناعة الإعلام والسينما في العالم.

ويشكل الفصلان الرابع والخامس مساهمة الباحث، حيث يستعرض فيهما الرؤية الاستراتيجية للقدس. ففي **الفصل الرابع** يناقش ركائز الاستراتيجية الفلسطينية لمواجهة تهويد القدس ممثلة باستخدام العامل الديموغرافي الفلسطيني، ومواجهة قوة الاحتلال الصلبة بالقوة الناعمة الفلسطينية، ومن ضمن ذلك عولمة المقاومة من أجل فلسطين عبر «دعم الجهود العربية والإسلامية والمسيحية المؤيدة للحق الفلسطيني من المسيحيين الكاثوليك» (الكتاب، ص: 243)، والتوجه إلى الأمم المتحدة، ونخب العالم وتفعيل المقاطعة الاقتصادية للكيان الصهيوني والشركات المتعاملة معه، والتعاون مع الفاتيكان

والأحزاب السياسية الداعمة في الغرب وتفعيل الجاليات الفلسطينية في الخارج، وكسب المشاهير لصالح فلسطين وغير ذلك من وسائل عولمة المقاومة.

في **الفصل الخامس** والأخير يطرح الكاتب خطته الاستراتيجية المقترحة لمواجهة تهويد القدس بادئًا بتحليل البيئة الداخلية من عناصر قوة وضعف. فيما يتعلق بعناصر القوة فهي تشمل ارتباط الفلسطيني المسيحي والمسلم بالقدس دينيًا ووطنيًا، والعامل الديموغرافي والتماسك الاجتماعي الفلسطينيين، والقانون الدولي والقرارات الدولية بشأن فلسطين والقدس، والإجماع الفلسطيني بشأن القدس، وسهولة وصول فلسطينيي 1948 إلى القدس. يقابل عناصر القوة وجود عناصر ضعف، منها غياب قدرة القيادة السياسية الفلسطينية عن التطبيق لاستراتيجياتها على أرض القدس جراء الموانع الاحتلالية، وتعدد المرجعيات المقدسية والخلافات بينها، وعزل القدس عن محيطها الفلسطيني، وخضوع الفلسطينيين المقدسيين إلى استراتيجيات تهجير، وانفصام الهوية لدى المقدسيين.

بعد ذلك **يورد الباحث نتائج تحليله للبيئة الخارجية وما توفره من فرص، وتطرحه من تهديدات**. وبالنسبة للفرص، يطرح الكاتب طائفة منها تشمل: الأهمية الدينية للقدس لكل مسلمي ومسيحيي العالم، والقانون الدولي والقرارات الدولية بشأن القدس، والرعاية الأردنية للأوقاف الإسلامية والمسيحية في المدينة، وموقف غالبية دول العالم التي تعتبر القدس أرضًا محتلة وعاصمة لدولة فلسطين، والفضاء الإلكتروني الذي أتاح للفلسطينيين عرض قضية القدس على نطاق أوسع، ودعم وتعاطف شعوب العالم مع الحقوق الفلسطينية، وإمكانية انضمام فلسطين إلى المزيد من المنظمات الدولية.

يقابل تلك الفرص تهديدات، تشمل: السيطرة الفعلية للكيان الصهيوني على أرض القدس، وحلف الكيان الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأميركية، والمتغيرات التكنولوجية والاقتصادية التي عززت قوة هذا الكيان، وتغير أولويات عدد من الدول العربية والإسلامية، ونمو الاتجاهات الشعبوية عالميًّا، وغلبة المصالح على الأيديولوجيا، وبالتالي تراجع قضية فلسطين من جداول أعمال دول العالم.

في **مجال المعالجات**، يطرح الباحث رؤيا تقوم على الحفاظ على القدس كـ«مدينة عربية إسلامية عالمية بهوية فلسطينية تستمد عزتها من تاريخها، وتراثها الضارب في التاريخ وأهميتها الدينية والروحية لجميع الأديان السماوية» (الكتاب، ص: 303). كما يطرح الكاتب رسالة تقوم على «تعزيز صمود المواطن المقدسي في أرضه، وجعل القدس مدينة

مفتوحة لشعوب الأرض والديانات كافة وتنميتها تنمية مستدامة» (نفس الصفحة). ويلي ذلك **ثلاثة أهداف استراتيجية يطرحها الباحث**، وهي:

– الحفاظ على طابع مدينة القدس الحضاري والديني والإنساني وتهيئتها لتكون عاصمة دولة فلسطين.

– تعزيز صمود وتحسين حياة والحفاظ على هوية القدس بشرًا وحجرًا.

– مواجهة تهويد القدس عبر إدراك مكامن القوى الذاتية والإسناد العالمي» (نفس الصفحة).

وفي الصفحات الثلاث التالية، **يشتق الباحث أهدافًا فرعية وسياسات لتطبيق الأهداف الاستراتيجية الثلاثة**، وتشمل السياسات المطروحة تكثيف زيارة الوفود العربية والإسلامية والمسيحية للقدس، وإصدار فتاوى تحرّم بيع العقارات للصهاينة فيها، واستصدار المزيد من قرارات الأمم المتحدة ضد الانتهاكات الاحتلالية في المدينة، ورفع قضايا لمحكمة الجنايات الدولية، وتطوير برامج تنموية لكل القطاعات في المدينة، والمزج بين الدبلوماسية الرسمية والدبلوماسية الشعبية في الدفاع عن قضايا المدينة وتجنيد المزيد من الأصدقاء والمناصرين لها. وينهي الكاتب دراسته بعد ذلك بملخص لها، وثبت للمراجع.

حبذا لو خلت الدراسة من الأخطاء الطباعية الكثيرة داخل النص، وكذلك كان من الممكن أن تشتمل الخطة جوانب مبنية على المجتمع المحلي المقدسي وبالمشاركة معه، كما يا ليتها قد استعرضت الخطة الاستراتيجية للقدس لأعوام 2018 – 2022 بدل مجرد ذكرها في النهاية دون تفصيل، ويا ليتها أوضحت كيف وأين تتقاطع مع تلك الخطة وكيف تضيف عليها. أخيرًا كان من المحبذ لو تضمنت الخطة آليات تطبيقية أوسع للسياسات التي طرحتها.

إنها دراسة جديرة بالقراءة واعتماد ما طرحته حول سياسات فلسطين والعرب والعالم من أجل الحفاظ على القدس وتعزيز صمود أهلها ومواطنيها.

صدر عن

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص.ب: 6001 ـ 113
الحمرا ـ بيروت 2407 2034 ـ لبنان
هاتف: 7/6/5/750084 (9611+)
فاكس: 750088 (9611+)

www.caus.org.lb
info@caus.org.lb
CausCenter
@CausCenter
@CausCenter

السادات وإسرائيل: صراع الأساطير والأوهام

مجدي حمّاد

576 ص
$ 24

الصراع العربي ـ الصهيوني: متغيّراته ومستجداته 1949 ـ 2009

عوني فرسخ

416 ص
$ 22

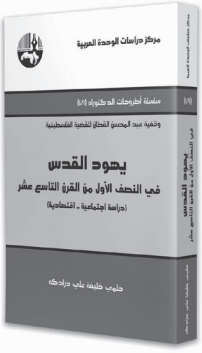

يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر: دراسة اجتماعية ـ اقتصادية

حلمي خليفة علي درادكه

461 ص
$ 21

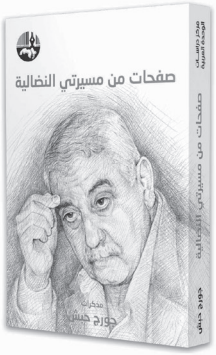

صفحات من مسيرتي النضالية: مذكرات جورج حبش

جورج حبش

تحرير وتقديم:
سيف دعنا

384 ص
$ 20

نصارى القدس: دراسة في ضوء الوثائق العثمانية

أحمد حامد إبراهيم القضاة

576 ص
$ 18

أحمد الشقيري الأعمال الكاملة

6 مجلدات

$ 80
للمجموعة الكاملة

جولة إخبارية في رحاب جامعة القدس

توقيع اتفاقيتي تعليم اللغة الصينية لجامعتي بيرزيت والقدس المفتوحة

وَقَّع أ.د.عماد أبو كشك رئيس جامعة القدس مع زميليْه: أ.د.عبد اللطيف أبو حجلة والأستاذ الدكتور يونس عمرو رئيس جامعة القدس المفتوحة، بحضور سعادة السفير الصيني «قواه وي» اتفاقيتي تعاون لتعليم اللغة الصينية لطلبة جامعتي بيرزيت والقدس المفتوحة، من خلال معهد كونفوشيوس التابع لجامعة القدس.

جامعة القدس تحصد المراكز الأولى في جائزة تميز النشر العلمي على مستوى الوطن

حصلت جامعة القدس على المركزين الثاني والثالث في جائزة التميز في النشر العلمي على مستوى الوطن، وذلك خلال حفل تكريم الفائزين بجائزة البنك الإسلامي الفلسطيني للبحث العلمي، وقد منحت هذه الجائزة

للباحثين تقديرًا لجهودهم ومساهمتهم في تقديم إضافة علمية وتقنية متميزة للمجتمعات في إطار بحث علمي منشور في مجلات علمية محكمة.

وحصلت الجامعة على هذه المراكز من خلال البحث العلمي الذي قدمته د.مها السمان من قسم الهندسة المعمارية في بحثها حول الأنماط الزمنية الاستعمارية في القدس الشرقية « The production of colonial temporal patterns in East Jerusalem " وحصولها بذلك على المركز الثاني، كما وحصل د.عمر السرخي من قسم الهندسة الطبية على المركز الثالث في بحثه حول تطوير طريقة لمراقبة حيوية خلايا الكبد خلال عملية زراعتها "Detection of Cell Morphological Changes of Ischemic Rabbit Liver Tissue Using Bioimpedance Spectroscopy".

وأشاد رئيس جامعة القدس أ.د.عماد أبو كشك بجهود الباحثين ونيلهم جائزة التميز في النشر العلمي على مستوى الوطن، وعلى جودة أبحاثهم وأهمية موضوعاتها القيّمة التي تحتاجها مجتمعاتنا، خاصة مع التطور العلمي الكبير الذي تشهده كل القطاعات.

وأكد أ.د.أبو كشك على اهتمام الجامعة بالبحث العلمي كمًّا ونوعًا، مضيفًا إنها تقدم لباحثيها دعمًا وحوافز لإنجاز الأبحاث وتحقيق نجاح مثمر يفيد البشرية من خلالها.

وعبّر الباحثان عن سعادتهما بهذا الإنجاز، وأكدا على اهتمامهما بالموضوعات التي تقدم المعلومات القيّمة حول عدة قضايا تخص المجتمع، وقدّما شكرهما لجامعة القدس لاهتمامها بالبحث العلمي والباحثين، حيث إنهما تقدّما للجائزة من خلال عمادة البحث العلمي فيها.

ويذكر أن بحث د.مها السمان تناول مفهوم الزمن وعلاقته بالاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي وكيف يتم استخدامه للسيطرة على الحياة اليومية للشعب الفلسطيني وكيفية وضرورة تطبيق مفهوم العدالة الزمنية، وتم نشر هذا البحث في مجلة "Journal of Holy Land and Palestine Studies".

وتناول بحث د.عمر السرخي تطوير طريقة لمراقبة حيوية خلايا الكبد خلال عملية زراعة الكبد للتأكد من صلاحيتها ومراقبة أي تلف أو تفتت للخلايا، وقد تم خلال البحث عمل تجارب جراحية مخبرية على عدد من الحيوانات في مختبرات جامعة القدس وتم نشره في مجلة "IEEE Transactions on NanoBioscience".

وكان الحفل قد أقيم في جامعة بوليتكنك فلسطين تحت رعاية وزير التعليم العالي والبحث

العلمي أ.د.محمود أبو مويس، وبحضور عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الأستاذ أحمد سعيد التميمي، مدير عام البنك الإسلامي الفلسطيني السيد بيان قاسم ورؤساء الجامعات، وعدد من المؤسسات الرسمية والأهلية.

ويشار إلى أن جامعة القدس قد أسهمت خلال مسيرتها البحثية والأكاديمية العريقة في اكتشاف الكثير من الحلول التي تخص قضايا المجتمع، وأهمها تلك التي تتعلق بالجانب الصحي، ودأبت على توظيف الكثير من إمكانياتها في مجال البحث العلمي من خلال باحثيها ومراكزها البحثية المتطورة والمزودة بأحدث الأجهزة، فكانت السباقة في تطوير مبادرات ومراكز بحثية الأولى من نوعها في منطقة الشرق الأوسط كمركز النانو تكنولوجي، والمعهد الفلسطيني لعلوم الأعصاب.

جامعة القدس تفوز بمشروع القدس عاصمة الثقافة العربية من خلال مخطط هندسي لإعادة إحياء وتخطيط القدس بعد الاحتلال

فاز فريق من جامعة القدس بمشروع القدس عاصمة الثقافة العربية من خلال مخطط هندسي بعنوان "إعادة إحياء الروابط المقدسية"، وذلك في مسابقة إعادة إحياء وتخطيط مدينة القدس بعد زوال الاحتلال، والتي جرى تنظيمها في العاصمة اللبنانية بيروت.

وكانت هيئة المعماريين العرب في اتحاد المهندسين العرب أطلقت مسابقة تصميم لنشاط وفعاليات "إعادة إحياء القدس بعد جلاء الاحتلال الإسرائيلي"، ضمن أنشطتها التي تنفذها بعنوان "القدس عاصمة فلسطين"، حيث ينقسم هذا النشاط إلى مؤتمر علمي يهدف إلى علاج واقع مدينة القدس اليوم، ومسابقة أفكار تخطيطية ومعمارية دولية لإعادة إحياء مدينة القدس بعد جلاء الاحتلال.

وتقدم لهذه المسابقة أكثر من 300 مشروع من مختلف دول العالم العربي، وقد تأهل 37 مشروعًا كمشاريع استوفت شروط المسابقة، وتمكنت ستة مشاريع من الفوز، وقد كان مشروع فريق جامعة القدس ضمن المشاريع التي تستحق الفوز والتنويه لها.

وتكوّن فريق جامعة القدس من المهندسة ولاء سمارة مساعدة بحث وتدريس في الجامعة بدائرة الهندسة المعمارية، بالاشتراك مع طلاب الهندسة المعمارية مستوى سنة رابعة، وهم بشرى صبح، وحنين شوكة، ورهف خالد، ورولا أبو هلال، وسجى برغوثي، ووائل شاهين.

وركز المشروع على المجال المعماري في المسابقة والذي بدوره يقدم أفكارًا لمشاريع إستراتيجية قادرة على التأثير على القدس تخطيطيًا ومعماريًا وعلى جميع الأصعدة، سواء كانت دينية أو سياحية أو اقتصادية أو اجتماعية أو بيئية أو صحية أو تعليمية، وغيرها من جوانب الحياة التي تؤثر على مدينة القدس خاصة وفلسطين عامة، وذلك من أجل إحداث حراك معرفي عن قضية القدس، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للمبدعين لتقديم أطروحاتهم حول كيفية إحياء القدس بعد جلاء الاحتلال عنها.

ويشمل مجال المسابقة المجال التخطيطي الذي يتناول إعادة إحياء القرى الفلسطينية القديمة وإعادة تقديم رؤى للارتقاء بنسيجها العمراني، مع إمكانية تقديم أفكار لكيفية التعامل مع التجمعات الاستيطانية، والجانب المعماري الذي يتناول إعادة توظيف المباني القديمة أو تقديم أفكار لمبانٍ عامة خدماتية جديدة أو مشاريع رمزية كالنصب التذكارية مع إمكانية العمل على مشاريع تستهدف رفع معاناة الشعب الفلسطيني اجتماعيًا واقتصاديًا، من أجل المساهمة في إبقاء قضية القدس حيّة في الوجدان العالمي والضمير الإنساني، ويؤكد على أمل وثقة الشعوب الحرة بإعادة إحياء القدس (حاضنة الأقصى ومقدسات الديانات السماوية) والمحافظة على أصالتها رفضًا لجميع المشاريع الداعية للتهويد.

ويأتي هذا النشاط استكمالًا لدور هيئة المعماريين العرب في استنهاض جهود المعماريين العرب والأجانب من قارات العالم الخمس، والمؤمنين بقضية القدس العادلة، ودعمًا لأهلها ومساعدتهم في الحفاظ على حقوقهم وتراثهم وحريتهم.

وتوّجه الطلبة المشاركون بالشكر لإدارة الجامعة ممثلة برئيسها أ.د.عماد أبو كشك على الدعم المستمر واللامحدود في سبيل إنجاح ودعم أفكار الطلبة ومشاركاتهم سواء على المستوى المحلي أو الدولي.

وتواكب جامعة القدس الإبداع وتهتم بالمبدعين، ولذلك أنشأت "حاضنة القدس للتكنولوجيا وريادة الأعمال"، مما يؤكد على دور الجامعة البنّاء والمسؤول في إثراء مجال التميز والتطوير لطلبتها بما ينفع المجتمع، وسعيها لتخريج طلبة متميزين وقادرين على حمل رسالة الجامعة والعمل بها.

جامعة القـدس تحتفل بتكريم باحثيها بناء على إنتاجهم المنشـور في قواعد عالمية مصنفة

القـدس | احتفلـت عـمادة البحـث العلمـي في جامعـة القـدس بمنـح جائزة البحـوث الأكاديمية لأفضل الباحثين في كلياتها للعام الأكاديمي 2018 – 2019، تحـت رعاية رئيس الجامعـة أ.د.عـماد أبـو كشـك، إذ ذهبـت جائـزة أفضـل ورقـة بحثية منشـورة للكليات الإنسـانية مناصفة لكل مـن د.نجوى الصفدي ود.صـلاح الهودلية من كلية الآداب، وأفضل ورقتين بحثيتين منشـورتين للكليات الطبية والحيوية والتطبيقية نالها أ.د.رفيق قرمان وأ.أنس النجار من كلية الصيدلة.

كـما ووزعت جوائز أنشـط باحث ومجموعة بحثية في الكليـات العلمية والأدبية، بالإضافة إلى تكريـم الناشرين في مجلات علميـة ذات تصنيف Q1&Q2، واللجان المشرفة والداعمة للبحث العلمي في الجامعة.

وأشـاد أ.د.عماد أبو كشـك بجهود الباحثين المتميزين وسـعيهم للارتقـاء بالإنتاج البحثي في المجالات المختلفة، الأمر الذي يشـكل محفزًا للباحثين في الجامعة، مما سـينعكس جليًا في طرق التدريس ويشجع مشاركة الطلبة في الأندية البحثية المختلفة، ويساهم في ربط المجال البحثي العلمي والتطبيقي وتصدير المعارف للأسـواق المحليـة والعالمية في كل الحقول، بما فيها الأبحاث التي تسعى لدراسة وتحسين الوضع المقدسي بشكل خاص.

وأضـاف أ.د.أبو كشـك: "إن هـذه فرصة للتفكير في آليات جديـدة للتحفيز على العمل في مجـال البحث العلمي، سـعيًا لتحويل جامعـة القدس من جامعة تعليميـة إلى جامعة بحثية فاعلـة، بالإضافة إلى الحاجة لوضع المعايير المطلوبة لرفع الكفاءة البحثية وتحفيزها، وزيادة ورشـات العمل ودراسـة طـرق وآليات معينـة لزيادة عـدد الباحثين من أجـل مواكبة كل المعارف عالميًا."

مـن جانبهـا، أكدت د.إلهام الخطيب سـعي عـمادة البحـث العلمي وجامعـة القدس عامة لخلـق تواصـل مع المجتمع المحـلي والإقليمي والعالمـي وتوفير بيئة بحثيـة محفزة من خلال دعم المشـاريع البحثية للمجموعات التي تـشرف عليها العمادة، وتعزيز التعاون البحثي في جامعة القدس والجامعات والمراكز البحثية الداخلية والخارجية.

وأشـارت الخطيب إلى ما تقوم به عمادة البحث العلمي في سـبيل تطوير المجال من دورات واسـتجلاب خبراء للتدريب على البحث وأسـاليبه، وتدريب الهيئات الإدارية التي تدرب الطلبـة في النـوادي البحثيـة بدورها، بالإضافة إلى إصـدار العدد الأول مـن المجلة البحثية الطلابيـة، مضيفة إن الجوائز التـي تقدمها الجامعة هي بمثابة تنشـيط للباحثين وحثهم على التنافس المحمود في خدمة البحث العلمي والجامعة والمجتمع.

وقالت رئيس دائرة الهندسـة المعمارية في كلية الهندسـة د.يارا السـيفي من جهتها: "إن فكرة جائـزة البحـث العلمي تحفز الكثيريـن، وتحفزنا نحن الذين تكرمنا اليـوم للعمل والبحث أكثر، وهو أمر مهم جدًّا لخدمة الجامعة وللبحث العلمي والإنسانية والقضية، وقد تكرمت اليوم ضمن عدد من الزملاء الباحثين لبحثي الذي نشرته حول القدس والتخطيط العمراني للمدينة، وهو مصنف في مجلة Q1".

ورحّـب د.صلاح الهودلية مـن جانبه بهذه الخطوة الإيجابية للجامعـة في تحفيز الباحثين، مما يعبر عن فكر وفلسـفة عريقة لها لتنشيطهم، وكذلك تشـجيع الزملاء والزميلات للمبادرة والريـادة في البحـث، مؤكـدًا امتنانـه للتحفيز المسـتمر الذي تقـوم به الجامعـة لأكاديمييها وطلبتها، وأهمية مثل هذه الفعاليات والمبادرات في استمرارية العمل والابتكار.

وأقيمت الاحتفالية للمرة الخامسة ضمن رؤية الجامعة لتحفيز الكادر الأكاديمي والباحثين والطلبة، وجرى اختيار الفائزين على النتاج البحثي المبوب في قاعدة البيانات "سـكوبس" كحد أدنى، ضمن مؤشرات موضوعية عالمية في تقييم هذا النتاج، وتم تدقيقها من قبل لجنة شـملت كلًّا من مدير قسـم هندسة الحاسبات وعلوم الحاسـب وتقنية المعلومات د.عصام اسحق، عميد البحث العلمي د.إلهام الخطيب، وعميد كلية المهن الصحية أ.د.أكرم خروبي.

وكانت جامعة القدس قد تفوقت في المنشورات البحثية التي قدمتها باحتلالها مركزًا متقدمًا فلسـطينيًا وإقليميًـا حسـب تصنيـف QS العالمي لعام 2020، ممـا يؤكد دور الجامعـة البنّاء والمسـؤول في إثراء مجـال البحث العلمي بما ينفع المجتمع، وسـعيها لتخريج طلبة متميزين

وقادرين على حمل رسالة الجامعة والعمل بها.

نجاح باهر لتجربة التعلم عن بُعد في اليوم الأول لاستئناف الدراسة في جامعة القدس

استأنفت جامعة القدس اليوم السبت العملية الدراسية بعد التعطيل الناجم عن أزمة فيروس كورونا، وذلك بواسطة التعلم الإلكتروني عن بُعد عبر نظام e – Class، حيث تم إعطاء 1156 محاضرة في موعدها في مختلف التخصصات وفقًا للبرنامج الدراسي الاعتيادي لطلبة البكالوريوس والماجستير، وبنسبة حضور من الطلبة تجاوزت الـ92 بالمئة، وهي نسبة مماثلة لنسبة الحضور في أيام الدوام الاعتيادية.

وحول هذا النجاح قال رئيس جامعة القدس أ.د.عماد أبو كشك: "إن هذه التجربة تعتبر الأولى التي يتم خوضها في التحول للتعلم عن بعد، ويعزى هذا النجاح الذي فاق التقديرات إلى البنية التحتية الرقمية المتينة للجامعة، إذ تعمل جامعة القدس منذ فترة على إدخال التعلم عن بُعد كجزء من مناهجها، وذلك في إطار خططها التطويرية التي تهدف إلى مواكبة التطورات في عملية التعليم، والذي اعتمدناه في الآونة الأخيرة كبديل لاستئناف العملية التدريسية نتيجة لتعطيل الدوام على أثر أزمة كورونا، وفي إطار خطة الطوارئ التي أقرها مجلس الجامعة."

وتابع أبو كشك: "لقد عملت طواقم الجامعة المتخصصة على مدى أربعة أيام متواصلة لإخراج النظام بصورته المتقنة الحالية والمشهود لها، فقد كان هناك تخوف كبير من حدوث عطل في السيرفرات، بيد أنها نجحت في تحمل الضغط الهائل لتوفر لطلبتنا وكادرنا الأكاديمي النظام الأفضل لاستئناف العملية التدريسية."

وأشاد مجلس الطلبة، والحركة الطلابية من جهتها، في بيان لها بما حققته التجربة من نجاح ورضا بين أوساط الطلبة، وما بذلته الكوادر الفنية للجامعة من جهود حثيثة في توفير نظام متخصص وعالي الجودة لضمان عملية تدريسية إلكترونية مثرية ومتكاملة.

من جانبها، قالت طالبة الماجستير في تخصص الإعلام الرقمي ديانا خياط في منشور لها عبر "فيسبوك": "إنها التجربة الأولى للتعلم عن بعد، في محاولة أعتبرها في مكانها وخطوة رائعة لإنقاذ الفصل الدراسي من قبل جامعة القدس، وخاصة أننا طلاب "إعلام رقمي" وربما نكون روّادًا في هذا المجال "الجديد" في فلسطين. فرصة رائعة بدأناها اليوم حاكت تمامًا

المحاضرة الفعلية من ناحية التفاعل والنقاش والمعلومات المقدمة."

وفي إطار ردود أفعال الطلبة على التجربة، شكرت الطالبة هديل خالد جامعة القدس على الخطة البديلة السريعة لاستئناف التدريس ومواجهة وباء كورونا، مضيفة إنها كانت تجربة شيقة جدًّا ومفيدة ولا تختلف عن محاضرات الصف التقليدي في إيصال المعلومة والتفاعل بين الطلاب والمحاضر.

وقال الطالب فاروق سليم عبر منشور له على الموقع ذاته: "بعد التجربة الأولى للتعلم عن بعد التي تنتهجها جامعة القدس.. كل الشكر والامتنان للجنود المجهولين القائمين على هذه الفكرة، أصحاب الرسالة السامية."

ومن الجدير بالذكر أن جامعة القدس تستخدم نظام الصف الإلكتروني e – Class منذ سنوات وقامت بتطويره ذاتيًّا من خلال مركز سعيد خوري لتكنولوجيا المعلومات، كما وأضافت تطبيقي Zoom وBBB اللذين يتيحان المساحة المطلوبة للتفاعل وتبادل المعلومات بين الطالب والأستاذ، في بث حي ومباشر "صوت وصورة"، ومن ثم تخزين المحاضرات للعودة لها لاحقًا وتحميل المواد الدراسية والواجبات وغيرها من المتطلبات، وهو يعتبر من أكثر البرامج تطورًا، ويتسم بسهولة الاستخدام وسرعة التحميل، إذ اعتمدته أعرق الجامعات في العالم التي اتجهت نحو التعلم عن بُعد على ضوء أزمة كورونا.

جامعة القدس تعمل على تطوير نموذج لجهاز تنفس

أعلن محافظ القدس عدنان غيث، مساء اليوم السبت، أن جامعة القدس تعمل على تطوير نموذج لجهاز تنفس، يمكن أن يستخدم في حالات الطوارئ لعلاج مصابي فيروس «كورونا» المستجد.

كما أعلن المحافظ غيث في كلمة له عبر الفيديو كونفرنس في مؤتمر صحافي في مقر المحافظة بضاحية البريد في القدس، أن إنشاء منصة إلكترونية خدمية تحمل في بواباتها كل مستلزمات التواصل مع المواطنين للتعرف على احتياجاتهم والعمل السريع على توفيرها، وسيعلن عنها عبر الصفحة الرسمية لمحافظة القدس.

واستعرض غيث جهود المحافظة وتحركاتها من أجل حماية المقدسيين والعمل على توفير

مـا يلـزم لمواجهة الفيروس، مشـيرًا إلى أنه تـم في المرحلة الأولى من الخطـة توفير ألف بدلة ذات مواصفات طبية وقائية عالمية، وآلاف الكمامات والقفازات، ومضخات التعقيم لكل مديريـات القـدس لمواجهـة الفيروس، إضافة إلى سلسـلة إجـراءات وقائية شـملت توفير الطرود الطبية لكل مديرياتها، وتعقيم المديريات والمراكز العامة، والسـاحات والمؤسسات والمساجد والكنائس كافة.

ولفـت إلى أن محافظـة القدس اعتمدت ثلاثة مواقع أساسـية للحجر، وهـي مركز طوارئ بيرنبـالا، ومركز مسـقط الطبي في الرام، ومركـز خليفة في بلدة العيزريـة، مثمنًا جهود كل مـن قدم العون لتجهيز هذه المراكز، وعلى رأسـهم وقفية القدس ووكالة بيت مال المغرب، ومن القطاع الخاص: رئيس بلدية بيرنبالا بهجت النبالي، ورئيس بلدية الرام راقي غزاونة.

وأشـار إلى تعاقـد المحافظـة مـع شركات وطنيـة لتوفـير الأمـن الغذائـي وآليـات إيصالها للمواطنـين اسـتعدادًا للمرحلـة الثالثـة من خطـة اللجنة العليـا للطوارئ، التي قد تشـهد إجراءات أكثر صرامة لمواجهة الفيروس، ومنها الالتزام البيتي لجميع المواطنين، مشـيرًا إلى أنه تجري دراسة إنشاء صندوق للطوارئ وفق نظم الشفافية المطلقة، استعدادًا للأصعب.

بـدوره، أكـد وزير شـؤون القدس فادي الهدمـي أن «الكل المقدسي يعمـل على قلب رجل واحـد»، لافتًـا إلى خصوصيـة العاصمـة المحتلـة ومـا تكابده جـراء الممارسـات العنصرية الاحتلاليـة الإقصائية وسياسـة عـدم الاكتراث إلى وضع المقدسـيين، ما يدعـو الجميع إلى متابعة أوضاعهم والعمل على توفير احتجاجاتهم الضرورية للوقاية من هذا الفيروس.

مـن جانبـه، نقل مدير عـام وحدة القدس في الرئاسـة معتصم تيم تحيـات الرئيس للطواقم العاملة في محافظة القدس، مؤكدًا اطلاعه على كل المجريات التي تسـير في العاصمة المحتلة والآليات التي يجري العمل بها لمواجهة فيروس.

مـن جهتـه، حمـل أمين سر حركـة فتـح إقليم القدس شـادي المطـور، الاحتلال مسـؤولية الاسـتهتار بحيـاة المقدسـيين والأسرى القابعـين خلـف قضبـان الاحتـلال وعـدم توفير المستلزمات الخاصة للوقاية من الفيروس.

وأوضـح ممثـل وقفية القدس طاهر الديـسي أنه ومنذ اللحظة الأولى للإعلان عن تسـجيل إصابات بكورونا، أعلنت الوقفية عن تسـخير كل إمكانياتها ووضعها تحت تصرف محافظة القدس على قاعدة التكامل في العمل وخدمة المواطنين في العاصمة المحتلة، وتعهدها بتوفير

ما يلزم وبفترة زمنية قليلة، خاصة مراكز الحجر الصحي التي أعلنت عنها المحافظة.

وكان نائب المحافظ عبد الله صيام افتتح المؤتمر الصحافي بالتأكيد على أن «الوضع الاستثنائي الذي تعيشه المحافظة لن يفتّ من عضدنا في العمل بروح الفريق الجماعي المتكامل انسجامًا مع قرار الرئيس محمود عباس وتعليمات رئيس الحكومة محمد اشتية».

الخبر 2: الإدارة الأميركية تنزع عن المقدسيين فلسطينيتهم[1]:

أسقط تقرير صدر عن وزارة الخارجية الأميركية، اليوم الأربعاء، صفة «الفلسطيني» عن سكان القدس الشرقية المحتلة، وذلك إمعانًا في السياسات الأميركية الموجهة ضد المدينة المقدسة في ظل انحياز إدارة الرئيس الأميركية دونالد ترامب، للاحتلال الإسرائيلي.

واعتبر التقرير الذي يصدر سنويًا عن الخارجية الأميركية حول حقوق الإنسان حول العالم، أن الفلسطينيين في القدس الشرقية المحتلة هم "سكان غير إسرائيليين يعيشون في القدس».

يأتي ذلك في تقرير تنشره الخارجية في وقت لاحق اليوم، ويعالج سنويًا حالة حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم، بما يتناسب مع السياسات الخارجية للإدارة الأميركية، ويحتوي على فصل عن الوضع في الضفة الغربية المحتلة ومن ضمنها القدس.

وتضمن التقرير السنوي الرامي إلى لفت الانتباه إلى حالة حقوق الإنسان في كل دولة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، على حد ادعاء الإدارة الأميركية، منذ وصول ترامب إلى البيت الأبيض، تغييرات تعبر عن انحياز الإدارة الأميركية لسياسة الاحتلال الإسرائيلية وممارسته في كل ما يتعلق بالصراع العربي/ فلسطيني – إسرائيلي.

يذكر أن التقرير الصادر قبل عامين، أسقط مصطلح "الأراضي المحتلة" عن قطاع غزة المحاصر والضفة الغربية، وفي العام الماضي، أسقط التقرير مصطلح "الأراضي المحتلة"

(1) – انظر الرابط (شوهد في 12 آذار 2020):
https://www.arab48.com/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA/%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9/2020/03/11/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D9%86%D8%B2%D8%B9-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%AA%D9%87%D9%85

عن هضبة الجولان السوري، كما تضمن التقرير إدانات شديدة اللهجة لانتهاكات حقوق الإنسان من قبل السلطة الفلسطينية وحماس.

واعتبر التقرير الأميركي أن هضبة الجولان السوري، والضفة الغربية المحتلتين، وقطاع غزة المحاصر، مناطق تقع تحت السيطرة الإسرائيلية، علمًا أن التقارير السابقة التي صدرت بهذا الشأن، وصفت هذه المناطق بـ"المحتلة».

وفي التقرير الذي يصدر هذا العام، تم إسقاط مصطلح "الفلسطينيين" عن السكان العرب الذين يعيشون في الأراضي المحتلة في القدس، حيث تفرض إسرائيل سيادتها بواقع الاحتلال. وتزعم إدارة ترامب أنها "ترسي مبدأ الالتزام بالحقيقة والوقائع على الأرض، وأن التعريف الجديد يعكس الواقع في القدس كما هو، لأنه لا توجد دولة فلسطينية وأن السكان العرب في القدس ليسوا مواطنيها أيضًا».

وفي هذا السياق، نقل موقع صحيفة "يسرائيل هيوم" الإلكتروني عن مسؤول في البيت الأبيض أن "الإدارة الأميركية تحتاج إلى وصف الواقع كما هو بأنه لا يمكن الاعتماد على حق تقرير المصير الذي لا أساس له في الواقع". وادعى أن "هذا التقرير يقرب المنطقة من السلام لأنه، كما قلنا مرارًا، لا يمكن بناء السلام إلا على أساس الحقيقة. كل شيء آخر سوف يتفكك ويفشل».

ومع صعود ترامب إلى الحكم، تصاعدت محاولاته لتحصيل إنجاز يستخدمه كرافعة خلال الحملة الانتخابية للمنافسة على فترة رئاسة أخرى في البيت الأبيض، وذلك عبر التوصل إلى تسوية في الشرق الأوسط، ما تجلى في طرحه لاحقًا "صفقة القرن" التي تمثلت في مجموعة إملاءات مفروضة أميركيًا، تنطلق من خلال انحياز كامل من إدارة ترامب تجاه إسرائيل.

ويرافق هذا الانحياز تجاهل لجميع الالتزامات السابقة وخاصة قضايا الحل النهائي، وفرض وقائع إسرائيلية على الأرض، وفرض حلول على الفلسطينيين وليس التفاوض معهم، مع محاولات لتمرير الصفقة عبر أطراف عربية تراها إدارة ترامب الأكثر مرونة في التعاطي مع الصفقة.

مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: مدينة القدس – سوق القطانين – خان تنكز

الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu

هاتف رقم: 00972-02-6287517

فاكس رقم: 00972-02-6284920

بيان الهيئة الإسلامية العليا حول "صفقة القرن"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

الهيئة الإسلامية العليا
بيت المقدس

The Islamic Supreme Committee
Jerusalem

الرقم 2020/259

بيان صادر عن الهيئة الإسلامية العليا–القدس

صفقة القرن... صفقة المؤامرة!!

القدس/ تناقلت سائل الاعلام مؤخراً ما يسمى بِـ"صفقة القرن" وذلك فور انتهاء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من إعلان بنودها، والتي ترسم ملامح حل القضية الفلسطينية من وجهة النظر الأمريكية والاسرائيلية سواء وافق عليها الفلسطينيون ، او لم يوافقوا، فهي مفروضة عليهم!

هكذا يفكرون، وهكذا يتخيلون وهكذا يطمحون؛ وذلك لتماديهم وغطرستهم وغرورهم وتجاوزهم وتعديهم السافر على حقوق غيرهم...

إزاء ذلك كله، فإن الهيئة الإسلامية العليا بالقدس لتؤكد على ما يأتي:

1. إن (صفقة القرن) تصب في صالح الاحتلال الاسرائيلي، فهي بالحقيقة من نسيج اللوبي الصهيوني بثوب أمريكي.
2. نرفض بنود ما يسمى بِـ "صفقة القرن" وكل ما جاء فيها، فهي لا تمثلنا، ولسنا طرفاً فيها، ولا نعترف بها، فنحن أصحاب فلسطين التاريخية من نهرها لبحرها، وليس من حق أي أحد أن يقرر مصيرها، ونرفض أي وصاية علينا.
3. أما ما ورد في هذه الصفقة حول وضع مدينة القدس، والمسجد الأقصى المبارك، فنقول: إن القدس هي مدينة إسلامية محتلة، ومسجدها الأقصى المبارك الذي هو درتها الغالية، ولاحق لليهود ولا لغيرهم بالصلاة فيه أو إدارة شؤونه، فهو مسجد إسلامي بقرار من رب العالمين، ولن نسمح بأي مساس به ما دام فينا قلب ينبض!
4. إن المسجد الأقصى المبارك قد ربطه الله تعالى بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وبالمسجد النبوي بالمدينة المنورة، وعليه فإن الاعتداء على الأقصى المبارك هو اعتداء عليهما، وأن التفريط بالأقصى هو تفريط بهما. والأقصى لا يخضع لأي تفاوض ولا محاكم ولا مقايضة ولا تنازل عن ذرة تراب منه، وأنه خالص للمسلمين وحدهم.
5. نحمل الأنظمة والحكومات في العالم العربي والإسلامي المسؤولية بواجب الحماية لفلسطين بعامة، وللقدس والمقدسات بخاصة؛ وإن الأقصى المبارك أمانة في أعناق المسلمين جميعهم في أرجاء المعمورة، ونعلن رفضنا للتطبيع والهرولة مع أمريكا والاحتلال الإسرائيلي. وإن الذي يعاونهم ويدعمهم فإنه يلعب بالنار، وإن النار ستحرقه!!
6. إنه يتوجب على الأحزاب والفصائل الفلسطينية جميعاً دون استثناء وضع استراتيجية لصد هذه الصفقة ومنع تنفيذها. فمنذ عام كامل او يزيد ونحن نكرر رفضنا لهذه الصفقة دون وضع خطة عملية لمواجهتها؟! وعليه فإنه يتوجب علينا الآن أن نتوحد وأن نكون حاضرين متسلحين بخطة عملية موضوعية عميقة لإحباطها..

* وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * سورة يوسف آية 21

" * وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ *" سورة الشعراء آية 227

القدس في 7/ جمادى الآخرة /1441هـ
وفق: 1 / 2 / 2020م

الهيئة الإسلامية العليا –القدس

تلفاكس 6284886 و 6261481/009722 – 009720/2347047 Fax
جوال دولي Mobile 00970–599399053
بريد الكتروني islamic–c@hotmail.com
انترنت www.islamic–c.org

سُهاد ظاهِر ـ ناشِف

الطِّبُّ الشَّرعيُّ في فِلَسطين

دراسة أنثروبولوجيّة

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي - فردان
ص. ب.: 7164 ـ 11
الرمز البريدي: 2230 - 1107
بيروت - لبنان
هاتف: 804959 - 814175 - 868387 1 (961+)
فاكس: 814193 1 (961+)
ipsbeirut@palestine-studies.org

اتفاق الوصاية على المقدسات

نص الاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية بين جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين، صاحب الوصاية وخادم الأماكن المقدسة في القدس، وفخامة الرئيس محمود عباس، رئيس دولة فلسطين، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس السلطة الوطنية الفلسطينية.

قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" (سورة الإسراء، آية 1).

قال تعالى: "إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ" (سورة الصف، آية 4).

أبرمت هذه الاتفاقية بين الأطراف السامية: جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، صاحب الوصاية وخادم الأماكن المقدسة في القدس، وفخامة الرئيس محمود عباس، بصفته رئيسًا لدولة فلسطين، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، ورئيس السلطة الوطنية الفلسطينية.

مقدمة:

(أ) انطلاقًا من العروة الوثقى بين جميع أبناء الأمة العربية والإسلامية.

(ب) وانطلاقًا من المكانة الخاصة للقدس في الإسلام باعتبارها مدينة مقدسة ومباركة، واستلهامًا لارتباط الأماكن المقدسة في القدس في الحاضر والأزل وإلى الأبد بالمسلمين في جميع البلاد والعصور؛ ومستذكرين أهمية القدس لأهل ديانات أخرى؛

(ج) وانطلاقًا من الأهمية الدينية العليا التي يمثلها لجميع المسلمين المسجد الأقصى المبارك الواقع على مساحة 144 دونمًا، والذي يضم الجامع القبلي ومسجد قبة الصخرة، وجميع مساجده ومبانيه وجدرانه وساحاته وتوابعه فوق الأرض وتحتها والأوقاف الموقوفة عليه أو على زواره (ويشار إليه بـ"الحرم القدسي الشريف")؛

(د) وبناء على دور الملك الشريف الحسين بن علي في حماية ورعاية الأماكن المقدسة في القدس وإعمارها منذ عام 1924، واستمرار هذا الدور بشكل متصل في ملك المملكة الأردنية الهاشمية من سلالة الشريف الحسين بن علي حتى اليوم؛ وذلك انطلاقًا من البيعة التي بموجبها انعقدت الوصاية على الأماكن المقدسة للشريف الحسين بن علي، والتي تأكدت بمبايعته في 11 آذار سنة 1924 من قبل أهل القدس وفلسطين؛ وقد آلت الوصاية على الأماكن المقدسة في القدس إلى جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين؛ بما في ذلك بطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية التي تخضع للقانون الأردني رقم 27 لسنة 1958.

(هـ) إن رعاية ملك المملكة الأردنية الهاشمية المستمرة للأماكن المقدسة في القدس تجعله أقدر على العمل للدفاع عن المقدسات الإسلامية وصيانة المسجد الأقصى (الحرم القدسي الشريف)؛

(و) وحيث إن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والقانوني الوحيد للشعب الفلسطيني؛

(ز) وإيمانًا بأن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره يتجسد في إقامة دولة فلسطين التي يشمل إقليمها الأرض الواقع فيها المسجد الأقصى المبارك (الحرم القدسي الشريف)؛

(ح) وانطلاقًا من نصوص التصريح الرسمي الصادر بتاريخ 31 تموز من عام 1988 عن

المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، صاحب الوصاية على الأماكن المقدسة في القدس، والخاص بفك الارتباط بين الأردن والضفة الغربية الذي استثنى الأماكن المقدسة في القدس من فك الارتباط.

(ط) وانطلاقًا من نصوص التصريح الرسمي الصادر عن الحكومة الأردنية بتاريخ 28 حزيران من عام 1994 بخصوص دورها في القدس، والذي أعاد تأكيد موقف الأردن الثابت ودوره التاريخي الحصري على الأماكن المقدسة؛ وبهدف إنشاء التزامات قانونية وتأكيد اعترافهم بالمراكز القانونية المبينة للأطراف السامية في هذه الاتفاقية، اتفقت الأطراف السامية المذكورة أعلاه على ما يلي:

المادة الأولى:

تعتبر مقدمة هذه الاتفاقية جزءًا لا يتجزأ منها وتقرأ وتفسر معها كوحدة واحدة.

المادة الثانية:

2 – 1 يعمل جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين بصفته صاحب الوصاية وخادم الأماكن المقدسة في القدس على بذل الجهود الممكنة لرعاية والحفاظ على الأماكن المقدسة في القدس وبشكل خاص الحرم القدسي الشريف (المعرف في البند (ج) من مقدمة هذه الاتفاقية) وتمثيل مصالحها في سبيل:

(أ) تأكيد احترام الأماكن المقدسة في القدس؛ (ب) تأكيد حرية جميع المسلمين في الانتقال إلى الأماكن المقدسة الإسلامية ومنها، وأداء العبادة فيها بما يتفق وحرية العبادة؛ (ج) إدارة الأماكن المقدسة الإسلامية وصيانتها بهدف:

(1) احترام مكانتها وأهميتها الدينية والمحافظة عليها؛ (2) تأكيد الهوية الإسلامية الصحيحة والمحافظة على الطابع المقدس للأماكن المقدسة؛ (3) احترام أهميتها التاريخية والثقافية والمعمارية وكيانها المادي والمحافظة على ذلك كله.

(د) متابعة مصالح الأماكن المقدسة وقضاياها في المحافل الدولية ولدى المنظمات الدولية المختصة بالوسائل القانونية المتاحة، (ه) الإشراف على مؤسسة الوقف في القدس وممتلكاتها وإدارتها وفقًا لقوانين المملكة الأردنية الهاشمية.

2 – 2 يستمر ملك المملكة الأردنية الهاشمية، بصفته صاحب الوصاية وخادم الأماكن

المقدسة في القدس ببذل المساعي للتوصل إلى تنفيذ المهام المشار إليها في المادة 2 – 1 من هذه الاتفاقية.

2 – 3 تعترف منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية بدور ملك المملكة الأردنية الهاشمية المبين في الفقرتين (1) و(2) من هذه المادة الثانية، وتلتزمان باحترامه.

المادة الثالثة:

3 – 1 لحكومة دولة فلسطين، باعتبارها المجسدة لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ممارسة السيادة على جميع أجزاء إقليمها بما في ذلك القدس.

3 – 2 يسعى ملك المملكة الأردنية الهاشمية، والرئيس الفلسطيني للتنسيق والتشاور حول موضوع الأماكن المقدسة كلما دعت الضرورة.

تم تحرير هذه الاتفاقية باللغة العربية وتوقيعها في العاصمة الأردنية عمان هذا اليوم الواقع في 19 جمادى الأول 1434 للهجرة الموافق لـ31 آذار 2013 ميلادية.

تشريد الأطفال:
القدس المحتلة/ شرد 11 فرداً بينهم 7 أطفال:
الاحتلال يُجبر شقيقين على هدم منزليهما في القدس

أجبرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي، الشقيقين عماد وأحمد مشاهرة، السبت 30/ 5/ 2020، من هدم منازليهما ذاتياً، في جبل المكبر بمدينة القدس المحتلة.

وقال الشقيقان إن المنزلين المتلاصقين يعيش فيهما 11 فرداً منهم أطفال، وعملية الهدم تمت لتجنب غرامات باهظة تفرضها بلدية الاحتلال علينا في حال حضورها لهدم المنزل.

وأوضح الشقيقان أنهما وأطفالهما باتوا في العراء ولا يوجد منزل يؤويهم، ولا يُوجد حلٌ آخر سوى هدم المنزل وهو طوب وقرميد، لتجنب الغرامات واعتداءات الاحتلال المستمرة عليهم.

للنشر في مجلة المقدسية

تُغطي المجلة الموضوعات والقضايا الخاصة بمدينة القدس في كافة المجالات الروحية والفكرية والحضارية والعمرانية والسياسية والثقافية إلى جانب المخططات والسياسات الإسرائيلية التي تستهدف القدس استيطاناً وتهويداً.

وتُرحب المجلة بمساهمات المفكرين والمثقفين والباحثين في مختلف أبوابها وفي الحدود المتعارف عليها سواء كانت تهتم بقضايا القدس والانتهاكات الإسرائيلية ومخططات التهويد فيها أو مقالات وتقارير عن الندوات والمؤتمرات أو عروض لكتب خاصة بمدينة القدس، وأيّ مساهمات أدبية تُعزز جسور التواصل بين الإنسان العربي والمدينة المقدسة.

كما تُرحب المجلة بتلقي أيّ مادة لإعادة النشر حسب تقييم هيئة التحرير وتقدير أهمية إعادة النشر إلا إذا كانت دراسات وبحوث يُراد تحكيمها حيث تتحمل المجلة كلفة التحكيم ونشر الأبحاث في قسم الدراسات والبحوث المخصص للدراسات العلمية المحكمة وفق المعايير المعتمدة عامة بما في ذلك في مجلة العلوم القانونية والسياسية الصادرة عن كلية الحقوق بجامعة القدس، وخاصة أن يكون موثقاً ويشمل الإشارات المرجعية: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان وسنة النشر، رقم الصفحة.

كذلك أن تكون الدراسة أو البحث مطبوعة على الكمبيوتر بما لا يزيد عن 30 صفحة، ومرفق بها السيرة الذاتية للكاتب، وتُرسل إلى المجلة عن طريق البريد الإلكتروني.

تلتزم المجلة بتقييم المشاركة، وإعلام الباحث بنتيجة التقييم خلال شهرين من تاريخ استلامها، والمشاركات التي تعتذر المجلة عن نشرها لا تُرد إلى الكاتب.

لإرسال الأبحاث والدراسات عبر الإيميل: maqdisi@alquds.edu

حارة باب حطة - ملعب جمعية برج اللقلق المجتمعي

(من إعداد فريق تنفيذ مبادرة كتاب حواري القدس)

فريق تنفيذ مبادرة «كتاب حواري القدس»:

نَبَعَتْ فكـرَةُ مُبـادَرةُ «كتـاب حـواري الْقُـدس» مِـنْ خـلال الْحاجـة الكَبيـرة للمَعلومـات والأرقـام حَـولَ الْبَلـدة القَديمَـة مِـنَ القُـدْسِ وَحارَاتِهـا؛ فَمِـنْ خِـلال عَمَلِنـا فـي البَلـدة القَديمـة مَـعَ العَديـد مِـنَ مُؤسَسـاتِ العَمَـلِ المُجتَمَعـيِّ وَالمُؤَسَسـاتِ الدَوْليّـة الّتـي دائمـاً مَـا تَبْحَـثُ عَـنْ المَعلومَـات داخِـلَ الْبَلَـدَة القَديمَـة مِـنَ القُـدْس، وَغالِبـاً مَـا يَتِـمُ التّوَجُـهُ لَجَمعيـة بُـرجُ اللّقلَـق المُجتَمَعـيّ كَمُؤَسَسَـةٍ قاعديـةٍ تَعمَـلُ دَاخِـلَ البَلـدة القَديمـة لِمَعرفَـة عَـدد السّكان وَالمَنـازِل وَالمواقـع وَغيرهـا مِـن التّفاصيـل، وَمِـنْ هُنـا نَبْعَـثُ رُؤيَتِنـا لِلعَمـلِ بِالشّـراكة مَـعْ فريـق مِـنَ الشّـبابَ المَقْدَسـيِّ المُبـادِر بالإضافَـةِ لِعَـددٍ مِـنَ الباحثيْـنَ وَالفَنيّيـنَ المُختَصيـن لإصـدارِ كِتَابـاً يسـاهِمُ فِـي إيصـالِ المَعلَومـاتِ والأرقـام بِأُسـلوبٍ وَطَريقَـةٍ سَـهلةٍ وَسَلِسَـةٍ لِلمُؤَسَسَـاتِ والقارِئيـن. وَقَـدْ تَكـوّنَ الطاقـمُ مِـنْ الفريـقِ التّالـي:

جَمْعُ البيانات وَالمعلومات البَحثية:
محمد القزاز
لطيفة عبد اللطيف

التصوير:
مصطفى الخاروف

التصميم:
Select Advertising & media production

التّدقيقُ العام للمادة التّاريخية والبَحثية:
أ.خَليل التّفكجي

التدقيق اللغوي:
شهيرة مصطفى بدران

الاشراف العام:
منتصر ادكيدك

لبنان 10000 ليرة | الأردن: 4 دينار | سوريا: 200 ليرة | مصر: 20 جنيه | تونس: 3 دينار | المغرب: 40 درهم | مسقط: 2 ريال
السعودية: 20 ريال | البحرين: 3 دينار | الكويت: 3 دينار | قطر: 20 ريال | الإمارات: 20 درهم